

الإمام محمد بن نصر المروزي

٢٠٢ - ٢٩٤ هـ

وجهُوده في بيان عقيدة السلف والدِّفاع عنها

الجزء الأول

تأليف

موسم بن مسير بن مبارك النقيعي

تقديم فضيلة شيخ الکتب

علي بن نفيح العلياني

أستاذ مشارك في تخصص العقيدة
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

دار الوطن

الرياض - شارع العذر - ص.ب: ٣٣١٠

٤٧٩٢٠٤٢ ☎ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا الكتاب

رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة « الماجستير » من
جامعة أم القرى بمكة المكرمة - كلية الشريعة والدراسات
الإسلامية.

وقد تكونت لجنة المناقشة من :-

١ - فضيلة الشيخ الدكتور : محمد بن سعيد القحطاني - المشرف
على الرسالة.

٢ - فضيلة الشيخ الدكتور : علي بن نفيح العلياني - عضواً.

٣ - فضيلة الشيخ الدكتور علي بن علي بن جابر الحربي.

وذلك يوم الاثنين ١٨ / ٤ / ١٤١٤ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

فقد طلب مني الأخ الفاضل موسم بن منير بن مبارك النفيعي أن أقدم لرسالته في مرحلة الماجستير وهي بعنوان «الإمام محمد بن نصر المروزي وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها» وقد شاركت في مناقشة هذه الرسالة.

والإمام محمد بن نصر المروزي يستحق أن يبرز ما كتبه في العقيدة لينتفع به الناس فهو من أعمدة أهل السنة والجماعة.

يقول عنه الذهبي: [وكان إماماً مجتهداً علامة من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين قلّ أن ترى العيون مثله.

ويقول ابن حجر عنه: ثقة حافظ إمام جليل.

وقد وفق الأخ الباحث في استنباط كثير من مسائل العقيدة التي ذكرها ابن نصر وقارنها بأقوال علماء أهل السنة والجماعة، فأسأل الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا الرسالة كاتبها ومن يطلع عليها؛ فهي جديرة بالاهتمام لما حوت من مسائل العقيدة وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. علي بن نفيح العلياني

أستاذ مشارك في تخصص العقيدة

بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

قال أبو بكر الصيرفي (ت ٣٣٠هـ):

« لو لم يصف محمد بن نصر إلا كتاب القسامة لكان أفقه
الناس ، فكيف وقد صنف غيره »

تاريخ بغداد (٣/٣١٦)

وقال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ):

« محمد بن نصر المروزي : فإنه أتى متعقباً بعد أحمد ، ولقد
لقي أحمد وأخذ عنه وحوى علمه ، ولقي أصحاب مالك والشافعي ،
وأصحاب أبي حنيفة وأخذ علمهم ، وقد كان في الغاية التي لا
وراء بعدها في سعة العلم بالقرآن والحديث والآثار والحجاج ودقة
النظر مع الورع العظيم والدين المتين »

الإحكام في أصول الأحكام (٣/٢٧٣)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ):

« محمد بن نصر المروزي : الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل
زمانه بالإجماع والاختلاف »

مجموع الفتاوى (٤/٢١٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴾ (١)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣) (٤) (٥)

(١) آل عمران : ١٠٢ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الأحزاب : ٧٠-٧١ .

(٤) هذه الخطبة تسمى خطبة الحاجة ، كان يبدأ بها المصطفى ﷺ خطبه وكلامه ، وقد أفرد لها
محدث العصر الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رسالة خاصة جمع فيها الأحاديث الواردة
في هذه الخطبة .

(٥) رواه أبو داود (٢/٤٧٠-٤٧١) ح (٢٢١٨) . كتاب النكاح . باب في خطبة النكاح ، والترمذي

(٣/٤١٣) ح (١١٠٥) . كتاب النكاح . باب في خطبة النكاح ، وابن ماجه (١/٦٠٩-٦١٠)

ح (١٨٩٢) . كتاب النكاح . باب خطبة النكاح ، وأحمد في المسند (١/٣٩٢-٣٩٣) .

أما بعد ..

فقد بعث الله نبيه محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط الله المستقيم ، فدعا ﷺ قومه ليلاً ونهاراً سرّاً وجهاراً وجاهد حتى توفاه الله بعد أن كتب الله له النصر والعزة والرفعة ، فأمن به خلق كثير .

فلم يمت ﷺ إلا بعد أن أتم الله به النعمة وأكمل الدين . قال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١) .

تركهم ﷺ على المحجة البيضاء ؛ ليلها كنهارها ؛ لا يزيغ عنها إلا هالك ، وسار صحابته من بعده على سنته ، ولم يحدث الخلاف في مسائل العقيدة إلا بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، فتسارعت الأحداث تترى ، فظهرت الخوارج بعد قبول علي رضي الله عنه التحكيم ، ثم ظهرت الشيعة الذين يدعون زوراً وبهتاناً محبة آل البيت ، ثم ظهرت القدرية ، فقالت إن الأمر أنف ، ثم ظهرت المرجئة القائلون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

ثم ظهرت طوائف أشربت قلوبهم بحب الفلسفة اليونانية وعلم الكلام ، فأدخلت هذين العلمين في كل شيء حتى في قضايا الاعتقاد ، ومن ثم بدأ الانحراف في مسائل الاعتقاد بسبب تعدد المشارب بين أرباب الطوائف المختلفة ، مما اضطر علماء الأمة للرجوع إلى الكتاب والسنة لبيان العقيدة الصحيحة والرد على أهل البدع والأهواء ، فألفوا الكتب والمقالات في ذلك ، وأظهروا ما كان عليه السلف الصالح من التسليم والانقياد لله رب العالمين .

ولم تزل كتب العلماء وأقوالهم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ المصدر الوحيد لاعتقاد الفرقة الناجية، وعليها العول في بيان أصول العقيدة الصحيحة قديماً وحديثاً حتى وقتنا الحاضر .

لذا فإن إحياء عقيدة أهل السنة والجماعة من خلال ما كتبه العلماء المتقدمون ضرورة ملحة وخاصة في زمننا هذا ؛ الذي يتزايد فيه إقبال الناس ، وينمو حرصهم متطلعين إلى معرفة العقيدة الصحيحة ، في توحيد الله تعالى وأسمائه وصفاته ؛ بسبب قيام بعض الدعوات التي ظهرت بمناهج فيها خلل أو تقصير عن المنهج السلفي الأصيل ، فتخبطت في دياجير الظلمات ، وظلت عقوداً طويلة لم يكتب لها أن تثمر بسبب ما اعترأها من نقص وخلل في فهم الكتاب والسنة ، ومعرفة معتقد أهل السنة والجماعة .

فكان من الواجب تقديم معتقد أهل السنة والجماعة من خلال نقول أئمتها وعلمائها ومنهم « الإمام محمد بن نصر المروزي » ، هذا الإمام الذي عاش في القرن الثالث الهجري ، ذلك القرن الذهبي الذي عاش فيه أئمة عظام تتلمذ ابن نصر عليهم ، وحوى علمهم ، ومنهم : الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، وإسحاق بن راهويه (ت ٢٣٨هـ) ، وأحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، ومحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، وأبو زرعة (ت ٢٦٦هـ) ، وأبو حاتم (ت ٢٧٧هـ) الرازيين ، حتى أصبح ابن نصر يضرب به المثل في العلم وسعة الاطلاع والإحاطة .

فقد عاش رحمه الله أكثر من تسعة عقود من الزمان ، بين فيها الإيمان بالله تعالى ، وأنه قول وعمل ، يزيد وينقص ، وبين حكم أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة ، وأنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، كما حذر رحمه الله من

الشرك ، وبين نواقض الإسلام ، وحكم تارك الصلاة لعلاقتها بالتوحيد لله رب العالمين ، ورد على الفرق الضالة التي ضلت عن سواء السبيل .

وقد وفقني الله تعالى لاختيار هذه الدراسة عن هذا الإمام وعنونتها بـ «الإمام محمد بن نصر المروزي وجهوده في بيان عقيدة السلف والدفاع عنها» للحصول على درجة الماجستير .

خطة البحث :

قمت بتقسيم الرسالة إلى مقدمة وتسعة فصول وخاتمة . أما المقدمة ؛ فقد بينت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له ، ثم ذكرت خطة البحث وختمت المقدمة بشكر لأهل الفضل بعد الله عز وجل .

الفصل الأول : حياته وعصره .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : الحالة السياسية .

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية .

المبحث الثالث : الحالة العلمية .

المبحث الرابع : حياته الشخصية .

المبحث الخامس : حياته العلمية .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : طلبه للعلم ورحلاته .

المطلب الثاني : شيوخ وتلاميذ الإمام ابن نصر .

المطلب الثالث : مذهبه الفقهي ، ومكاتبه العلمية ، وثناء العلماء عليه .

المطلب الرابع : حسن عبادته وتمسكه بالسنة وكراماته .

المطلب الخامس : مؤلفاته .

المطلب السادس : وفاته .

الفصل الثاني : الإيمان .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : حديث جبريل عليه السلام ، وبيان لبعض طرقه .

المبحث الثاني : تفسير حديث جبريل في مسائل الإيمان .

وفيه المطالب الآتية :

المطلب الأول : الإيمان بالله تعريفه وأهميته .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة .

المطلب الثالث : عبادة الملائكة .

المطلب الرابع : الإيمان بكتب الله .

المطلب الخامس : الإيمان بالرسول .

المطلب السادس : الإيمان باليوم الآخر .

المطلب السابع : الإيمان بالقضاء والقدر .

المبحث الثالث : اسم الإيمان وحكمه .

المبحث الرابع : أصل الإيمان وفروعه .

المبحث الخامس : شعب الإيمان .

المبحث السادس : أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

المبحث السابع : هل الإيمان مخلوق؟

الفصل الثالث : الإيمان والإسلام .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : الإيمان والإسلام وما بينهما من عموم وخصوص ، مع بيان لقول ابن نصر في المسألة .

المبحث الثاني : أدلة الطائفة الأولى التي فرقت بين الإيمان والإسلام كما ذكرها ابن نصر .

المبحث الثالث : أقوال وأدلة الطائفة الثانية التي فرقت بين الإيمان والإسلام .

المبحث الرابع : قول الطائفة الثالثة التي قالت بانحداد الإيمان والإسلام .

المبحث الخامس : رد الإمام ابن نصر على من قال بتغاير الإيمان والإسلام .

المبحث السادس : رد العلماء على ابن نصر في قوله بانحداد الإيمان والإسلام ، مع بيان القول الراجح .

الفصل الرابع : كونه الإيمان قول وعمل يزيد وينقص .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : اختلاف الناس في مسمى الإيمان مع بعض أقوال أهل السنة في ذلك .

المبحث الثاني : قول الإمام ابن نصر في كون الإيمان قول وعمل ، وأن له حقيقة .

المبحث الثالث : الأدلة من الكتاب والسنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان .

المبحث الرابع : كون الإيمان يزيد وينقص ، وهل له غاية ؟

الفصل الخامس : حكم مرتكب الكبيرة .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : سبب ضلال الفرق في الحكم على مرتكب الكبيرة .

المبحث الثاني : أقسام المعاصي .

المبحث الثالث : مذهب أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة .

المبحث الرابع : مذهب الإمام ابن نصر في مرتكب الكبيرة .

المبحث الخامس : كيف يقال ليس بمؤمن واسم الإيمان لازم له .

الفصل السادس : نواقض الإسلام .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : أهمية التوحيد .

المبحث الثاني : التوحيد أول دعوة الرسل .

المبحث الثالث : تفسير التوحيد الذي جاءت به الرسل .

المبحث الرابع : من نواقض الإسلام الشرك .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : التحذير من الشرك والمعاصي .

المطلب الثاني : هل الفرائض لازمة على الكفار حال كفرهم .

المطلب الثالث : هل يقضي الكافر ما فاته من الفرائض؟

المطلب الرابع : إن الله لا يغفر لمن مات مشركاً .

المبحث الخامس : من نواقض الإسلام التقدم بين يدي الله

ورسوله .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : وجوب طاعة الرسول ﷺ واتباعه .

المطلب الثاني : من لوازم طاعة الرسول ﷺ تحكيم سنته والرجوع

إليها .

المطلب الثالث : تحذير الإمام ابن نصر من معارضة سنة رسول الله ﷺ .

المطلب الرابع : حكم التقدم بين يدي الله ورسوله .

المطلب الخامس : حكم الكفر ببعض الشريعة .

المبحث السادس : من نواقض الإسلام النفاق .

وفيه المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف النفاق .

المطلب الثاني : حقيقة النفاق .

المطلب الثالث : أقسام الكفر والنفاق .

المطلب الرابع : متى ظهر النفاق .

المطلب الخامس : تحذير العلماء من النفاق ، ومنهم الإمام ابن نصر .

الفصل السابع : حكم تأريك الصلاة .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : منزلة الصلاة في الإسلام .

المبحث الثاني : فضل الصلاة عند ابن نصر .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : أفراد ابن نصر الصلاة بالتأليف والبيان .

المطلب الثاني : فريضة الصلاة على سائر الأنبياء والمرسلين .

المطلب الثالث : الوعيد الشديد لمن ترك الصلاة .

المبحث الثالث : ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف الكفر .

المطلب الثاني : خطورة التكفير .

المطلب الثالث : ضوابط التكفير .

المطلب الرابع : الآثار المترتبة على التكفير .

المبحث الرابع : أقول العلماء في تارك الصلاة .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : من تركها جحداً لوجوبها .

المطلب الثاني : من تركها تهاوناً وكسلاً .

المطلب الثالث : أدلة الطائفة التي كفرت تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً .

المطلب الرابع : أقوال وأدلة من قال من العلماء أن تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً لا يكفر .

المبحث الخامس : الرد على من لم يكفر تارك الصلاة تهاوناً .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : الرد على قياسهم الصلاة على سائر الفروض من زكاة وصيام .

المطلب الثاني : الرد على قياسهم الأخبار التي وردت في كفر تارك الصلاة بالأخبار التي وردت في إكفار مرتكب الذنوب .

المطلب الثالث : الرد على احتجاجهم بتأخير الأمراء الصلاة عن وقتها .

المطلب الرابع : الرد على احتجاجهم بحديث عبادة بن الصامت
رضي الله عنه .

الفصل الثامن : الفطرة .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : مقدمة عن الفطرة .

المبحث الثاني : تعريف الفطرة لغة وشرعاً ، وأقوال العلماء فيها .

المبحث الثالث : قول الإمام أبي عبيد في الفطرة .

المبحث الرابع : موقف العلماء من الأقوال التي ذكرها أبو
عبيد ، وردهم عليه .

المبحث الخامس : رد الإمام ابن نصر على ابن قتيبة .

المبحث السادس : توفيق الإمام ابن القيم بين أقوال العلماء
في الفطرة ، وردة على ابن نصر .

المبحث السابع : هل الروح مخلوقة ؟

المبحث الثامن : أنواع الأمر من الله ورسوله .

الفصل التاسع : الرد على الفرق الخالية .

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : مقدمة في اختلاف الفرق .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : نعمة الله على عباده بإكمال الدين لهم .

المطلب الثاني : مصادر العقيدة عند أهل السنة والجماعة .

المطلب الثالث : حث النبي ﷺ على اتباع سنته وسنة الخلفاء من

بعده .

المطلب الرابع : فضل الصحابة ووجوب التأسي بهم .

المطلب الخامس : وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية .

المطلب السادس : وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق .

المبحث الثاني : الرد على الخوارج .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : نشأة الخوارج .

المطلب الثاني : تعريف الخوارج .

المطلب الثالث : أقوال الخوارج ورد ابن نصر عليهم .

المبحث الثالث : الرد على المرجئة .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف المرجئة ، وبيان لفرقها .

المطلب الثاني : التحذير من الإرجاء ، وبيان أعظم حجج المرجئة .

المطلب الثالث : الإيمان حقيقة مركبة .

المطلب الرابع : الرد على المرجئة في مسألة تفاضل الإيمان .

المطلب الخامس : من أعمال القلوب ، الخوف والرجاء .

المطلب السادس : الرد على أبي حنيفة وأصحابه المرجئة الفقهاء .

المطلب السابع : الرد على الغيلانية .

المبحث الرابع : الرد على المعتزلة والرافضة .

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : تعريف المعتزلة .

المطلب الثاني : تعريف التشيع لغة وشرعاً .

المطلب الثالث : سبب ضلال المعتزلة والرافضة .

المطلب الرابع : قول المعتزلة في حكم مرتكب الكبيرة ، والرد عليهم .

المطلب الخامس : قول الرافضة في مرتكب الكبيرة ، والرد عليه .

المطلب السادس : الرد على الرافضة على قولهم البداء على الله وإنكارهم المسح على الخفين .



عملي في هذا البحث :

١ - بينت منهج أهل السنة والجماعة في المسألة من خلال توثيقه من كتب أهل العلم مع دعمه بأدلتهم ، ثم أعقبه بكلام الإمام ابن نصر وأبين مدى موافقته أو مخالفته لهم ، مع ذكر توجيه العلماء لأقواله ، وردهم عليه إن وجد .

٢ - عزوت الآيات القرآنية إلى أماكنها من السور الكريمة .

٣ - خرجت الأحاديث النبوية ، وكان التخريج كالتالي :

أ - إذا كان الحديث في الصحيحين فأكتفي بهما لتلقي الأمة لهما بالقبول والرضا والتسليم .

ب - إذا كان في أحدهما أو غير موجود فيهما خرجته من كتب أهل السنن المطبوعة بحسب الاستطاعة بدون تطويل مع ذكر الحكم على الحديث إن وجد .

٤ - فسرت الغريب والمصطلحات التي وردت أثناء الرسالة .

٥ - ترجمت لشيوخ وتلاميذ الإمام ابن نصر باقتضاب ، وكذلك الأعلام الواردة أسماؤهم في هذا الحديث إلا اليسير ممن لم أجد له ترجمة أو كان مشهوراً لا يجهل مثله .

٦ - وختمت الرسالة بوضع فهارس للآيات القرآنية ، والأحاديث ، والآثار ، والأعلام ، وقائمة بالمصادر مرتبة على حروف المعجم ، وأخيراً فهرس تفصيلي لمحتويات الرسالة .



شكر وتقدير

فإنني أحمد الله تبارك وتعالى وأشكره ، وأثني عليه الخير كله على ما يسر من إتمام هذا البحث الذي عشت معه أربع سنوات ، وأرى واجباً علي أن أتقدم بجزيل الشكر ، وخالص الامتنان لفضيلة الشيخ الدكتور / محمد سعيد القحطاني ، المشرف على هذا البحث والذي رعاه منذ كان فكرة ، وأفدت من حسن توجيهه ، وخلقه ، وعلمه ، سائلاً الله عز وجل أن يتولى عني حسن جزائه .

كما أتقدم بالشكر لفضيلة الشيخ الدكتور / عبد الله بن عمر الدميحي ، الذي أشار علي مشكوراً بفكرة هذا البحث ، وفتح لي قلبه ومكتبته .
كما أتقدم بالشكر لكل من قدم لي عوناً من أساتذتي الأفاضل وزملائي الكرام .

كما أتقدم بالشكر لجامعة أم القرى التي أتاحت لي هذه الفرصة في مواصلة الدراسة ممثلة في كلية الشريعة والدراسات العليا المسائية .

وفي الختام . . أتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يغفر للإمام محمد بن نصر المروزي ، وأن يعلي منزلته ، وأن يجعل له في جنات الفردوس نزلاً جزاء جهوده الموفقة في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها ، كما أسأله سبحانه أن يجمعنا به أجمعين في مستقر رحمته في جنات ونهر ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وأنا أرجو كل أخ صادق كريم له

ملاحظة على شيء مما في هذا البحث أن يبادر إلى إرساله على عنواني التالي
المملكة العربية السعودية - الطائف (ص. ب : ١٨٥٢) أداءً للأمانة وقياماً
بواجب النصيحة .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله
رب العالمين .

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد النبي الأمي
الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم
الدين .



الفصل الأول حياته وعصره

وفيه المباحث التالية :

- المبحث الأول : الحالة السياسية.
- المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية.
- المبحث الثالث : الحالة العلمية.
- المبحث الرابع : حياته الشخصية.
- المبحث الخامس : حياته العلمية.

المبحث الأول الحالة السياسية

عاش الإمام محمد بن نصر المروزي قرابة قرن من الزمان (٢٠٢- ٢٩٤هـ)، حيث ولد رحمه الله في خلافة المأمون ، ذلك الخليفة الذي ولع بالفلسفة وقرب أهل الكلام من مجلسه ، حتى أشرب قلبه بها بدعوة الناس إليها وإلزامهم اعتناق هذه البدعة الشنيعة ، ففي عام (٢١٨هـ) « كتب المأمون إلى نائبه بيغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن ، وأن يرسل إليه جماعة منهم . . . ووقعت فتنة صماء، ومحنة شنعاء، وداهية دهياء، فلا حول ولا قوة إلا بالله »^(١) .

وقد تعرض عدد من العلماء للتعذيب منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله .

وفي هذه السنة توفي بشر بن غياث المريسي الذي كان يقول بخلق القرآن ، والإرجاء ، وغيرهما .

وأبعد المعتصم الفرس عن ملكه وسلطانه إلا أنه قرب الترك ، فكان أول

(١) البداية والنهاية لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط . الأولى - ١٤٠٥هـ . وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦/٦٠٣) ، تصحيح : د . محمد يوسف الدقاق ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - ط . الأولى - ١٤٠٧هـ .

خليفة أدخل الترك الديوان .

وفي عام (٢٢٧هـ) فتحت عمورية على يد المعتصم ^(١) .

وفي عام (٢٢٧هـ) توفي المعتصم وبويع ابنه هارون الواثق ، واستمرت الفتنة بالقول بخلق القرآن ، وقتل الواثق أحمد بن نصر الخزاعي وصلبيه وسجن أصحابه ^(٢) .

وفي عام (٢٣٢هـ) توفي الواثق وخلفه ابنه المتوكل على الله ، وفي عهده قوي نفوذ الترك ، وأصبحت مقاليد الأمور بأيديهم ، حتى كانوا هم أهل الحل والعقد .

وأظهر المتوكل الميل إلى السنة ، ونصرها وأهلها ، ورفع المحنة عن العلماء والقضاة ، وأمر بإبزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي وتسليمها لأوليائه ، وكان شديداً على الشيعة ، وهدم قبر الحسين وما جاوره ، ومنع زيارة الناس لها ^(٣) .

وفي عام (٢٣٧هـ) غضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي قاضي والده وجده ، والذي امتحن الناس بالقول بخلق القرآن ، وقبض ضياعه وأملاكه وحبس أولاده ، وأكرم الإمام أحمد بن حنبل ^(٤) .

وفي عام (٢٤١هـ) توفي الإمام المجلد أحمد بن حنبل بعد أن نصر السنة

(١) البداية والنهاية (١٠/٣٩٩) .

(٢) انظر : تاريخ الأم والملوك (٩/٦٧٤-٦٧٩) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، نشر دار الفكر - ط . الأولى ١٤٠٧هـ ، والبداية والنهاية (١٠/٣١٦-٣٢٠) ، والكامل في التاريخ (٦/٨٦-٨٧) .

(٣) انظر : تاريخ الأم والملوك (١٠/٣٦) ، والبداية والنهاية (١/٣٢٨-٣٢٩) .

(٤) انظر : تاريخ الأم والملوك (١٠/٤٠) ، والكامل في التاريخ (٦/١١٢) .

نصرأ مبنياً .

وفي عام (٢٤٧هـ) قتل المتوكل وبويح المنتصر ، وفي خلافته زادت سيطرة الترك حتى أصبح الأمر كله بأيديهم حتى إنهم تسببوا في قتله ، وتولى بعده المستعين بالله وذلك عام (٢٤٨هـ) .

وفي عام (٢٤٩هـ) أصاب طاعون عظيم العراق ، وتنكر الترك للخليفة ، وتسلطوا عليه حتى خلع عام (٢٥٢هـ) ، وبويح بالخلافة للمعتز بالله الذي كان ضعيفاً ؛ لأن أمور الدولة كانت بيد الترك ، حتى إنه عزل نفسه ، وشهد أنه عاجز عن القيام بأمر الخلافة والقيام بأمر المسلمين^(١) .

وفي عام (٢٥٥هـ) بيوع بالخلافة للمهتدي بالله ، ولم تستمر خلافته أكثر من عام ، حيث خلع وبويح بالخلافة للمعتمد على الله ، الذي كان صاحب لهو وترف ومجون ، وكثرت الاضطرابات في عهده والفتن ، وزادت غارات الروم على بلاد المسلمين ، ودخل الزنج البصرة وأخربوها^(٢) .

وكانت خلافة المعتمد على الله طويلة ؛ حيث امتدت ثلاثاً وعشرين سنة وستة أشهر ، إلا أنه « كان في خلافته محكوماً عليه ، قد تحكم عليه أخوه أبو أحمد الموفق ، وضيق عليه ، حتى إنه احتاج في بعض الأوقات إلى ثلاثمائة دينار فلم يجدها »^(٣) .

وفي عام (٢٧٩هـ) بويح بالخلافة للمعتضد بالله بعد وفاة المعتمد ، وكان أمر الخلافة دائراً فأحياه الله على يديه بعدله وشهامته وجرأته^(٤) ، فاستقام أمر

(١) انظر : الكامل في التاريخ (٦/٢٥٥) ، والبداية والنهاية (١١/١٨-١٩) .

(٢) انظر : تاريخ الأمم والملوك (١٠/٢٥٦-٣٥٣) ، والبداية والنهاية (١١/٢٧) .

(٣) الكامل في التاريخ (٦/٣٧٠) .

(٤) البداية والنهاية (١١/٧٠) .

الناس وهدأت كثير من الحركات خوفاً من قوته وسلطانه ، إلا أن أمر القرامطة قد قوي بأسهم ، وأذاهم للمسلمين قد زاد ؛ حتى قتلوا هم والروم خلقاً كثيراً .

يقول ابن كثير : « ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائتين ، اتفق في هذه السنة آفات ومصائب عديدة ، منها أن الروم قصدوا بلاد الرقة في جحافل عظيمة وعساكر من البحر والبر ، فقتلوا خلقاً وأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً من الذرية .

ومنها أن أهل أذربيجان أصاب أهلها وباء شديد . . . وفيها اقترب القرامطة من البصرة ، فخاف أهلها منهم خوفاً شديداً وهموا بالرحيل منها فمنعهم نائبيها »^(١) .

وفي عام (٢٨٩هـ) بويغ بالخلافة للمكتفي بالله بعد وفاة المعتضد ، وفي هذه السنة زلزلت بغداد زلزلة عظيمة ، وهبت رياح عظيمة بالبصرة ، وفيها « انتشرت القرامطة في الآفاق ، وقطعوا الطريق على الحجيج ، وتسمى بعضهم بأمير المؤمنين ، فبعث المكتفي إليهم جيشاً كثيراً ، وأنفق فيهم أموالاً جزيلة ، فأطفا الله بعض شرهم »^(٢) .

وفي عهده مات الإمام محمد بن نصر المروزي سنة (٢٩٤هـ) ، رحمه الله رحمة واسعة .



(١) البداية والنهاية (٩٠/١١) .

(٢) البداية والنهاية (١٠١/١١) .

المبحث الثاني الحالة الاجتماعية

نتيجة للاضطراب السياسي وعدم الاستقرار الذي مر على الفترة التي عاشها الإمام محمد بن نصر المروزي ، وكان لضعف سيطرة الدولة تأثير كبير على الناحية الاجتماعية ، حيث كثرت الثورات والخروج على الولاة ، وانتشر الخوف والقلق والاضطراب بسبب ازدياد نفوذ الأتراك على الخلفاء واستهانتهم بحياة الناس وأملاكهم ، وكان الترف والفساد والانغماس في الملذات ؛ فامتلأت قصور الخلفاء بالجواري ، وكثر المغنون وأصحاب المجون من الشعراء وغيرهم ، وأعطوا أموالاً كثيرة من بيت مال المسلمين .

فلم يحسن الخلفاء التصرف في الأموال التي كانت تتدفق عليهم من بلاد شتى لكثرة الفتوحات الإسلامية ، ونشاط الحركة التجارية ، فلم ينفقوها في موارد المشروعة ، بل أنفقوها على أنفسهم وإرضاء لشهواتهم ونزواتهم الدنيئة .

ومن صور تبذير الخلفاء بأموال المسلمين ما ذكره ابن كثير من زواج المأمون ببوران ؛ حيث يقول : « فدخل ببوران . . . في ليلة عظيمة ، وقد شعلت بين يديه شموع العنبر ، ونثر على رأسه الدر والجواهر ، فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر ، وكان عدد الجواهر منه ألفاً درة . . . وأما والد العروس الحسن بن سهل فإنه كتب أسماء قراه وضياعه وأملاكه في رقاع ونثرها على الأمراء ووجوه الناس ؛ فمن وقعت بيده رقعة في قرية منها بعث إلى القرية

التي فيها نوابه فسلمها إليه ملكاً خاصاً .

وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوماً ما يعادل خمسين ألف درهم^(١) .

ومن صور الإسراف والتبذير في أموال المسلمين في هذه الفترة ما حكاه الطبري عند ذكره لحوادث سنة (٢٤٥هـ) حيث يقول : « ففيها أمر المتوكل ببناء الماخورة وسماها الجعفري ، وأقطع القواد وأصحابه فيها ، وجد في بنائها ، وتحول إلى المحمدية ليتم أمر الماخورة ، وأمر بنقض القصر المختار والبديع ، وحمل ساجهما إلى الجعفري ، وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألفي ألف درهم ، وكان يسميها هو وأصحابه الخاصة بالمتوكلية ، وبنى فيها قصرأ سماه لؤلؤة لم ير مثله في علوه ، وأمر بحفر نهر . . . وحمل أهلها على بيع منازلهم وأرضهم ، فأجبروا على ذلك حتى تكون الأرض والمنازل في تلك القرى كلها له ، ويخرجهم عنها ، وقدر للنهر من النفقة مائتي ألف دينار^(٢) .

ومن صور اعتناء الخلفاء بالعنصر التركي ، وكثرتهم حتى ضايقوا الناس ولم يعد أحد يأمن على نفسه وأهله وماله ؛ ما ذكره السيوطي من أن المعتصم « اعتنى باقتناء الترك ، فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم ، وبذل فيهم الأموال ، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيلهم ببغداد ، ويؤذون الناس ، وضائق بهم البلد ، فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا : إن لم تخرج عنا بجندك حاربناك ، قال : وكيف تحاربونني ؟ . قالوا : بسهام الأسحار . قال : لا طاقة لي بذلك فكان ذلك سبب بنائه « سر من

(١) البداية والنهاية (١٠/٢٧٧) ، وانظر : الكامل في التاريخ (٥/٤٧٨) .

(٢) تاريخ الأمم والملوك (١٠/٦٤) ، وانظر : الكامل في التاريخ (٦/١٣٠) .

رأى» وتحول إليها»^(١).

ونتيجة حتمية لانغماس الخلفاء في الشهوات وارتكابهم المحرمات ،
وتقليد الطبقة الغنية لهم على هذا العمل المشين ؛ فقد أتبع الله هذه الأعمال
المنكرة بالعقوبة العاجلة قبل الآجلة ؛ فوقعت الزلازل والأمطار المدمرة ،
وغلت الأسعار ، وأصاب الناس الفقر والعوز الشديد حتى العلماء منهم ؛
لانشغال الخلفاء بشهواتهم وإيثار المفسدين على المصلحين .

فمن الزلازل المدمرة ما وقع سنة (٢٤٥ هـ) «حيث زلزلت في هذه السنة
بلاد المغرب حتى تهدمت الحصون والمنازل والقناطر . . . وفيها زلزلت بالسن
والرقة وحران ورأس عين وحمص ودمشق والرها وطرطوس والمصيصة وأذنة
وسواحل الشام ، ورجفت اللاذقية ، فما بقي منها منزل ولا أفلت من أهلها
إلا اليسير ، وذهبت جيلة بأهلها»^(٢) .

ومن الزلازل ما وقع عام (٢٤٩ هـ) حيث أصاب الري زلزلة شديدة جداً ،
وتبعتهار جفة هائلة تهدمت منها الدور ، ومات منها خلق كثير^(٣) .

ومن صور الغلاء الشديد الذي حل بالمسلمين بسبب ذنوبهم ما ذكره ابن
كثير في حوادث سنة (٢٦٠ هـ) من أنه وقع فيها « غلاء شديد ببلاد الإسلام
كلها ؛ حتى أجلي أكثر أهل البلدان منها إلى غيرها ، ولم يبق بمكة أحد من
المجاورين حتى ارتحلوا إلى المدينة وغيرها من البلاد ، وخرج نائب مكة منها ،

(١) تاريخ الخلفاء للإمام السيوطي ص ٣٧٩ ، تحقيق قاسم الرفاعي ومحمد العثماني ، نشر دار
القلم-بيروت-لبنان- ط . الأولى-١٤٠٦ هـ.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (١٠/٦٤-٦٥).

(٣) البداية والنهاية (٥/١١).

وبلغ كر الشعير ببغداد مائة وعشرين ديناراً ، واستمر ذلك شهوراً^(١) .
وهكذا كانت الحالة الاجتماعية في عهد الإمام ابن نصر ؛ حيث انحرف
الخلفاء عن النهج القويم ، بالرغم من وجود كثير من العلماء والدعاة المخلصين
الذين لم يأت مثلهم في عصر من بعدهم ، كما سيأتي عند الكلام على الناحية
العلمية ، ولكن حب الشهوات كانت كفته عميل عند الخلفاء ؛ مما تسبب في
تسلط الأعداء وترك عليهم ، وفقد الأمن ، وكثرت المعاصي والذنوب ؛ مما
عجل الله عقوبته لهم ، لعلمهم يثوبون ، وإلى الله يعودون .



المبحث الثالث الحالة العلمية

تقدم أن عدم الاستقرار وكثرة الانقسام والتنافس على الحكم والثورات والحروب والفواجع ، وتسلبت الفرس ثم الترك من بعدهم على الخلفاء ؛ هي السمة السائدة في القرن الثالث الهجري ، وهو القرن الذي عاش الإمام ابن نصر أكثر من تسعة عقود منه .

ولم يخل هذا الاضطراب السياسي من نزوج علمي باهر ، نتيجة لتلك الحركة العلمية المباركة التي بدأت من عهد الصحابة فالتابعين فتابع التابعين ومن بعدهم .

ومن أسباب النهضة العلمية اهتمام الخلفاء بالعلم وإكرام أهله ، بل إن بعض الخلفاء كانوا على جانب من العلم كبير ، لأن آباءهم عهدوا بهم إلى مربين صالحين ، وعلماء بارعين ، لذا كانت مجالسهم مدارس يلتقي فيها العلماء وتثار فيها القضايا والمسائل العلمية .

فكان هذا القرن هو القرن الذهبي لتدوين العلوم الإسلامية ، وكان أزهى عصور الإسلام الثقافية والعلمية ، فنشأ فيه أئمة عظام خدموا العلم الشرعي خدمة عظيمة وكان من بعدهم عائلة عليهم ، « وقد اعتبر العلماء القرن الثالث أسعد عصور السنة وأزهاها ، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدها الأمة ، ونشطت رحلة العلماء ، وكان اعتمادهم على الحفظ والتدوين معاً ، فكان

النشاط العلمي قوياً خلاله ، فبرز العلماء والنقاد ، وتجلت ثمار هذا النشاط في تدوين الصحاح ، وقد اقتصر دور العلماء في القرون التالية على الجمع بين كتب السابقين ، أو اختصارها بحذف الأسانيد ، أو تهذيبها ، أو إعادة ترتيبها»^(١) .

ففي هذا القرن تم تدوين أمهات كتب الحديث ، فبدأ أولاً على طريقة المسانيد ، وذلك بأن جمعوا أحاديث كل صحابي على حدة ، وإن اختلفت المواضيع ، حتى تجاوز عدد المسانيد التي دونت في القرن الثالث تسعة وعشرين مسنداً^(٢) .

ومن أشهرها مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، والذي تجاوز عدد أحاديثه الثلاثين ألف حديث .

ثم بدأ التصنيف على أبواب الفقه ، فصنف الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) كتابه الجامع الصحيح الذي هو أصح كتاب بعد كتاب الله ، ثم اتبعه الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، وهذان الكتابان هما أصح كتب الحديث على الإطلاق .

ثم دونت السنن الأربعة : أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، والترمذي محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) ، والنسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) ، وابن ماجه محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ) .

(١) بحوث في تاريخ تدوين السنة النبوية لأكرم ضياء العمري ص ٢٣٩ - ط . الرابعة - ١٤٠٥هـ .

(٢) اهتمام المحدثين بنقد الحديث للدكتور محمد لقمان السلفي ص ١١٣ - ط . الأولى - ١٤٠٨هـ .

كما نشطت العلوم المتصلة بالحديث ، كالنقد وتمييز الصحيح من الضعيف ، والجرح والتعديل ، و« يمكننا أن نجزم أن المؤلفات التي ظهرت في النقد بعد هذا العصر كان أساسها تلك الكتب التي وجدت في العصر الذي يمتد من يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨هـ) إلى يحيى بن معين (١٥٨-٢٣٣هـ) ، وابن المديني (١٦١-٢٣٤هـ) ، والإمام أحمد (١٦٤-٢٤١هـ) . وأن الذين جاءوا بعد هؤلاء كانوا عيالاً عليهم فيما ذكروا في مؤلفاتهم ، ولذلك عندما نتصفح كتب النقد الموجودة ، نجد أنها لا تكاد تخلو من أقوالهم ومرثياتهم»^(١) .

كما نشطت العلوم المتعلقة بالقرآن كالقراءات ، ومن علمائها أبو عبد الرحمن المقرئ (ت ٢١٣هـ) ، وخلف بن هشام البزار (ت ٣٢٩هـ) .
والتفسير ، ومن أشهر المفسرين الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ونشطت العلوم الأخرى كالفقه والنحو واللغة وغيرها من العلوم .

وقد واكب تدوين هذه العلوم تدوين العقيدة السلفية ، فكثير ممن عني بالحديث وعلومه اعتنى بعقيدة أهل السنة والجماعة ، بياناً للناس وذباً عنها ورداً على أهل البدعة والضلال ، ذلك لما سببته حركة الترجمة من تعكير لعقائد المسلمين وبلبلة لأفكارهم ، نظراً لما تحتويه الكتب المترجمة من وثنيات وشركيات وسفسطة ، فكدرت المنبع الصافي ، وتفرق المسلمون بسببها وأصابهم شر مستطير .

(١) اهتمام المحدثين بنقد الحديث للدكتور محمد لقمان السلفي ص ١١٣ .

ومن أشهر العلماء الذين دافعوا عن عقيدة السلف ونصروها نصراً مؤزراً:

١ - الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) ، له كتاب الإيمان^(١) .

٢ - الإمام أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) ، له كتاب الإيمان^(٢) .

٣ - الإمام المبجل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، وله عدة كتب منها الرد على الجهمية^(٣) .

٤ - الإمام محمد بن يحيى العدني (ت ٢٤٣هـ) ، له كتاب الإيمان^(٤) .

٥ - الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، له كتاب خلق أفعال العباد^(٥) .

٦ - الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) ، له كتاب الاختلاف والرد على الجهمية^(٦) .

٧ - الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٢هـ) ، في كتابيه: الرد على الجهمية^(٧) ، والرد على بشر المريسي^(٨) .

(١) طبع بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ونشرته دار الأرقم - الكويت ، ضمن أربع رسائل .

(٢) طبع بتحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ونشرته دار الأرقم - الكويت ، ضمن أربع رسائل .

(٣) طبع بتحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة ، ونشرته دار اللواء بالرياض .

(٤) طبع بتحقيق حمد بن حمدي الحرابي ، ونشرته الدار السلفية - الكويت .

(٥) طبع بتحقيق د . عبد الرحمن عميرة ، ونشرته دار عكاظ - جدة .

(٦) طبع بتحقيق عمر بن محمود أبو عمرو ، ونشرته دار الراية بالرياض .

(٧) طبع بتحقيق بدر البدر ، ونشرته الدار السلفية - الكويت .

(٨) طبع بتحقيق محمد حامد الفقي ، ونشرته دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

- ٨- الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ)، له كتاب السنة^(١) .
- ٩- الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، له كتاب صريح السنة^(٢) ،
وكتاب تهذيب الآثار^(٣) .
- ١٠- الإمام أبو بكر أحمد بن محمد الخلال (ت ٣١١هـ) ، له كتاب السنة^(٤) .
- ١١- الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، له كتاب التوحيد
وإثبات صفات الرب عز وجل^(٥) .
- وقد أسهم الإمام ابن نصر مع هؤلاء العلماء إسهاماً كبيراً في نشر العلم
والدفاع عن عقيدة السلف الصالح ، كما سيظهر من خلال بيانه لعقيدة
السلف ورده على الفرق الضالة .



- (١) طبع بتحقيق شيخنا الدكتور محمد بن سعيد القحطاني ، ونشرته دار ابن الجوزي عام
١٤٠٦هـ في مجلدين .
- (٢) طبع بتحقيق بدر يوسف المعتوق ، نشرته دار الخلفاء الإسلامي - الكويت .
- (٣) طبع بتحقيق الدكتور ناصر الرشيد ، ود . عبد القيوم عبد رب النبي علي نفقة الملك فهد بن
عبد العزيز ، مطابع الصفا بمكة - ١٤٠٢هـ .
- (٤) طبع ثلاثة أجزاء منه في مجلد بتحقيق الدكتور عطية الزهراني ، نشرته دار الراجعية - الرياض -
ط . الأولى - ١٤١٠هـ .
- (٥) طبع بتحقيق الدكتور عبد العزيز الشهوان ، ونشرته دار الرشد - الرياض - ط . الأولى
١٤٠٨هـ في مجلدين .

المبحث الرابع

حياته الشخصية

أولاً : اسمه (*) :

لما كان الإمام ابن نصر عالماً من أعلام القرن الثالث الهجري ؛ فقد ترجم له عدد كبير ممن صنف في تراجم الرجال .

(*) انظر : مصادر ترجمته :

- ١- الثقات لابن حبان (ت ٣٥٤ هـ) (١٥٣/٩).
- ٢- معرفة علوم الحديث للحاكم (ت ٤٠٣ هـ) ص ٨٢.
- ٣- طبقات الشافعية للعبادي (ت ٤٥٨ هـ) ص ٤٩-٥٠.
- ٤- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) (٣١٨-٣١٥/٣).
- ٥- طبقات الفقهاء للشيرازي (ت ٤٧٦ هـ) ص ٨٧-٨٨.
- ٦- المنتظم لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) (٦٦-٦٣/٦).
- ٧- صفة الصفوة لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) (١٤٨-١٤٧/٤).
- ٨- الحث على طلب العلم وذكر كبار الحفاظ لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ص ١١٣.
- ٩- الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) (٥٥٣/٧).
- ١٠- تهذيب الأسماء واللغات للنووي (ت ٦٧٦ هـ) (٩٤-٩٢/١/١).
- ١١- المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء (ت ٧٣٢ هـ) (٦١/٢).
- ١٢- تذكرة الحفاظ للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) (٦٥٠/٢).
- ١٣- سير أعلام النبلاء للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) (٤٠- ٣٣/١٤).
- ١٤- دول الإسلام للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) (١٧٨/١).
- ١٥- العبر للذهبي (ت ٧٤٨ هـ) (٩٩/٢).
- ١٦- الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤ هـ) (١١١/٥).
- ١٧- مرآة الجنان للياضي (ت ٧٦٨ هـ) (٢٢٣/٢).

وقد ذكرت كتب التراجم اسمه واسم أبيه ونسبته : « محمد بن نصر المروزي ».

واختلف في اسم جده ، ولم يذكره سوى الذهبي وابن هداية الله . وذكر ابن هداية الله اسم جده يحيى^(١) ، وذكر الذهبي اسم جده الحجاج ، وقال :

- ١٨ - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ت ٧٧١هـ) (٢٢/٢) =
 ١٩ - طبقات الشافعية للإسنوي (ت ٧٧٢هـ) (٢/١٩٥-١٩٦)
 ٢٠ - البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤هـ) (١١/١٠٩-١١٠)
 ٢١ - الوفيات لابن قنفذ (ت ٨٠٩هـ) ص ١٩٥
 ٢٢ - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) (١/٨٤)
 ٢٣ - تهذيب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) (٩/٤٣٢-٤٣٣)
 ٢٤ - تقريب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) ص ٥١٠
 ٢٥ - النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) (٣/١٦١)
 ٢٦ - حسن المحاضرة للسيوطي (ت ٩١١هـ) (١/٣١٠-٣١٢)
 ٢٧ - طبقات الحفاظ للسيوطي (ت ٩١١هـ) ص ٢٨٥
 ٢٨ - مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) (٢/٣١٠)
 ٢٩ - شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ت ١٠٣٢هـ) (٢/٢١٧-٢١٦)
 ٣٠ - هدية العارفين للبغدادي (٦/٢١)
 ٣١ - معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (١٢/٧٨)
 ٣٢ - الأعلام للزركلي (٧/٣٤٦)
 ٣٣ - تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين (٢/١٨١-١٨٢)
 ٣٤ - مقدمة اختلاف الفقهاء تحقيق الشيخ صبحي السامرائي .
 ٣٥ - مقدمة اختلاف الفقهاء تحقيق الشيخ محمد طاهر حكيم .
 ٣٦ - مقدمة تعظيم قدر الصلاة تحقيق الدكتور عبد الرحمن عبد الجبار .
 ٣٧ - مقدمة تعظيم قدر الصلاة تحقيق الدكتور محمد سليمان الريشي .
 (١) طبقات الشافعية لابن هداية الله ص ٣٤ ، تحقيق : عادل نويهض ، نشر دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان - ط . الثالثة ١٤٠٢هـ .

ولم يرفع لنا في نسبه^(١) .

ثانياً : كنيته :

أجمعت كتب التراجم على أن الإمام ابن نصر يكنى بأبي عبد الله .

ثالثاً : نسبه :

ينسب الإمام ابن نصر إلى - مرو - وهي أشهر مدن خراسان وأكبرها ، ومدن خراسان الكبار أربع : نيسابور - هراة - بلخ - مرو^(٢) . وابن نصر لم يولد في مرو ، وإنما نسب إليها لأن أباه كان منها .

رابعاً : مولده ونشأته :

اتفقت كتب التراجم على أن ولادة الإمام ابن نصر كانت سنة (٢٠٢هـ) ، وكذلك ما صرح به المروزي عن نفسه حيث يقول : « ولدت سنة اثنتين ومائتين ، وتوفي الشافعي سنة أربع ومائتين وأنا ابن ستين ، وكان أبي مروزيّاً ، وولدت أنا ببغداد ، ونشأت بنيسابور ، وأنا اليوم بسمرقند ، ولا أدري ما يقضي الله فيّ »^(٣) .

ولم يخالف إلا ابن حبان حيث ذكر أن ولادته عام (٢٠٠هـ) ، وابن نصر أعلم بتاريخ ولادته من ابن حبان .

(١) سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان - ط . الرابعة ١٤٠٦هـ .

(٢) معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/١١٣) ، نشر دار صادر للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٤هـ .

(٣) تاريخ بغداد (٣/٣١٦) للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، نشر دار الكتاب - بيروت - لبنان - ط بدون ، وانظر : تهذيب التهذيب (٩/٤٣٢) لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، نشر دار الفكر - ط . الأولى ١٤٠٤هـ .

فنشأة ابن نصر الأولى كانت بنيسابور ، وطلب العلم أولاً هناك ، وسمع من يحيى بن يحيى التميمي ، وأبي خالد يزيد بن صالح ، وعمر بن زرارة ، وصدقة بن الفضل المروزي ، وإسحاق بن راهويه ، وعلي بن حجر (١) .

ونظراً لما يتمتع به ابن نصر من ذكاء وفطنة وحرص على طلب العلم ؛ فقد أصبح أحد رجال خراسان المشهورين الذين يرحل إليهم ، ويقصدون بالفتيا دون غيرهم .

قال أبو ذر محمد بن محمد بن يوسف القاضي : كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون : رجال خراسان أربعة : ابن المبارك ، وابن راهويه ، ويحيى ابن يحيى ، ومحمد بن نصر (٢) .

خامساً : صفاته الخلقية والخلقية :

وصف محمد بن يعقوب بن الأخرم الإمام ابن نصر فقال : كان من أحسن الناس خلقاً ، كأنما فقى في وجهه حب الرمان ، وعلى خديه كالورد ، ولحيته بيضاء (٣) .

وقال الإسني : وكان من أحسن الناس صورة ذا لحية بيضاء (٤) .

وقال الذهبي : وكان مليح الصورة (٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٣٣/١٤) .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٣٤٧/٢) ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، طبع بمؤسسة عيسى البابي وشركائه - الطبعة الأولى .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي (٤٢/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٣٧/١٤) .

(٤) طبقات الشافعية (١٩٦/٢) .

(٥) تذكرة الحفاظ (٦٥٢/٢) ، نشر دار إحياء التراث العربي ، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع .

هذه بعض صفات ابن نصر الخلقية (بفتح الخاء) ، أما صفاته الخلقية (بضم الخاء)؛ فقد كان يتميز برجاحة في عقله ، إذ قال أبو بكر بن إسحاق الصبغي : لم نر بعد يحيى بن يحيى من فقهاء خراسان إماماً أعقل من محمد ابن نصر^(١) .

وقيل له : ألا تنظر إلى تمكن أبي علي الثقافي في عقله ؟ فقال : ذاك عقل الصحابة والتابعين من أهل المدينة ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : إن مالكا كان من أعقل أهل زمانه ، وكان يقال : صار إليه عقل الذي جالسهم من التابعين ، فجالسه يحيى بن يحيى النيسابوري ، فأخذ من عقله وسمته ، ثم جالس يحيى بن يحيى محمد بن نصر سنين حتى أخذ من سمته وعقله ، فلم ير بعد يحيى من فقهاء خراسان أعقل من ابن نصر ، ثم إن أبا علي الثقافي جالسه أربع سنين فلم يكن بعده أعقل من أبي علي^(٢) .

وقال السبكي : أحد أعلام الأمة وعقلائها وعبادها^(٣) .

سادساً : أسرته وأولاده :

لم يرد في كتب التراجم إلا شيء يسير عن أسرة هذا العالم الجليل ، فما ذكروه عن أسرته :

- ١ - أنه تزوج أخت يحيى بن أكثم القاضي ، واسمها خن بمعجمة ثم نون^(٤) .
- ٢ - أن له جارية كما أخبر هو بذلك في قصته عندما سافر من مصر إلى مكة

(١) تذكرة الحفاظ (٢/٦٥١) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٤-٣٥) .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٤٦) .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٩) .

يريد الحج ، وسيأتي ذكر القصة كاملة عند ذكر كراماته .

٣- ذكر له من الأولاد إسماعيل ، وقد رزق به على كبر . قال أبو الفضل بن محمود : « كان أبو عبد الله يثمنى على كبر سنه أن يولد له ابن ، فكنا عنده يوماً من الأيام فتقدم إليه رجل من أصحابه فساره في أذنه بشيء ، فرفع أبو عبد الله يديه فقال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ ﴾^(١) ، ثم مسح وجهه بباطن كفيه »^(٢) .

وابنه إسماعيل ممن روى عنه ، ولم يكن صاحب سيرة حميدة ، حيث روى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي محمد الثقي - وهو عبد الله بن محمد - يقول : « سمعت جدي يقول : جالست أبا عبد الله المروزي أربع سنين فلم أسمع في طول تلك المدة يتكلم في غير العلم ، إلا أنني حضرته يوماً وقيل له عن ابنه إسماعيل وما كان يتعاطاه : لو وعظته أو زبرته ؟ فرفع رأسه ثم قال : أنا لا أفسد مروءتي بصلاحيه »^(٣) .

٤- ولده عبد الله الذي كان يتكنى به ولم يرد عنه شيء ، ولا أدري هل ولد له أم هي كنيته فقط ؟

سابعاً : وضعه الاقتصادي :

كان للإمام ابن نصر شريك مضارب ، حيث ذكر الذهبي أن أبا عبد الله بن الأخرم قال : « انصرف محمد بن نصر من الرحلة الثانية سنة ستين ومئتين فاستوطن نيسابور ، فلم تزل تجارته بنيسابور ، أقام مع شريك له مضارب ،

(١) إبراهيم : ٣٩ .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٥٢) ، وانظر : البداية والنهاية (١١/١١٠) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/٣١٧) .

وهو يشتغل بالعلم والعبادة»^(١).

وكان رحمه الله له موارد ثابتة من بعض الأمراء والأهالي ، من ذلك ما ذكره الذهبي أن : « إسماعيل بن أحمد - والي خراسان - يصل محمد بن نصر في العام بأربعة آلاف درهم ، ويصله أخوه إسحاق بمثلها ، ويصل أهل سمرقند بمثلها ، فكان ينفقها من السنة إلى السنة ، من غير أن يكون له عيال .

فقل له : لو ادخرت لنائبة ؟

فقال : سبحان الله ! أنا بقيت بمصر كذا وكذا سنة ، قوتي وثيابي وكاغدي وحبري وجميع ما أنفقه على نفسي في السنة عشرون درهما ، فترى إن ذهب ذا لا يبقى ذاك»^(٢).



(١) سير أعلام النبلاء (٣٦/١٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٧/١٤).

المبحث الخامس

حياته العلمية

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : طلبه العلم ورحلاته .

المطلب الثاني : شيوخ وتلاميذ الإمام ابن نصر .

المطلب الثالث : مذهبه الفقهي ومكانته العلمية وثناء

العلماء عليه .

المطلب الرابع : حسن عبادته وتمسكه بالسنة وكراماته .

المطلب الخامس : مؤلفاته .

المطلب السادس : وفاته .

المطلب الأول

طلبه للعلم ورحلاته :

تقدم أن الإمام ابن نصر نشأ بنيسابور فسمع من يحيى بن يحيى التميمي ، وأبي خالد يزيد بن صالح ، وعمر بن زرارة ، وصدقة بن الفضل المروزي ، وإسحاق بن راهويه ، وعلي بن حجر (١) .

ثم سلك طريق العلماء في عصره الذين اشتهروا بالرحلة في طلب العلم ، وتركوا ديارهم وأوطانهم ، حرصاً على العلم وطلبه وتدوين حديث المصطفى ﷺ ، والتلقي من أفواه العلماء مباشرة ، وطلب علو الإسناد ، حتى إنهم يعيرون ويضعون قدر من لم يرحل في طلب العلم .

قال يحيى بن معين : « أربعة لا تؤنس منهم رشداً . . . ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث » (٢) .

وقال العلامة ابن خلدون : « إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم ، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم ، وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقيناً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً ، وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٣) .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٩ للحاكم ، نشر دار إحياء العلوم ببيروت . ط . الأولى .

الملكات ورسخوها . . . فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال»^(١) .

وقد رحل الإمام ابن نصر عدة رحلات إلى عدة بلاد وأخذ من علمائها .

يقول الذهبي رحمه الله بعد أن ذكر بعض علماء خراسان الذين تتلمذ عليهم ابن نصر وسمع منهم : « وبالري : محمد بن مهران الحمال ، ومحمد ابن مقاتل ، ومحمد بن حميد ، وطائفة .

ويبغداد : محمد بن بكار الريان ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، والطبقة .

وبالبصرة : شيبان بن فروخ ، وهديبة بن خالد ، وعبد الواحد بن غياث ، وعدة .

وبالكوفة : محمد بن عبد الله بن نمير ، وهناد ، وابن أبي شيبة ، وطائفة .
وبالمدينة : أبا مصعب ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وطائفة .

وبالشام : هشام بن عمار ، ودحيماً .

وبمصر : يونس الصدفي ، والربيع المرادي ، وأبي إسماعيل المزني ، وأخذ عنه كتب الشافعي ضبطاً وتفقهاً »^(٢) .

وقد رحل رحمه الله إلى بلاد كثيرة ، حيث يقول الخطيب البغدادي :
« رحل إلى سائر الأمصار في طلب العلم »^(٣) .

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٥٤١ نشر دار الباز - مكة - ط . الرابعة - ١٣٩٨ هـ .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٣ - ٣٤) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/١١٥) .

وقال الحافظ ابن كثير : « رحل في الآفاق ، وسمع من المشائخ الكثير النافع »^(١) .

وبالنظر في وفيات شيوخ ابن نصر الذين رحل إليهم وأخذ منهم ؛ يتبين أنه رحل مبكراً ؛ حيث توفي شيخه يحيى بن يحيى سنة (٢٢٦هـ) ، وقد كان نزيل خراسان ، وتوفي شيخه محمد بن مقاتل سنة (٢٢٦هـ) أيضاً ، وكان نزيل بغداد ، وهذا يعني أن الإمام ابن نصر قد رحل قبل أن يصل عمره (٢٤ عاماً) .

أما رحلته الثانية فعاد منها عام (٢٦٠هـ) وعمره (٥٨ عاماً) . قال الذهبي : « قال أبو عبد الله بن الأخرم : انصرف محمد بن نصر من الرحلة الثانية سنة ستين ومثتين ، فاستوطن سمرقند »^(٢) .



(١) البداية والنهاية (١١/١٠٩) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦) .

المطلب الثاني

شيوخ وتلاميذ الإمام ابن نصر

أولاً: شيوخ الإمام ابن نصر :

عاش الإمام ابن نصر قرابة قرن من الزمان ، زخر بعدد وافر من أئمة الإسلام الذين اختارهم الله لحفظ دينه ونشره بين الناس ، حتى قال ابن الجوزي : « سمع من خلق في البلدان البعيدة والقريبة »^(١) .

ومن أبرز هؤلاء الذين أخذ عنهم الإمام ابن نصر : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري ، وأبو حاتم الرازي ، وأبو زرعة ، وقبلهم إسحاق بن راهويه ، الذي أكثر عنه ابن نصر ، وغيرهم كثير .

وقد طلب الإمام ابن نصر العلم منذ صغر سنه ، ورحل إلى أقطار شتى كعادة العلماء البارزين المتقدمين ، فجد واجتهد في تحصيل العلم وجمعه ، وكان للعلماء البارزين الكبار أثر في شخصيته ، فكان خير خلف لخير سلف .

ومن خلال دارسة كتب الإمام ابن نصر والنظر فيها ؛ تبين أن الإمام قد تلقى العلم على يد عدد كبير من العلماء .

وفيما يلي أسماء بعض شيوخ الإمام ابن نصر الذين روى عنهم مرتبة على حروف المعجم :

(١) الحث على حفظ العلم ص ١١٣ ، تحقيق : مروان العظيمة ، نشر دار الهجرة - بيروت . ط الأولى ١٤٠٩ هـ .

- ١ - إبراهيم بن الحسن بن نجيح العلاف الباهلي المقرئ البصري ، ثقة ، (ت ٢٣٥هـ) (١) .
- ٢ - إبراهيم بن راشد بن سليمان الأدمي ، أبو إسحاق ، قال ابن حبان : كتبنا عنه ببغداد ، وهو صدوق ، (ت ٢٦٤هـ) (٢) .
- ٣ - إبراهيم بن سعيد الجوهري ، أبو إسحاق الطبري ، نزيل بغداد ، ثقة حافظ ، تكلم فيه بلا حجة (٣) .
- ٤ - إبراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي ، أبو إسحاق ، نزيل بغداد ، صدوق حافظ ، تكلم فيه بسبب القرآن (ت ٢٤٤هـ) (٤) .
- ٥ - إبراهيم بن المنذر الحزامي ، صدوق تكلم فيه أحمد لأجل القرآن ، (ت ٢٣٦هـ) (٥) .
- ٦ - إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني ، نزيل دمشق ، ثقة حافظ ، رمي بالنصب ، (ت ٢٥٩هـ) (٦) .

(١) روى عنه في الصلاة (٣٢٢/١) ح (٣٢٣) ، وانظر ترجمته في : الجرح والتعديل (٩٢/٢) لابن أبي حاتم ، نشر دار الفكر - ط . الأولى - ١٣٧٢هـ ، والتقريب (ص/٨٩) (١٦٥) للحافظ ابن حجر ، تحقيق : محمد عوامة ، نشر دار الرشيد - حلب - ط . الأولى - ١٤٠٦هـ .

(٢) روى عنه في الصلاة (٤٢٠/١) ح (٤١٥) ، وانظر ترجمته في الجرح والتعديل (٩١/١) .

(٣) روى عنه في الصلاة (٦٢٢/٢) ح (٦٧٢) ، وانظر ترجمته في التقريب (ص/٨٩) (١٧٩) .

(٤) روى عنه في الصلاة (٦٨٥/٢) ح (٧٥١) ، وانظر : التقريب (ص/٩٠) (١٩٣) .

(٥) ذكر الذهبي أن ابن نصر سمع منه بالمدينة .

سير أعلام النبلاء (٣٤/١٤) . وانظر : التقريب (ص/٩٤) (٢٥٣) .

(٦) روى عنه في الصلاة (٩٢٧/٢) ، وانظر ترجمته في التقريب (ص/٩٥) (٢٧٣) .

- ٧ - أحمد بن إبراهيم الدروقي البغدادي ، ثقة حافظ ، (ت ٢٤٦هـ)^(١) .
- ٨ - أحمد بن أزهر بن منيع ، أبو الأزهر العبدي النيسابوري ، صدوق ، كان يحفظ ثم كبر فصار كتابه أثبت من حفظه ، (ت ٢٦٣هـ)^(٢) .
- ٩ - أحمد بن أبي بكر بن الحارث بن زرارة الزهري ، أبو بكر مصعب الزهري المدني الفقيه ، صدوق ، (ت ٢٤٢هـ)^(٣) .
- ١٠ - أحمد بن بكر بن سيف ، أبو سعيد ، قال ابن حبان : مستقيم الأمر في الحديث ، (ت ٢٧٤هـ)^(٤) .
- ١١ - أحمد بن حفص بن عبد الله بن راشد السلمي النيسابوري ، قال النسائي : صدوق قليل الحديث ، قال ابن حجر : أمر مسلم بالكتابة عنه . مات سنة (٢٥٨هـ)^(٥) .
- ١٢ - أحمد بن حنبل الشيباني المروزي^(٦) .

- (١) روى عنه في الصلاة (٩٩/١) ح (١٤) ، وانظر : التقريب (ص ٧٧) (٣) .
- (٢) روى عنه في الصلاة (٤٨٥/١) ح (٥١٩) ، وانظر : التقريب (ص ٧٧) (٥) .
- (٣) ذكره الذهبي في السير (٣٣/١٤) ، وانظر : التقريب (ص ٧٨) (١٧) .
- (٤) روى عنه ابن نصر في الصلاة (٦٤٢/٢) ح (٦٩٧) ، وانظر : الشقات لابن حبان (٥١/٨) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدرآباد - الهند - ط . الأولى - ١٣٩٨هـ .
- (٥) روى عنه ابن نصر في الصلاة (٤٤٤/١) ، ح (٤٥٧) ، وانظر : التهذيب (١/٢١-٢٢) (٣٣) في حديث (٦٣٩) محمد بن حفص ، والصواب أحمد بن حفص ، والله أعلم .
- (٦) ذكره الذهبي في السير (٢٠٢/١١) ، وقال : « قال ابن أسلم : سمعت محمد بن نصر المروزي يقول : صرت إلى دار أحمد بن حنبل مراراً ، وسألته عن مسائل ، فقبل له : أكان أكثر حديثاً أم إسحاق ؟ قال : بل أحمد أكثر حديثاً ، وأورع ، أحمد فاق أهل زمانه » .

- ١٣- أحمد بن سعيد الدارمي ، أبو جعفر السرخسي ، ثقة حافظ ، (ت ٢٥٣هـ) (١).
- ١٤- أحمد بن سيار بن أيوب ، أبو الحسن المروزي الفقيه ، ثقة حافظ ، (ت ٢٦٨هـ) (٢).
- ١٥- أحمد بن عمر (٣).
- ١٦- أحمد بن عبد الرحمن بن بكار بن عبد الملك بن الوليد بن بسر ، يكنى أبا الوليد البصري ، صدوق تكلم فيه بلا حجة ، (ت ٢٤٨هـ) (٤).
- ١٧- أحمد بن عبد الرحمن بن وهب بن مسلم المصري ، أبو عبيد الله ، صدوق تغير بأخرة ، (ت ٢٦٤هـ) (٥).
- ١٨- أحمد بن عبدة بن موسى الضبي ، أبو عبد الله البصري ، ثقة رمي بالنصب ، (ت ٢٧٩هـ) (٦).
- ١٩- أحمد بن عمرو الباذغيسي ، قال ابن حبان : يروي عن سفيان بن عيينة ووكيع ، روى عنه محمد بن نصر المروزي ، وكان يقيم بنيسابور ، فليست أدري أهو أحمد بن حريش ، أو آخر غيره ، ويشبه أن يكون أحمد بن حريش بن عمرو ، كان أبو عبد الله أسقط اسم أبيه ، فإن لم يكن كذلك فهو شيخ مستقيم (٧).

(١) روى عنه ابن نصر في الصلاة (٤٣٣/١) ح (٤٣٥) ، وانظر : التقريب (ص/٧٩) (٣٩).

(٢) روى عنه في الصلاة (١١٧/١) ح (٣٢) ، وانظر : التقريب (ص/٨٠) (٤٥).

(٣) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٩٩) ، ولم أعلم من هو .

(٤) روى عنه في الصلاة (١٣٤/١) ح (٥٩) ، وانظر : التقريب (ص/٨١) (٦٥).

(٥) روى عنه في الصلاة (٦٠١/٢) ح (٦٤٠) ، وانظر : التقريب (ص/٨٢) (٦٧).

(٦) روى عنه في الصلاة (١١٤/١) ح (٢٩) ، وانظر : التقريب (ص/٨٢) (٧٤).

(٧) روى عنه في الصلاة (٤٥٩/١) ح (٤٧٦) ، وانظر : الثقات لابن حبان (٨/٣١).

٢٠- أحمد بن محمد بن أبي بكر المقدمي ، أبو عثمان ، من أهل البصرة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال ابن أبي حاتم : سمعت منه بمكة ، وهو صدوق ، (ت ٢٦٤هـ)^(١) .

٢١- أحمد بن محمد بن نيزك بن حبيب البغدادي ، أبو جعفر الطوسي ، صدوق في حفظه شيء ، (ت ٢٤٨هـ)^(٢) .

٢٢- أحمد بن منصور بن راشد الحنظلي المروزي ، لقبه زاج ، صدوق ، (ت ٢٥٨هـ)^(٣) .

٢٣- أحمد بن منصور بن سيار الرمادي ، أبو بكر ، ثقة حافظ ، طعن فيه أبو داود لمذهبه في الوقف في القرآن ، (ت ٢٦٥هـ)^(٤) .

٢٤- أحمد بن منيع بن عبد الرحمن ، أبو جعفر البغوي ، نزيل بغداد ، الأصم ، ثقة حافظ ، (ت ٢٤٤هـ)^(٥) .

٢٥- أحمد بن يوسف المعروف بحمدان بن يوسف السلمى النيسابوري^(٦) .

٢٦- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو محمد بن راهويه المروزي ، ثقة حافظ ، مجتهد ، قرين الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٣٨هـ) ، وقد

(١) روى عنه في الصلاة (١/٢٢١) ح (١٩٨) ، وانظر : الجرح والتعديل (٧٣/٢) ، والثقات لابن حبان (٥٤/٨) .

(٢) روى عنه في الصلاة (١/١٣١) ح (٥٧) ، وانظر : التقريب (ص/٨٤) (١٠١) .

(٣) روى عنه في الصلاة (٢/٦٣٥) ح (٦٩٠) ، وانظر : التقريب (ص/٨٥) (١١٢) .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/١٦٠) ح (١٠١) ، وانظر : التقريب (ص/٨٥) (١١٣) .

(٥) روى عنه في الصلاة (١/٢٥٩) ح (٢٥١) ، وانظر : التقريب (ص/٨٥) (١١٤) .

(٦) روى عنه في الصلاة (٢/٨١٧) ح (٨١٣) ، وانظر : الجرح والتعديل (٨١/٢) .

- روى عنه ابن نصر أحاديث كثيرة^(١) .
- ٢٧- إسحاق بن منصور بن بهرام الكوسج ، أبو يعقوب التميمي المروزي ، ثقة ثبت ، (ت ٢٥١هـ)^(٢) .
- ٢٨- إسحاق بن موسى بن عبد الله الخطمي ، أبو موسى المدني ، قاضي نيسابور ، ثقة متقن ، (ت ٢٤٤هـ)^(٣) .
- ٢٩- إسماعيل بن يحيى المزني المصري ، أبو إبراهيم ، الفقيه الإمام ، صاحب التصانيف ، أخذ عن الشافعي ، (ت ٢٦٤هـ)^(٤) .
- ٣٠- بحر بن نصر بن سابق الخولاني مولا هم المصري ، أبو عبد الله ، ثقة ، (ت ٢٦٧هـ)^(٥) .
- ٣١- بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي النيسابوري ، أبو عبد الرحمن ، ثقة زاهد فقيه ، (ت ٢٣٧هـ) ، وقيل : (٢٣٨هـ)^(٦) .
- ٣٢- جعفر بن عمار^(٧) .

(١) روى عنه في الصلاة (١٦/١) ح (١) ، (ص/٩٩) (٣٣٢) .

(٢) روى عنه في الصلاة (٥١٢/٢) ح (٥٦٨) ، وانظر : التقريب (ص/١٠٣) (٣٨٤) .

(٣) روى عنه في الصلاة (٢٠٧/١) ح (١٧٦) ، وانظر : التقريب (ص/١٠٣) (٣٨٦) .

(٤) ذكر الذهبي أن ابن نصر أخذ عنه كتب الشافعي ضبطاً وفقهاً ، وتصحف الاسم إلى أبي إسماعيل المزني . السير (١٤/٣٤) .

وانظر : طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/٥٨) ، تصحيح وتعليق : عبد العليم خان ، نشر عالم الكتب- بيروت - ط . الأولى - ١٤٠٧ هـ .

(٥) روى عنه في الصلاة (٥٩٠/٢) ح (٦٢٢) ، وانظر : التقريب (ص/١٢٠) (٦٣٩) .

(٦) روى عنه في الصلاة (١٥٤/١) ح (٩٢) ، وانظر : التقريب (ص/١٢٣) (٦٨٣) .

(٧) روى عنه في الصلاة (٤٥٩/١) ح (٤٧٧) ، ولم أجد من ترجم له فيما عندي من مراجع .

٣٣- حامد بن عمر بن حفص بن عمر بن عبيد الله بن أبي بكره الثقفي البكرائي، أبو عبد الرحمن البصري قاضي كرمان، ثقة، (ت ٢٣٣هـ)^(١).

٣٤- حجاج بن أبي يعقوب يوسف بن حجاج الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر، ثقة حافظ، (ت ٢٥٩هـ)^(٢).

٣٥- الحسن بن يحيى بن الجعد العبدي، أبو علي ابن أبي الربيع الجرجاني، نزيل بغداد، صدوق، (ت ٢٦٣هـ)^(٣).

٣٦- الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، أبو علي البغدادي، صاحب الشافعي، ثقة، (ت ٢٦٠هـ)^(٤).

٣٧- الحسين بن علي بن الأسود العجلي، أبو عبد الله الكوفي، نزيل بغداد، صدوق يخطئ كثيراً^(٥).

٣٨- الحسين بن عيسى بن حمدان الطائي، أبو علي البسطامي القومسي، نزيل نيسابور، صدوق صاحب حديث، (ت ٢٤٧هـ)^(٦).

٣٩- الحسين بن منصور بن جعفر بن عبد الله السلمي، أبو علي النيسابوري،

(١) روى عنه في الصلاة (١/٢٤٣) ح (٢٣٠)، وانظر: التقريب (ص/١٤٩)، (١٠٦٧).

(٢) روى عنه ابن نصر في الصلاة (٢/٨٩٦) ح (٩٢٨)، وانظر: التقريب (ص/١٥٣) (١١٤٠).

(٣) روى عنه في الصلاة (١/٤٦٩) ح (٤٩٠)، وانظر: التقريب (ص/١٦٤) (١٢٩٠).

(٤) روى عنه في الصلاة (١/١٢٧) ح (٤٨)، وانظر: التقريب (ص/١٦٣) (١٢٨١).

(٥) روى عنه في الصلاة (١/٣٢٢) ح (٣٠٦)، وانظر: التقريب (ص/١٦٧) (١٣٣١).

(٦) روى عنه ابن نصر في الصلاة (١/٩٣) ح (٩)، وأحياناً يذكره بالحسن، وانظر: التقريب

(ص/١٦٨) (١٣٤٠).

ثقة فقيه ، (ت ٢٣٨هـ) (١) .

٤٠ - حفص بن عمر بن عبد العزيز ، أبو عمر الدوري المقرئ ، الضرير الأصفر ، صاحب الكسائي ، لا بأس به من العاشرة (٢) .

٤١ - حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الأزدي ، أبو أحمد بن زنجويه ، وهو لقب أبيه ، ثقة ثبت ، له تصانيف ، (ت ٢٤٨هـ) ، وقيل : (٢٥١هـ) (٣) .

٤٢ - حميد بن مسعدة بن المبارك السامي أو الباهلي ، بصري ، صدوق (ت ٢٤٤هـ) (٤) .

٤٣ - داود (٥) .

٤٤ - الربيع بن سليمان المرادي ، أبو محمد البصري المؤذن ، صاحب الشافعي ، ثقة ، (ت ٢٧٠هـ) (٦) .

٤٥ - سريج بن يونس بن إبراهيم البغدادي ، أبو الحارث ، مروزي الأصل ، ثقة عابد ، (ت ٢٣٥هـ) (٧) .

٤٦ - سعدان بن نصر بن منصور البزار البغدادي ، أبو عثمان الثقفي ، اسمه

(١) روى عنه في الصلاة (٤٧٣/١) ح (٤٩٦) ، وانظر : التقريب (ص/١٦٨) (١٣٥٢) .

(٢) ذكره ابن منده في الإيمان (١/٢٨٠) ح (١٣٥) ، وانظر : التقريب (ص/١٧٣) (١٤١٦) .

(٣) روى عنه في الصلاة (١/٤٥٢) ح (٤٦٩) ، وانظر : التقريب (ص/١٨٢) (١٥٥٨) .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/٢١١) ح (١٨٢) ، وانظر : التقريب (ص/١٨٢) (١٥٥٩) .

(٥) ذكره الخلال في السنة (١/٢٦٨) ح (٣٢٧) ، ولم أعرف من هو .

(٦) ذكر الذهبي في السير (١٤/٣٤) أن ابن نصر أخذ عنه .

(٧) روى عنه في الصلاة (١/٢٠٢) ح (١٦٧) ، وانظر : التقريب (ص/٢٢٩) (٢٢١٩) .

سعيد والغالب عليه سعدان ، ترجم له الذهبي تحت اسم سعيد بن نصير ، صدوق ، (ت ٢٦٥هـ)^(١) .

٤٧ - سعيد بن عثمان بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن العاص ، أبو عثمان ، من أهل الكوفة ، ذكره ابن حبان في الثقات ، (ت ٢٩٤هـ)^(٢) .

٤٨ - سعيد بن عمرو بن سهل الكندي الأشعبي ، أبو عثمان الكوفي ، ثقة ، (ت ٢٣٠هـ)^(٣) .

٤٩ - سعيد بن مسعود المروزي ، ذكره ابن حبان في الثقات^(٤) .

٥٠ - سعيد بن يحيى بن الأزهر بن نجيح الواسطي ، أبو عثمان ، وقد ينسب إلى جده ، ثقة ، (ت ٢٤٣هـ) ، وقيل : (٢٤٤هـ)^(٥) .

٥١ - سفيان بن وكيع بن الجراح ، أبو محمد الرؤاسي الكوفي ، كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه ، فأدخل عليه ما ليس من حديثه ، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه^(٦) .

٥٢ - سهل بن عثمان بن فارس الكندي ، أبو مسعود ، العسكري ، نزيل

(١) روى عنه في الصلاة (١/٢٥٤) ، ح (٢٤٣) ، وانظر : الجرح والتعديل (٤/٢٩٠) ، والتقريب (ص/٢٤١) (٢٤٠٤) .

(٢) روى عنه في الصلاة (١/٤٠٣) ، ح (٣٩٣) ، وانظر : الثقات لابن حبان (٨/٢٦٨) ، وتاريخ بغداد (٩/٢٠٥) .

(٣) ذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ (٢/٦٥١) .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/٣٧٣) ح (٣٦٧) ، وانظر : الثقات لابن حبان (٨/٢٧١) .

(٥) روى عنه في الصلاة (١/٢٠٩) ح (١٧٩) ، وانظر : التقريب (ص/٢٤٢) (٢٤١٤) .

(٦) روى عنه في الصلاة (١/٤٢٣) ح (٤٢٢) ، وانظر : التقريب (ص/٢٤٥) (٢٤٥٦) .

- الري ، أحد الحفاظ ، له غرائب ، (ت ٢٣٥هـ)^(١) .
- ٥٣ - شيبان بن فروخ أبي شيبه الحبطي الأيلي ، أبو محمد ، صدوق بهم ورمي بالقدر ، (ت ٢٣٥هـ) وقيل : (٢٣٦هـ)^(٢) .
- ٥٤ - صدقة بن الفضل ، أبو الفضل المروزي ، ثقة ، (ت ٢٢٣هـ)^(٣) .
- ٥٥ - عباس بن عبد العظيم بن إسماعيل العنبري ، أبو الفضل البصري ، ثقة حافظ ، (ت ٢٤٠هـ)^(٤) .
- ٥٦ - عباس بن محمد بن حاتم الدوري ، أبو الفضل البغدادي خوارزمي الأصل ، ثقة حافظ ، (ت ٢٧١هـ)^(٥) .
- ٥٧ - عباس بن الوليد بن نصر النرسي ، ثقة ، (ت ٢٣٨هـ)^(٦) .
- ٥٨ - عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي ، أبو سعيد الأشج الكوفي ، ثقة من صغار العاشرة ، مات سنة (٢٥٧هـ)^(٧) .
- ٥٩ - عبد الله بن شبيب بن خالد بن رفيف القيسي ، أبو سعيد الربيعي ، إخباري علامة لكنه واه الحديث ، قال ابن حبان : يقلب الأخبار ويسرقها ، لا يجوز الاحتجاج به^(٨) .

(١) روى عنه في الصلاة (٢٣١/١) ح (٢١٢) ، وانظر : التقريب (ص/٢٥٨) (٢٦٦٤) .

(٢) روى عنه في الصلاة (١٢٤/١) ح (٤٢) ، وانظر : التقريب (ص/٢٦٩) (٢٨٣٤) .

(٣) روى عنه في الصلاة (١٩٩/١) ح (١٥٨) ، وانظر : التقريب (ص/٢٧٥) (٢٩١٨) .

(٤) روى عنه في الصلاة (٨٩٦/٢) ح (٩٢٨) ، وانظر : التقريب (ص/٢٩٣) (٣١٧٦) .

(٥) روى عنه في الصلاة (٢٦٧/١) ح (٢٥٩) ، وانظر : التقريب (ص/٢٩٤) (٣١٨٩) .

(٦) روى عنه في الصلاة (٤٣٨/١) ح (٤٤٨) ، وانظر : التقريب (ص/٢٩٤) (٣١٩٣) .

(٧) روى عنه في كتابه السنة ص ٣٥ ، وانظر : التقريب (ص/٣٠٥) (٣٣٥٤) .

(٨) روى عنه في الصلاة (٦٠٣/٢) ح (٦٤٢) ، وانظر : تاريخ بغداد (٩/٤٧٤) ، ولسان =

- ٦٠ - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام السمرقندي ، أبو محمد الدارمي ، الحافظ صاحب المسند ، ثقة فاضل متقن ، (ت ٢٥٥هـ)^(١) .
- ٦١ - عبد الله بن محمد بن أبي شيبه إبراهيم بن عثمان ، الواسطي الأصل ، أبو بكر بن أبي شيبه الكوفي ، ثقة حافظ ، صاحب تصانيف ، (ت ٢٣٥هـ)^(٢) .
- ٦٢ - عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الجعفي ، أبو جعفر البخاري المعروف بالمسندي ، ثقة حافظ جمع المسند ، (ت ٢٢٩هـ)^(٣) .
- ٦٣ - عبد الله بن معاوية بن موسى الجمحي ، أبو جعفر البصري ، ثقة معمر ، من العاشرة ، مات سنة (٢٤٣هـ) ، وقد زاد على المائة^(٤) .
- ٦٤ - عبد الأعلى بن حماد بن نصر الباهلي مولا هم البصري ، أبو يحيى المعروف بالنورسي ، لا بأس به ، (ت ٢٣٦هـ) ، وقيل : (٢٣٧هـ)^(٥) .
- ٦٥ - عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو العثماني مولا هم الدمشقي ، أبو سعيد ، لقبه دحيم ، ثقة حافظ متقن ، (ت ٢٤٥هـ)^(٦) .

= الميزان (٢٩٩/٣) للحافظ ابن حجر ، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند ، تصوير منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ط . الثانية - ١٣٩٠هـ .

(١) روى عنه في الصلاة (٢٠٦/١) ح (١٧٥) ، وانظر : التقريب (ص/٣١١) (٣٤٣٤) .

(٢) روى عنه في الصلاة (٥٢٨/٢) ، وانظر : التقريب (ص/٣٢٠) (٣٥٧٥) .

(٣) روى عنه في الصلاة (٨٩/١) ح (٤) ، وانظر : التقريب (ص/٣٢١) (٣٥٨٥) .

(٤) روى عنه في كتابه السنة ص ٢٧ ، وانظر : التقريب (ص/٣٢٤) (٣٦٣٠) .

(٥) روى عنه في الصلاة (٦٢٧/٢) ح (٦٧٥) ، وانظر : التقريب (ص/٣٣١) (٣٧٣٠) .

(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٤/١٤) ، وانظر : التقريب (ص/٣٣٥) (٣٧٩٣) .

٦٦- عبد الواحد بن غياث البصري ، أبو بحر الصيرفي ، صندوق ،
(ت ٢٤٠هـ) (١) .

٦٧- عبدة بن سليمان الكلابي ، أبو محمد الكوفي ، يقال : اسمه عبد
الرحمن ، ثقة ، ثبت ، (ت ٢٨٧هـ) (٢) .

٦٨- عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف
الزهري ، أبو الفضل البغدادي قاضي أصبهان ، ثقة ، (ت ٢٦٠هـ) (٣) .

٦٩- عبيد الله بن سعيد بن يحيى اليشكري ، أبو قدامة السرخسي ، نزيل
نيسابور ، ثقة مأمون سني ، (ت ٢٤١هـ) (٤) .

٧٠- عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ ، أبو زرعة الرازي ، إمام حافظ
ثقة مشهور ، (ت ٢٦٤هـ) (٥) .

٧١- عبيد الله بن عمرو بن ميسرة القواريري ، أبو سعيد البصري ، نزيل
بغداد ، ثقة ، ثبت ، (ت ٢٣٥هـ) (٦) .

٧٢- عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري ، أبو عمرو
البصري ، ثقة حافظ ، (ت ٢٣٧هـ) (٧) .

-
- (١) روى عنه في الصلاة (٣٣١/١) ح (٣٢٢) ، وانظر : التقريب (ص/٣٦٧) (٤٢٤٧) .
(٢) روى عنه في الصلاة (٢٨٣/١) ح (٢٧٣) ، وانظر : التقريب (ص/٣٦٩) (٤٢٦٩) .
(٣) روى عنه في الصلاة (١٠٢/١) ح (١٨) ، وانظر : التقريب (ص/٣٧١) (٤٢٩٤) .
(٤) روى عنه في الصلاة (١٢٧/١) ح (٤٦) ، وانظر : التقريب (ص/٣٧١) (٤٢٩٦) .
(٥) روى عنه في الصلاة (٣٢٨/١) ح (٣١٨) ، وانظر : التقريب (ص/٣٧٣) (٤٣١٦) .
(٦) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٤/١٤) ، وانظر : التقريب (ص/٣٧٣) (٤٣٢٥) .
(٧) روى عنه في الصلاة (١٤٣/١) ح (٧٦) ، وانظر : التقريب (ص/٣٧٤) (٤٣٤١) .

- ٧٣- عقبة بن مكرم العمي ، أبو عبد الملك البصري ، ثقة ، (ت ٢٥٠هـ)^(١) .
- ٧٤- علي بن حجر بن إياس السعدي المروزي ، نزيل بغداد ثم مرو ، ثقة حافظ ، (ت ٢٤٤هـ)^(٢) .
- ٧٥- علي بن الحسن بن سليمان الحضرمي ، واسطي الأصل كوفي ، يعرف بأبي الشعشاء ، وكنيته أبو الحسن أو الحسين ، ثقة ، (ت سنة بضع وثلاثين ومائتين)^(٣) .
- ٧٦- علي بن الحسن بن موسى الهلالي ، وهو ابن أبي الدار بجردي ، ثقة ، (ت ٢٦٧هـ)^(٤) .
- ٧٧- علي بن سعيد بن جرير النسائي ، نزيل نيسابور ، صدوق صاحب حديث ، (ت سنة بضع وخمسين ومائتين)^(٥) .
- ٧٨- علي بن سهل بن المغيرة البزار البغدادي ، نسائي الأصل ، يعرف بالعفاني لملازمته عفان بن مسلم ، وهو ثقة^(٦) .
- ٧٩- عمرو بن زرارة بن واقد الكلابي ، أبو محمد النيسابوري ، ثقة ثبت ، (ت ٢٣٨هـ)^(٧) .

(١) روى عنه في الصلاة (٢/ ٨٤٠) ح (٨٤٧)، وانظر: التقريب (ص/ ٣٩٥) (٤٦٥١).
(٢) روى عنه في الصلاة (١/ ٣٢٣) ح (٣٠٨) ، وانظر: التقريب (ص/ ٣٩٩) (٤٧٠٠).
(٣) روى عنه في الصلاة (١/ ٢٠٣) ح (١٦٨) ، وانظر: التقريب (ص/ ٣٩٩) (٤٧٠٥).
(٤) روى عنه في الصلاة (٢/ ١٠٢٦) ح (١١٠٤) ، وانظر: التقريب (ص/ ٣٩٩) (٤٧١٧).
(٥) روى عنه في الصلاة (١/ ٢٧٦) ح (٢٦٨) ، وانظر: التقريب (ص/ ٤٠١) (٤٧٣٧).
(٦) روى عنه في الصلاة (٢/ ٨٥٧) ح (٨٦٩) ، وانظر: التقريب (ص/ ٤٠٢) (٤٧٤٢).
(٧) روى عنه في الصلاة (١/ ١٦٣) ح (١٠٧) ، وانظر: التقريب (ص/ ٤٢١) (٥٠٣٢).

- ٨٠- عمرو بن علي بن بحر بن كثير ، أبو حفص الفلاس الصيرفي الباهلي البصري ، ثقة حافظ من العاشرة ، (ت ٢٤٩هـ)^(١) .
- ٨١- عيسى بن مساور الجوهري ، أبو موسى البغدادي ، صدوق من صغار العاشرة^(٢) .
- ٨٢- فضيل بن حسين بن طلحة الجحدري ، أبو كامل ، ثقة حافظ ، (ت ٢٣٧هـ)^(٣) .
- ٨٣- فضيل بن عبد الرحمن المروزي^(٤) .
- ٨٤- الفضل بن موسى البصري ، أبو العباس مولى بني هاشم ، من أهل سامره ، أصله من البصرة ، ذكره ابن حبان في ثقاته ، وقال عنه الخطيب : ما علمت من حاله إلا خيراً (ت ٢٦٠هـ)^(٥) .
- ٨٥- محمد بن أحمد بن الجنيد البغدادي ، أبو جعفر الدقاق ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه مع أبي وهو صدوق ، (ت ٢٦٧هـ)^(٦) .
- ٨٦- محمد بن أبان بن وزير البلخي ، أبو بكر بن أبي إبراهيم المستملي ،

(١) روى عنه في كتابه في السنة ص ٢٧ ، وانظر : التقريب (ص/٤٢٤) (٥٠٨١) .

(٢) روى عنه في السنة ص ١٤ ، وانظر : التقريب (ص/٤٤٠) (٥٣٢٣) .

(٣) روى عنه في الصلاة (١/١٢٥) ح (٤٣) ، وانظر : التقريب (ص/٤٤٧) (٥٤٢٦) .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/٤٢١) ح (٤١٧) ، ولم أجده ترجمته فيما عندي من مراجع .

(٥) روى عنه في الصلاة (١/١٦٧) ح (١١٣) ، وانظر : الثقات لابن حبان (٧/٩) ، وتاريخ

بغداد (١٢/٣٦٦) .

(٦) روى عنه في الصلاة (١/٢٧٢) ح (٢٦٥) ، وانظر : الجرح والتعديل (٧/١٨٣) ، وتاريخ

بغداد (١/٢٨٥) .

- يلقب حمدويه ، وكان مستملي وكيع ، ثقة حافظ ، (ت ٣٤٤هـ) ^(١) .
- ٨٧- محمد بن أبي داود أبو جعفر المنادي ^(٢) .
- ٨٨- محمد بن أبي عتاب البغدادي ، أبو بكر الأعين ، واسم أبيه طريف ، وقيل : حسن بن طريف ، صدوق ، (ت ٢٤٠هـ) ^(٣) .
- ٨٩- محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي ، أبو حاتم الرازي ، أحد الحفاظ ، (ت ٢٧٧هـ) ^(٤) .
- ٩٠- محمد بن إسحاق الصنعاني ، أبو بكر ، نزيل بغداد ، ثقة ثبت ، (ت ٢٧٠هـ) ^(٥) .
- ٩١- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، أبو عبد الله البخاري ، جبل الحفاظ وإمام الدنيا في الحديث ، (ت ٢٥٦هـ) ^(٦) .
- ٩٢- محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري ، أبو بكر بندار ، ثقة ، (ت ٢٥٢هـ) ^(٧) .
- ٩٣- محمد بن بكار بن الريان الهاشمي مولا هم ، أبو عبد الله البغدادي الرصافي ، ثقة ، (ت ٢٣٨هـ) ^(٨) .

(١) روى عنه في الصلاة (٤٧٣/١) ح (٤٩٧) ، وانظر : التقريب (ص/٤٦٥) (٥٦٨٩) .
(٢) روى عنه في الصلاة (٦٣٥/٢) ح (٦٨٩) ، ولم أجده ترجمته فيما لدي من مراجع .
(٣) روى عنه في الصلاة (٦٦٩/٢) ح (٧٣١) ، وانظر : التقريب (ص/٤٩٥) (٦١٢٦) .
(٤) روى عنه في الصلاة (٩٥/١) ح (١٢) ، وانظر : التقريب (ص/٤٦٧) (٥٧١٨) .
(٥) روى عنه في الصلاة (٤٣٦/١) ح (٤٤٣) ، وانظر : التقريب (ص/٤٦٧) (٥٧٢١) .
(٦) روى عنه في الصلاة (١١٦/١) ح (٣١) ، وانظر : التقريب (ص/٤٦٨) (٥٧٢٧) .
(٧) روى عنه في الصلاة (٨٩/١) ح (٥) ، وانظر : التقريب (ص/٤٦٩) (٥٧٥٤) .
(٨) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٤/١٤) ، وانظر : التقريب (ص/٤٧٠) (٥٧٥٨) .

- ٩٤ - محمد بن الجنيد الصيدناني ، شيخ بجرجان ، سئل أبو زرعة عنه فقال :
هو عندي صدوق^(١) .
- ٩٥ - محمد بن حرب الواسطي النشائي ، صدوق ، (ت ٢٥٥هـ)^(٢) .
- ٩٦ - محمد بن حفص بن عبد الله^(٣) .
- ٩٧ - محمد بن حميد بن حيان الرازي ، حافظ ضعيف ، وكان ابن معين
حسن الرأي فيه ، (٢٤٨هـ)^(٤) .
- ٩٨ - محمد بن حيويه^(٥) .
- ٩٩ - محمد بن خلاد بن كثير الباهلي ، أبو بكر البصري ، ثقة ،
(ت ٢٥١هـ)^(٦) .
- ١٠٠ - محمد بن رافع القشيري النيسابوري ، ثقة عابد (ت ٢٤٥هـ)^(٧) .
- ١٠١ - محمد بن سهل بن عسكر التميمي مولا هم ، أبو بكر البخاري ، نزيل
بغداد ، ثقة ، (ت ٢٥١هـ)^(٨) .
- ١٠٢ - محمد بن الصباح بن سفيان الجرجاني ، أبو جعفر التاجر ، صدوق ،

(١) روى عنه في السنة ص ٤٢ ، وانظر : الجرح والتعديل (٧/٢٢٣) .

(٢) روى عنه في الصلاة (١/٣٣٥) ح (٣٢٩) ، وانظر : التقريب (ص/٤٧٣) (٥٨٠٤) .

(٣) روى عنه في الصلاة (٢/٦٠٠-٦٠١) ، ح (٦٣٩) ، ولم أجد له ترجمة فيما عندي من
مراجع .

(٤) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٣٤) ، انظر : التقريب (ص/٤٧٣) (٥٨٣٤) .

(٥) روى عنه في السنة ص ٤٧ ، ولم أجد من ترجم له فيما عندي من مراجع .

(٦) روى عنه في الصلاة (١/٥٠٠) ح (٥٤٩) ، وانظر : التقريب (ص/٤٧٧) (٥٨٦٥) .

(٧) روى عنه في الصلاة (١/٩٨) ح (١٣) ، وانظر : التقريب (ص/٤٧٨) (٥٨٧٦) .

(٨) روى عنه في الصلاة (١/٢٠٦) ح (١٧٥) ، وانظر : التقريب (ص/٤٨٢) (٥٩٣٧) .

(ت ٢٤٠هـ) (١)

١٠٣ - محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير البغدادي البزاز ، أبو يحيى ، المعروف بصاعقة ، ثقة حافظ ، (ت ٢٥٥هـ) (٢) .

١٠٤ - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري الفقيه ، ثقة ، (ت ٢٦٨هـ) (٣) .

١٠٥ - محمد بن عبد الله بن قهزاذ المروزي ، ثقة ، (ت ٢٦٢هـ) (٤) .

١٠٦ - محمد بن عبد الله بن ثمير الهمداني الكوفي ، أبو عبد الرحمن ، ثقة حافظ فاضل ، (ت ٢٣٤هـ) (٥) .

١٠٧ - محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي البصري ، صدوق ، (ت ٢٤٤هـ) (٦) .

١٠٨ - محمد بن عبدة بن الحكم بن مسلم بن بسطام بن عبد الله المروزي ، مولى سعد بن أبي وقاص ، ذكره ابن أبي حاتم ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً (٧) .

(١) روى عنه في الصلاة (٢/٨٨٢) ح (٩٠٥) ، وانظر : التقريب (ص/٤٨٤) (٥٩٦٦) .

(٢) روى عنه في الصلاة (٢/٦٢٢) ح (٦٧١) ، وانظر : التقريب (ص/٤٩٣) (٦٠٩) .

(٣) ذكره الذهبي في العبر (١/٤٢٧) ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، نشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - ط . الأولى - ١٤٠٥هـ .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/١٩٩) ح (١٥٩) ، وانظر : التقريب (ص/٤٨٩) (٦٠٤٣) .

(٥) ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/٣٤) ، والسبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٤٦) ، وانظر : التقريب (ص/٤٩٠) (٦٠٥٣) .

(٦) روى عنه في الصلاة (٢/١٠١٠) ح (١٠٨٢) ، وانظر : التقريب (ص/٤٩٤) (٦٠٩٨) .

(٧) روى عنه في الصلاة (١/١٢٢) ح (٣٨) ، وانظر : الجرح والتعديل (٨/١٧) .

- ١٠٩ - محمد بن عبيد بن حساب العنبري البصري ، ثقة ، (٢٣٨هـ)^(١) .
- ١١٠ - محمد بن علي بن عبد الله بن مهران الوراق ، أبو جعفر ، ويقال له : حمدان ، قال الخطيب : كان عارفاً حافظاً ثقة ، (ت ٢٧٢هـ)^(٢) .
- ١١١ - محمد بن عمار بن الحارث الرازي ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه وهو صدوق^(٣) .
- ١١٢ - محمد بن المثني بن عبيد العنزي ، أبو موسى البصري المعروف بالزمن ، مشهور بكنيته وباسمه ، ثقة ثبت^(٤) .
- ١١٣ - محمد بن مسلم بن عثمان بن عبد الله الرازي ، المعروف بابن وارة ، ثقة حافظ ، (ت ٢٧٠هـ)^(٥) .
- ١١٤ - محمد بن معاذ بن يوسف^(٦) .
- ١١٥ - محمد بن مقاتل ، أبو الحسن الكسائي المروزي ، نزيل بغداد ثم مكة ، ثقة ، (ت ٢٢٦هـ)^(٧) .
- ١١٦ - محمد بن مهران الجمال ، أبو جعفر الرازي ، ثقة حافظ ،

(١) روى عنه في الصلاة (٢٨٩/١) ح (٢٧٤) ، وانظر : التقريب (ص/٤٩٥) (٦١١٥) .

(٢) روى عنه في الصلاة (٣٨٩/١) ح (٣٨١) ، وانظر : الثقات لابن حبان (٤٣/٩) ، وتاريخ بغداد (٦١/٣) .

(٣) روى عنه في الصلاة (٤٢٢/١) ح (٤١٨) ، وانظر : الجرح والتعديل (٤٣/٨) .

(٤) روى عنه في الصلاة (٢٧١/١) ح (٢٦٣) ، وانظر : التقريب (ص/٥٠٥) (٦٢٦٤) .

(٥) روى عنه في الصلاة (٨٩١/٢) ح (٩٢٢) ، وانظر : التقريب (ص/٥٠٧) (٦٢٩٧) .

(٦) روى عنه في الصلاة (٢٤٩/١) ح (٢٣٦) ، ولم أجد من ترجم له فيما عندي من مراجع .

(٧) روى عنه في الصلاة (٢٦٩/١) ح (٢٦١) ، وانظر : التقريب (ص/٥٠٨) (٦٣١٨) .

(ت ٢٣٩هـ) (١).

١١٧ - محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي النيسابوري ، ثقة حافظ جليل ، (ت ٢٥٨هـ) (٢).

١١٨ - محمد بن يحيى بن أبي سميئة البغدادي ، أبو جعفر التمار ، صدوق ، (ت ٢٣٩هـ) (٣).

١١٩ - محمد بن يحيى بن عبد الكريم بن نافع الأزدي البصري ، نزيل بغداد ، ثقة ، (ت ٢٥٢هـ) (٤).

١٢٠ - محمد بن يزيد بن محمد بن كثير العجلي ، أبو هاشم الرفاعي الكوفي ، قاضي المدائن ، ليس بالقوي ، ذكره ابن عدي في شيوخ البخاري ، وجزم الخطيب بأن البخاري روى عنه ، لكن قد قال البخاري : رأيتهم مجمعين على ضعفه ، (ت ٢٤٨هـ) (٥).

١٢١ - محمود بن آدم المروزي ، صدوق ، ذكره ابن عدي في شيوخ البخاري ، (ت ٢٥٨هـ) (٦).

١٢٢ - محمود بن غيلان العدوي مولاهم ، أبو أحمد المروزي ، نزيل بغداد ، ثقة ، (ت ٢٣٩هـ) (٧).

(١) روى عنه في الصلاة (٢/٦٦٨) ح (٧٢٩) ، وانظر التقريب (ص/٥٠٩) (٦٣٣٣).

(٢) روى عنه في الصلاة (١/٩٣) ح (١٠) ، وانظر : التقريب (ص/٥١٢) (٦٣٨٧).

(٣) روى عنه في الصلاة (٢/٨٢٢) ح (٨٢١) ، وانظر : التقريب (ص/٥١٢) (٦٣٨٦).

(٤) روى عنه في الصلاة (٢/٨٣٤) ح (٨٣٧) ، وانظر : التقريب (ص/٥١٣) (٦٣٨٩).

(٥) روى عنه في الصلاة (٢/٦٧٨) ح (٧٤٤) ، وانظر : التقريب (ص/٥١٤) (٦٤٠٢).

(٦) روى عنه في الصلاة (١/٢٦٠) ح (٢٥٤) ، وانظر : التقريب (ص/٥٢٢) (٦٥٠٩).

(٧) روى عنه في الصلاة (١/٩٠) ح (٦) ، وانظر : التقريب (ص/٥٢٢) (٦٥١٦).

١٢٣- المسيب بن واضح السلمي التلمنسي الحمصي ، صدوق يخطئ كثيراً ، (ت ٢٤٦هـ) ، ولم يخرج له أصحاب الكتب الستة شيئاً^(١) .

١٢٤- المنذر بن شاذان الرازي أبو عمر التمار ، قال ابن أبي حاتم : كتبنا عنه وهو صدوق ، سئل أبي عنه فقال : لا بأس به^(٢) .

١٢٥- نصر بن علي بن صهبان الأزدي الجهضمي البصري ، ثقة ، (ت قبل الخمسين ومائتين)^(٣) .

١٢٦- هارون بن عبد الله بن مروان البغدادي ، أبو موسى الحمال البزار ، ثقة ، (ت ٢٤٣هـ)^(٤) .

١٢٧- هارون بن عبدة^(٥) .

١٢٨- هدبة بن خالد بن الأسود القيسي ، أبو خالد البصري ، ويقال له : هدا ، ثقة عابد ، تفرد النسائي بتليينه ، (ت سنة بضع وثلاثين ومائتين)^(٦) .

١٢٩- هشام بن خالد بن زيد بن مروان الأزرق ، أبو مروان الدمشقي ، صدوق ، (ت ٢٤٩هـ)^(٧) .

١٣٠- هشام بن عمار بن نصير السلمي الدمشقي الخطيب ، صدوق مقري ،

(١) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٤٦) ، وانظر : ميزان الاعتدال (٤/١١٦-١١٧) للذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، نشر دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(٢) روى عنه في السنة (ص/٥٣) ، وانظر : الجرح والتعديل (٨/٢٤٤) (١١٠٩) .

(٣) روى عنه في الصلاة (١/٣٧٦) ح (٣٦٨) ، وانظر : التقريب (ص/٥٦١) ، (٧١١٩) .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/١٠١) ح (١٦) ، وانظر : التقريب (ص/٥٦٩) (٧٢٣٥) .

(٥) روى عنه في الصلاة (٢/٦٥٦) ح (٧٠٨) ، ولم أجد له ترجمة فيما عندي من مراجع .

(٦) روى عنه في الصلاة (١/٣٠٩) ح (٢٨٥) ، وانظر : التقريب (ص/٥٧١) (٧٢٦٩) .

(٧) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٤٦) ، وانظر : التقريب (ص/٥٧٢) (٧٢٩١) .

- كبر فصار يتلقن ، فحديثه القديم أصح ، (ت ٢٤٥هـ)^(١) .
- ١٣١ - هناد بن السري بن مصعب التميمي أبو السري الكوفي ، ثقة ،
(ت ٢٤٣هـ)^(٢) .
- ١٣٢ - وهب بن بقية بن عثمان الواسطي ، أبو محمد ، يقال له : وهبان ،
ثقة ، (ت ٢٣٩هـ)^(٣) .
- ١٣٣ - الوليد بن شجاع بن الوليد بن قيس السكوني أبو همام بن أبي بدر
الكوفي ، نزيل بغداد ، ثقة من العاشرة ، مات سنة (٢٤٣هـ)^(٤) .
- ١٣٤ - يحيى بن أبي طالب جعفر بن عبد الله بن الزبرقان ، يقال : مولى
العباس بن عبد المطلب عتاقة ، أبو بكر البغدادي ، صدوق ،
(ت ٢٧٥هـ)^(٥) .
- ١٣٥ - يحيى بن حبيب بن عربي الحارثي ، وقيل : الشيباني ، أبو زكريا
البصري ، (ت ٢٤٨هـ)^(٦) .
- ١٣٦ - يحيى بن خلف الباهلي ، أبو سلمة البصري الجوباري ، صدوق ،
-
- (١) ذكره الذهبي في السير (٣٤ / ١٤) ، والسبكي في الطبقات (٢ / ٢٤٦) ، وانظر : التقريب (ص / ٥٧٣) (٧٣٠٣) .
- (٢) ذكره الذهبي في السير (٣٤ / ١٤) ، وانظر : التقريب (ص / ٥٧٤) (٧٣٢٠) .
- (٣) روى عنه في الصلاة (١ / ٢١٧) ، ح (١٩١) ، وانظر : التقريب (ص / ٥٨٤) (٧٤٦٩) .
- (٤) روى عنه في كتابه السنة (ص / ٣٧-٣٨) ، وانظر : التقريب (ص / ٥٨٢) (٧٤٢٨) .
- (٥) روى عنه في الصلاة (١ / ٤٩٣) ، ح (٥٣٢) ، وانظر : الجرح والتعديل (٩ / ١٣٤) ،
وتاريخ بغداد (١٤ / ٢٢٠) .
- (٦) روى عنه في الصلاة (١ / ٤٦٢) ، ح (٤٨٢) ، وانظر : التهذيب (١١ / ١٧٢) (٣٣٠) ،
والتقريب (ص / ٥٨٩) (٧٥٢٦) .

(ت ٢٤٢هـ) (١).

١٣٧- يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، مولا هم المصري ، صدوق رمي بالتشيع ، ولينه بعضهم لكونه حدث من غير أصله ، (ت ٢٨٢هـ) (٢).

١٣٨- يحيى بن عثمان الحربي ، أصله من سجستان فنزل بغداد ، صدوق تكلموا في روايته عن هقل ، (ت ٢٣٨هـ) (٣).

١٣٩- يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي ، أبو زكريا النيسابوري ، ثقة ثبت إمام ، ت (٢٢٦هـ) (٤).

١٤٠- يحيى بن يوسف بن أبي كريمة الزمي ، أبو يوسف ، ويقال : أبو زكريا ، الخرساني ، نزيل بغداد ، ثقة ، (مات سنة بضع وعشرين ومائتين) (٥).

١٤١- يزيد بن صالح الشكري الفراء النيسابوري ، أبو خالد ، وثق ، (ت ٢٢٩هـ) (٦).

١٤٢- يسار بن أبي شبيب الأيلي (٧).

١٤٣- يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح العبدي مولا هم ، أبو

(١) روى عنه في الصلاة (١/١٣٠) ح (٥٤) ، وانظر التقريب : (ص/٥٨٩) (٧٥٣٩).

(٢) روى عنه في الصلاة (١/٤٤٢) ح (٤٥٤) ، وانظر : التقريب (ص/٥٩٤) (٧٦٠٥).

(٣) روى عنه في الصلاة (١/٣٣١) ح (٣٢١) ، وانظر : التقريب (ص/٥٩٤) (٧٦٠٧).

(٤) روى عنه في الصلاة (١/٩٥) ح (١١) ، وانظر : التقريب (ص/٥٩٨) (٧٦٦٨).

(٥) روى عنه في الصلاة (٢/٧٢٥) ح (٧٨٤) ، وانظر : التهذيب (١١/٢٦٨) (٤٩١) ،

التقريب (ص/٥٩٩) (٧٦٨٠).

(٦) ذكره الذهبي في السير (١٤/٣٣) ، وانظر : ميزان الاعتدال (٤/٤٢٩).

(٧) روى عنه في الصلاة (١/٤٧٠) ح (٤٩٣) ، ولم أجد من ترجم له فيما عندي من مراجع.

يوسف الدورقي ، ثقة ، (ت ٢٥٢هـ) (١) .

١٤٤ - يوسف بن موسى بن راشد القطان ، أبو يعقوب الكوفي ، نزيل الري ،
ثم بغداد ، صدوق ، (ت ٢٥٣هـ) (٢) .

١٤٥ - يونس بن حبيب بن عبد القاهر بن عبد العزيز العجلي ، أبو بشر ، قال
ابن أبي حاتم : كتبت عنه بأصبهان ، وهو ثقة (٣) .

١٤٦ - يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة الصديقي ، أبو موسى المصري ، ثقة ،
(ت ٢٦٤هـ) (٤) .

ثانياً : تلاميذ الإمام ابن نصر :

تقدم أن الإمام ابن نصر عاش قرابة المائة عام قضاهما في العلم تعلماً
وتعليماً ، فلهذا فقد كثر الدارسون عليه الآخذون عنه ، حتى انتشر علمه وذاع
صيته ، حتى أصبح يقصد بالرحلة للنهل من علومه الغزيرة .

وفيما يلي أسماء بعض تلاميذ الإمام ابن نصر الذين أخذوا عنه مرتبة
أسمائهم على حسب حروف المعجم :

١ - أحمد بن صالح (٥) .

٢ - أحمد بن محمد بن الحسن النيسابوري ، أبو حامد الشرقي ، تلميذ

(١) روى عنه في الصلاة (٢/ ٨٧٤) ح (٨٨٨) ، وانظر : التقريب (ص/ ٦٠٧) (٧٨١٢) .

(٢) روى عنه في الصلاة (١/ ٢٤٣) ح (٢٣١) ، وانظر : التقريب (ص/ ٦١٢) (٧٨٨٧) .

(٣) ذكره ابن منده في الإيمان (١/ ٣٣٦) ح (١٣٧) ، وانظر : الجرح والتعديل (٩/ ٢٣٧) .

(٤) روى عنه في الصلاة (١/ ٢٠٥) ح (١٧٣) ، وانظر : التقريب (ص/ ٦١٣) (٧٩٠٧) .

(٥) ذكره البيهقي في البعث والنشور ص ١١٤ ح (١٨٢) ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد

زغلول ، نشر مؤسسة دار الكتب الثقافية - ط . الأولى - ١٤٠٨هـ .

- مسلم ، ثقة مأمون حافظ متقن ، (ت ٣٢٥هـ)^(١) .
- ٣- أحمد بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الكرايسي ، أبو يحيى ، قال الإدريسي : اتهم في إكثاره عن محمد بن نصر ، ورأيت خط محمد بن نصر له بالإجازة بما صح عنده به^(٢) .
- ٤- أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ، كنيته أبو بكر ، شيخ الحنابلة وعالمهم ، توفي عام (٣١١هـ)^(٣) .
- ٥- إسماعيل بن محمد بن نصر المروزي^(٤) .
- ٦- الجنيد بن خلف بن حاجب بن الوليد بن الجنيد السمرقندي ، أبو يحيى ، قدم دمشق وحدث بها عن جماعة ، روى عن محمد بن نصر^(٥) .
- ٧- عبد الله بن محمد بن علي البلخي ، أبو علي ، محدث بلخ ، أحد أئمة أهل الحديث حفظاً وإتقاناً ، (ت ٢٩٤هـ)^(٦) .
- ٨- عثمان بن جعفر بن محمد بن محمد بن حاتم ، أبو عمر ، المعروف بابن
-
- (١) ذكره الذهبي في السير (٣٤/١٤) ، والسبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٤٦) ، وانظر : تذكرة الحفاظ (٣/٨٢١) .
- (٢) ذكر الذهبي في الميزان (١/١٢٩) أنه من تلاميذ ابن نصر ، وذكره الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ١٧٨ .
- (٣) روى عن ابن نصر في كتابه السنة ، انظر : (١/٢٦٨) ، ح (٣٢٧) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٢٩٧) .
- (٤) ذكره الذهبي في السير (٣٤/١٤) ، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٤٦) ، ولم أجد له ترجمة فيما لدي من مراجع .
- (٥) تهذيب تاريخ دمشق (٣/٤١٥) لابن عساكر ، تهذيب وترتيب عبد القادر بن بدران ، نشر دار المنيرة - بيروت - ط . الثانية - ١٣٩٩هـ .
- (٦) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، وانظر : تذكرة الحفاظ (٢/٦٩٠) .

اللبان ، ثقة ، (ت ٣٢٤هـ)^(١) .

٩ - محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مهران الثقفي مولا هم النيسابوري ، أبو العباس ، الحافظ الإمام الثقة ، شيخ خراسان ، (ت ٣١٣هـ)^(٢) .

١٠ - محمد بن إسحاق السمرقندي^(٣) .

١١ - محمد بن عثمان بن سلم بن سلامة السمرقندي ، أبو العباس^(٤) .

١٢ - محمد بن محمد بن يوسف الطوسي ، أبو النضر ، الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام والشافعية ، لازم محمد بن نصر ، وأكثر عنه ، صنف وجمع ، (ت ٣٤٤هـ)^(٥) .

١٣ - محمد بن المنذر بن سعيد الهروي ، أبو عبد الرحمن ، لقبه شكر ، الحافظ الثقة ، الرحال ، (ت ٣٠٣هـ)^(٦) .

١٤ - محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني النيسابوري ابن الأخرم ، ويعرف أبوه بابن الكرماني ، أبو عبد الله ، الإمام الحافظ الكبير ، (ت ٣٤٤هـ)^(٧) .

١٥ - محمد بن يعقوب بن يوسف الأصم ، وهو الذي روى كتاب الفرائض عنه^(٨) .

(١) ذكره الخطيب في تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد (١١/٢٩٧) .

(٢) ذكره الذهبي في السير (١٤/٣٤) ، وانظر: تذكرة الحفاظ (٢/٧٣١) .

(٣) ذكره الذهبي في السير (١٤/٣٤) ، ولم أجد من ترجم له فيما لدي من مراجع .

(٤) ذكره الخطيب في تاريخه (٣/٣١٦) ، ولم أجد له ترجمة فيما عندي من مراجع .

(٥) ذكره الذهبي في السير (١٤/٣٤) ، وانظر: تذكرة الحفاظ (٣/٨٩٣) .

(٦) ذكره الذهبي في السير (١٤/٣٤) ، وانظر: تذكرة الحفاظ (١/٧٥٨) .

(٧) ذكره الذهبي في السير (١٤/٣٤) ، وانظر: تذكرة الحفاظ (٣/٨٦٤) .

(٨) انظر: المعجم المفهرس لابن حجر (١/١٧٤) ، ولم أجد له ترجمة فيما عندي من مراجع .

١٦- أبو الحسن^(١).

١٧- أبو علي الثقفى^(٢).



(١) راوي الجزء الأخير من كتاب الصلاة، وانظر (٢/١٠٠٧-١٠٠٨)، ولم أجد له ترجمة فيما

عندي من مصادر.

(٢) أصول الدين للبيهقي ص ٣١٤.

المطلب الثالث

مذهبه الفقهي ومكاته العلمية وثناء العلماء عليه

أولاً: مذهبه الفقهي :

يعد الإمام ابن نصر من أركان المذهب الشافعي ، والسبب في ذلك قوله :
 « كتبت الحديث بضعاً وعشرين سنة ، وسمعت قولاً ومسائل ، ولم يكن لي
 حسن رأي في الشافعي ، فبينما أنا قاعد في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ، إذ
 أغفيت إغفاءة فرأيت النبي ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أكتب رأي
 أبي حنيفة ؟ فقال : لا . فقلت : رأي مالك ؟ فقال : اكتب ما وافق حديثي .
 فقلت : أكتب رأي الشافعي ؟ فطأ رأسه شبه الغضبان ، وقال : تقول
 رأي ، ليس هو بالرأي ، وهو رد على من خالف ستي .

فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعي»^(١) .

فتفقده رحمه الله على أصحاب الإمام الشافعي ، وسمع من أبي إسماعيل
 المزني ، وأخذ عنه كتب الشافعية ضبطاً وتفقهاً^(٢) ، وأيضاً سمع من محمد بن
 عبد الله بن عبد الحكم والربيع بن سليمان .

وقد ذكره أصحاب التراجم في طبقات الشافعية ، وعدوه من أئمتهم^(٣) .

(١) طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٤٩) ، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١/٩٤) ،
 نشر إدارة الطباعة المنيرية ، مصورة بدار الكتب العلمية - بيروت - لبنان .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٤) .

(٣) انظر : طبقات الشافعية للعبادي ص ٤٩ ، بدون ذكر اسم مطبعة أو تاريخ للطبع ، =

قال النووي رحمه الله عنه : « الفقيه الشافعي »^(١) .

وقال السبكي في طبقاته : « ابن نصر ، وابن جرير ، وابن خزيمة ، من أركان مذهبنا » .

وقال بعض العلماء : « لم يكن للشافعية في وقته مثله »^(٢) .

ثانياً : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

أثنى عدد كبير من العلماء على ابن نصر وأشادوا به وبعلمه ونصرته للدين وقيامه بالفتيا ، ونصححه للأمة ؛ لأنه أمضى حياته الطويلة في العلم تعلماً وتعليماً ، وذباً عن السنة وأهلها ، كالذب عن عكرمة ، والرد على ابن قتيبة ، وردده على الفرق الضالة التي ابتدعت في دين الله ما لم ينزل به سلطاناً .

ومن ترجم للإمام ابن نصر وصفه بأوصاف جميلة ، وأطلقوا عليها ألقاباً لا تطلق إلا على من تبوأ مكانة عالية بين العلماء .

ومن الأوصاف التي أطلقت عليه : « الإمام ، شيخ الإسلام ، الحافظ ، أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف ، إمام الحديث في عصره بلا مدافعة ، الإمام العلامة المجتهد ، إمام الفقه » ، وأوصاف غيرها كثير ، ومن ذلك :

١ - ما قاله إسماعيل بن قتيبة : « سمعت محمد بن يحيى الذهلي (ت ٢٥٦هـ)

= والسبكي (٢/٢٤٦) ، والإسنوي (٢/٣٧٢) ، تحقيق عبد الله الجبوري ، نشر دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض - ط . ١٤٠١هـ ، ولا بن قاضي شهبة (١/٨٤) ولا بن هداية الله ص ٣٤ .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/١/٩٣) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٥١) .

- يقول غير مرة إذا سئل عن مسألة : سلوا أبا عبد الله المروزي»^(١) .
- ٢- وقال شيخه في فقه الشافعية محمد بن عبد الله بن عبيد الحكم (ت ٢٦٨هـ) : « كان محمد بن نصر المروزي عندنا إماماً فكيف بخراسان »^(٢) .
- ٣- وقال محمد بن إسحاق الدبوسي : « دخلت سمرقند ورأيت بها محمد بن نصر المروزي ، وكان بحراً في الحديث »^(٣) .
- ٤- وقال الحاكم : « سمعت أبا بكر أحمد بن إسحاق (ت ٣٢٨هـ) يقول : أدركت إمامين من أئمة المسلمين لم أرزق السماع منهما : أبا حاتم الرازي ، وأبا عبد الله محمد بن نصر المروزي »^(٤) .
- ٥- وقال أبو بكر الصيرفي (ت ٣٣٠هـ) : « لو لم يصنف محمد بن نصر إلا كتاب القسامة لكان أفقه الناس ، فكيف وقد صنف غيره »^(٥) .
- ٦- وقال محمد بن محمد بن يوسف القاضي (ت ٣٤٤هـ) : « كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون : رجال خراسان أربعة : عبد الله بن المبارك المروزي ، ويحيى بن يحيى النيسابوري ، وإسحاق بن راهويه ، ومحمد ابن نصر المروزي »^(٦) .

(١) تاريخ بغداد (٣/٣١٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٣٥) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، ولم أعرف تاريخ وفاته .

(٤) تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦) .

(٥) تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، وانظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨) .

(٦) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٥) ، وانظر : طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٤٧) .

٧- وقال ابن حبان (ت ٣٥٤هـ) عنه : « كان أحد الأئمة في الدنيا ممن جمع ، وصنف ، وكان أعلم أهل زمانه بالاختلاف ، وأكثرهم صيانة في العلم »^(١) .

٨- وقال الحاكم (ت ٤٠٣هـ) عنه : « هو الفقيه ، العابد ، العالم ، إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة »^(٢) .

وقال أيضاً : « فضائل أبي عبد الله المروزي ومناقبه كثيرة ، فإنه إمام الحديث بخراسان ، وأما كلامه في فقه الحديث فأكثر من أن يمكن ذكره »^(٣) .

٩- وقال الحافظ السليماني (ت ٤٠٤هـ) : « محمد بن نصر إمام الأئمة الموفق من السماء »^(٤) .

١٠- وقال أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩هـ) : « ومنهم محمد بن نصر المروزي ، صاحب اختلاف العلماء ، وإمام الفقه والكلام والحديث ، وكتابه في اختلاف العلماء يشتمل على أربعين مجلدة »^(٥) .

١١- وقال ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) : « أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لها وأذكرهم لمعانيها ، وأدراهم بصحتها ، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه . وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في محمد

(١) الثقات لابن حبان (٩/١٥٤) .

(٢) طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٤٧) ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨٥ ، تحقيق لجنة من العلماء ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط . الأولى - ١٤٠٣هـ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص ٨٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧) ، وانظر : طبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٤٨) .

(٥) أصول الدين ص ٣١٤ ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط . الثالثة - ١٤٠٣هـ .

ابن نصر المروزي ، فلو قال قائل : ليس لرسول الله ﷺ حديث ولا لأصحابه إلا هو عند محمد بن نصر ، لما أبعدته عن الصدق .

قال الذهبي بعد ذكره لهذا الكلام : هذه السعة والإحاطة ما ادعاها ابن حزم لابن نصر إلا بعد إمعان النظر في مجموعة تصانيف لابن نصر ، ويمكن ادعاء ذلك لمثل أحمد بن حنبل ونظرائه ، والله أعلم^(١) .

وقال ابن حزم أيضاً : « . . . محمد بن نصر المروزي فإنه أتى متعقباً بعد أحمد ، ولقد لقي أحمد وأخذ عنه وحوى علمه ، ولقي أصحاب مالك والشافعي ، وأصحاب أصحاب أبي حنيفة وأخذ علمهم ، وقد كان في الغاية التي لا وراء بعدها في سعة العلم بالقرآن والحديث والآثار والحجاج ودقة النظر ، مع الورع العظيم والدين المتين »^(٢) .

١٢- وقال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) : « صاحب التصانيف الكثيرة والكتب الجمّة ، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام »^(٣) .

١٣- وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) عنه : « كان عالماً بالحديث والفقّه »^(٤) .

١٤- وقال النووي (ت ٦٧٦هـ) : « هو الإمام البارع العلامة في فنون العلم ، أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي الفقيه الشافعي »^(٥) .

(١) سير أعلام النبلاء (٤٠/١٤) .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام (٢٧٣/٢) ، تحقيق لجنة من العلماء ، نشر دار الحديث - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٠٤هـ .

(٣) تاريخ بغداد (٣١٥/٣) .

(٤) صفة الصفوة (١٤٧/٤) ، تحقيق : محمود فاخوري ، نشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - ط . الثانية - ١٣٩٩هـ .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٩٣/١/١) .

١٥- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): « أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وعلي بن المديني والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومحمد ابن نصر المروزي . . . فإن هؤلاء الذين يبنون الأحكام على الأحاديث »^(١).

وقال أيضاً: « محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف »^(٢).

١٦- وقال الذهبي (ت ٧٤٨هـ) عنه: « كتب كثيراً ، وبرع في علوم الإسلام ، وكان إماماً مجتهداً علامة ، من أعلم أهل زمانه باختلاف الصحابة والتابعين ، قل أن ترى العميون مثله »^(٣).

١٧- وقال ابن القيم (ت ٧٥١هـ): « مالك والليث . . . ومحمد بن نصر المروزي وأمثالهم من جمع الاستنباط والفقہ إلى الرواية »^(٤).

١٨- وقال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) عنه: « كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الإسلام ، وكان عالماً بالأحكام »^(٥).

١٩- وقال ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) عنه: « أحد الأئمة الأعلام »^(٦).

٢٠- وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) عنه: « ثقة ، حافظ ، إمام ، جليل »^(٧).

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٢٦١) ، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجددي الخليلي ، طبع بأمر الملك فهد عبد العزيز ، ط. بدون .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١٦).

(٤) الوابل الصيب ص ١١٩.

(٥) البداية والنهاية (١١/ ١١٥).

(٦) طبقات الشافعية (١/ ٨٤).

(٧) التقريب (ص/ ٥١٠) (٥٢/ ٦٣٥٢).

٢١- وقال ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) عنه : « الفقيه ، أحد الأعلام ، وصاحب التصانيف الكثيرة والكتب المشهورة . . . وكان أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام »^(١) .

٢٢- وقال السخاوي (ت ٩٠٢هـ) : « أما المتكلمون في الرجال فخلق من نجوم الهدى ، ومصاييح الظلم ، والمستضاء بهم في دفع الردى ، لايتهياً حصرهم . وذكر منهم محمد بن نصر المروزي »^(٢) .

٢٣- وقال السيوطي (ت ٩١١هـ) عنه : « الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله المروزي الفقيه ، ولد سنة اثنتين ومائتين ، وبرع في هذا الشأن ، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم في الأحكام »^(٣) .

٢٤- وقال طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) عنه : « الإمام الجليل ، أبو عبد الله ، أحد أعلام الأئمة وعقلائها وعبادها »^(٤) .



(١) النجوم الزاهرة (٣/ ١٦١) ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر .

(٢) الإعلام بالتبويخ لمن ذم التاريخ ص ٣٢٨-٣٤٥ ، تحقيق : فرانز روز نثال ، ترجم التعليقات وأشرف على النص د. صالح العلي ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، توزيع دار الباز مكة - ط . بدون .

(٣) طبقات الحفاظ ص ٢٨٥ .

(٤) مفتاح السعادة (٢/ ٣١٠) ، مراجعة وتحقيق : كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور ، نشر دار الكتب الحديثة - القاهرة - ط . بدون .

المطلب الرابع

حسن عبادته وتمسكه بالسنة وكراماته

أولاً : حسن عبادته وتمسكه بالسنة :

تميز الإمام ابن نصر بحبه الشديد للسنة ، والذب عنها ، والعمل بها ، ونشرها بين الناس .

وقد ذكرت كتب التراجم صوراً من شدة عبادته وطاعته لربه .

من ذلك ما قاله الإمام ابن كثير : « كان من أحسن الناس صلاة وأكثرهم خشوعاً فيها »^(١) .

وقال السبكي : « أحد أعلام الأمة وعقلائها وعبادها »^(٢) .

ومن صور خشوعه في الصلاة ما ذكره الخطيب البغدادي عن أبي بكر أحمد بن إسحاق أنه قال : « فأما أبو عبد الله ؛ فما رأيت أحسن صلاة منه ، وبلغني أن زنبوراً قعد على جبهته ، فسال الدم على وجهه ، ولم يتحرك »^(٣) .

وقال الذهبي : « قال محمد بن يعقوب بن الأخرم : ما رأيت أحسن صلاة من محمد بن نصر ، كان الذباب يقع على أذنه ، فيسيل الدم ، ولا يذبه عن نفسه ، ولقد كنا نتعجب من حسن صلاته وخشوعه وهيئته للصلاة ، كان

(١) البداية والنهاية (١١/١٠٩) .

(٢) طبقات الشافعية (٢/٢٤٦) .

(٣) تاريخ بغداد (٣/٣١٧) .

يضع ذقنه على صدره ، فينتصب كأنه خشبة منصوبة^(١) .

وقال ابن الجوزي : « وكان كثير الصلاة كريماً »^(٢) .

ثانياً : كراماته :

لما كان الإمام ابن نصر من الأئمة المجتهدين المتبعين الطائعين لله ولرسوله ﷺ ؛ فإن الله وهبه كرامات عدة أثبتها من ترجم له ، منها :

١ - روى الخطيب البغدادي عن أبي عمر وعثمان بن جعفر بن اللبان أنه قال :

« حدثني محمد بن نصر قال : خرجت من مصر ومعني جارية لي ،

فركبت البحر أريد مكة ، قال : فغرقت فذهب مني ألفي جزء ، قال :

وصرت إلى جزيرة أنا وجاريتي ، قال : فما رأينا فيها أحداً ، قال :

فأخذني العطش فلم أقدر على الماء ، قال : وأجهدت فوضعت رأسي

على فخذ جاريتي مستسلماً للموت ، قال : فإذا رجل قد جاءني ومعه

كوز ، فقال لي : هاه .

قال : فأخذت فشربت وسقيت الجارية ، قال : ثم مضى ، فما أدري من

أين جاء ولا من أين ذهب »^(٣) .

٢ - ومن كراماته رؤيته للرسول ﷺ حيث يقول : « كتبت الحديث بضعاً

وعشرين سنة وسمعت قولاً ومسائل ، ولم يكن لي حسن رأي في

الشافعي ، فبينما أنا قاعد في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة ؛ إذ أغفيت

إغفاءة ، فرأيت النبي ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أكتب رأيي

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٦-٣٧) ، وانظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٤٨) .

(٢) الحث على طلب العلم وذكر كبار الحفاظ ص ١١٣ .

(٣) تاريخ بغداد (٣/٣١٧) ، وانظر : البداية والنهاية (١١/١٠٩) .

أبي حنيفة؟ فقال : لا . فقلت : رأي مالك؟ فقال : اكتب ما وافق حديثي . فقلت : أكتب رأي الشافعي؟ فطأ رأسه شبه الغضبان وقال : تقول : رأي ! ليس بالرأي ، وهو رد على من خالف سنتي . قال : فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر ، فكتبت كتب الشافعي^(١) .

٣- ومن كرامات ابن نصر ما روى الخطيب البغدادي بسنده عن أبي الفضل محمد بن عبيد البلعمي أنه قال : « سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول : كنت بسمرقند ، فجلست يوماً للمظالم ، وجلس أخي إسحاق إلى جنبي إذ دخل أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ؛ فقممت له إجلالاً لعلمه ، فلما خرج عاتبني أخي إسحاق وقال : أنت والي خراسان ؛ يدخل إليك رجل من رعيتك فتقوم إليه ؟ وبهذا ذهب السياسة ، فبت تلك الليلة وأنا مقسم القلب بذلك ، فرأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف مع أخي إسحاق ، إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعضدي فقال لي : يا إسماعيل ، ثبت ملكك وملك بنيك بإجلالك لمحمد بن نصر ، ثم التفت إلى إسحاق فقال : ذهب ملك إسحاق وملك بنيه باستخفافه بمحمد بن نصر^(٢) .

ثم قال النووي بعد إيراد هذه القصة : « فبقى ملك إسماعيل وبنيه أكثر من مائة وعشرين سنة^(٣) .

(١) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٤٩) ، وانظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٩٤/١/١) .

(٢) تاريخ بغداد (٣/٣١٨) ، وانظر : تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٩٤/١/١) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (٩٤/١/١) .

٤ - ومن كراماته ما روي عن ابن عباس البكري - من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه - يقول : « جمعت الرحلة بين محمد بن جرير ومحمد بن إسحاق بن خزيمة ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن هارون الروياني بمصر فأرسلوا ، ولم يبق عندهم ما يقوتهم ، وأضربهم الجوع فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه ، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام ، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة ، فقال لأصحابه : أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة ، فاندفع في الصلاة فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق الباب ، ففتحوا الباب فنزل عن دابته فقال : أيكم محمد بن نصر ؟ فقيل : هو هذا ، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً فدفعها إليه . . . ثم قال : إن الأمير كان قائلاً بالأمس فرأى في المنام خيالاً قال : إن المحمدين طووا كشحهم جيعاً ، فأنفذ إليكم هذه الصرة ، وأقسم عليكم إذا نفذت فابعثوا إليّ أحدكم^(١) .



(١) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٢/٢٥٠-٢٥١) ، وانظر : البداية والنهاية (١١/١٠٩) .

المطلب الخامس

مؤلفاته

اهتم الإمام ابن نصر بالعلم تأليفاً وتعليماً ، وأشغل عمره الطويل بالعلم ونشره بين الناس ، حتى قال أبو محمد عبد الله بن محمد الثقفي : « سمعت جدي يقول : جالست أبا عبد الله المروزي أربع سنين ، فلم أسمع طول تلك المدة يتكلم في غير العلم »^(١) .

لذلك حظي الإمام ابن نصر بمنزلة عالية بين كوكبة من العلماء عاشوا في القرن الثالث الهجري ، ونتيجة لقوة إيمانه وصدقه مع الله كتب الله لذكره الخلود؛ فها هي أجيال بعد أجيال تنتفع بعلمه وتستفيد من مؤلفاته .

ومن ترجم للإمام ابن نصر وصفه بالإمامة في الدين ، وأنه من أكثر الناس صيانة للعلم ، ومن تأمل كتاباً واحداً من كتبه المطبوعة ؛ فإنه يلمس فيه المقدرة العالية في التأليف وقوة الاستنباط والاستدلال .

وقد ترك رحمه الله مصنفات عدة في فنون وعلوم مختلفة ، منها المطبوع ، ومنها الذي لا يعلم عنه شيء ويعتبر في حكم المفقود .

وقد عظم العلماء مؤلفات ابن نصر واستفادوا منها واختصروا بعضها ، كما فعل المقرئ رضي الله عنه .

ويعتبر ما وصل إلينا من مصنفات ابن نصر قليل جداً بالنسبة لما هو مفقود

(١) معرفة علوم الحديث ص ٨٢ للحاكم ، وانظر : تاريخ بغداد (٣/٣١٦-٣١٧) .

لأسباب عدة ، منها :

١ - ما غرق من ابن نصر نفسه حيث يقول : « خرجت من مصر ، ومعني جارية لي ، فركبت البحر أريد مكة ، قال : فغرقت وذهب مني ألفي جزء »^(١) .

٢ - ولعل من أسباب فقدها ما أصاب المسلمين في بغداد سنة (٦٥٦هـ) من التتار الذين دمروا كنوز المسلمين العلمية وألقوها في النهر ، وقد ذكر بعض أهل العلم قديماً وحديثاً بعض مصنفات ابن نصر ، ومنهم الشيخ محمد طاهر حكيم عند تحقيقه لكتاب ابن نصر « اختلاف الفقهاء » ؛ إذ ذكر له خمسة عشر مصنفاً ؛ وذكر الدكتور محمد الريش ستة عشر مصنفاً بزيادة كتاب الفرائض .

وقد حاولت جاهداً استقصاء مصنفات ابن نصر ، وذلك من خلال نقول العلماء منها أو إخبارهم عن فضلها وأهميتها ، فيسر الله بحمده ذكر (عشرين كتاباً) من مصنفات ابن نصر رحمه الله .

وسأذكرها جميعها مرتبة على حسب الحروف الهجائية :

١ - الإجماع :

ذكره الحافظ ابن حجر عند بيانه لحد الزنا ؛ إذ يقول : « ونقل محمد بن نصر في كتاب « الإجماع » الاتفاق على نفي الزاني إلا عن الكوفيين »^(٢) . وهذا من الكتب المفقودة .

(١) تاريخ بغداد (٣/٣١٧) .

(٢) فتح الباري (١٢/١٦٣) ، تصحيح : محب الدين الخطيب ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الريان للتراث - مصر - ط . الأولى - ١٤٠٧هـ .

٢ - اختلاف العلماء :

اختلف أهل العلم في تسميته :

أ- اختلاف العلماء :

وسماه بهذا الاسم أبو منصور البغدادي^(١) ، وابن القيم^(٢) ، والحافظ ابن حجر^(٣) ، وطبع بهذا الاسم بتحقيق الشيخ صبحي السامرائي جزاءه الله خيراً^(٤) .

ب- اختلاف الفقهاء :

وسماه بهذا الاسم السبكي في طبقات الشافعية^(٥) ، وفؤاد سزكين^(٦) ، وحقق رسالة ماجستير بهذا الاسم^(٧) .

٣ - الإيمان :

وهو من الكتب المفقودة ، قال ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة : « وسنذكر الأخبار المروية على هذا المثال في « كتاب الإيمان » خاصة^(٨) ، وذكره ابن منده^(٩) .

(١) أصول الدين ص ٣١٤ .

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٢٩) ، تصحيح وتعليق : محمد حامد الفقي ، نشر مكتبة الرياض الحديثة - ط . بدون .

(٣) فتح الباري (٩/٣٩٦) .

(٤) نشرته عالم الكتب - ط . الأولى - ١٤٠٥ هـ .

(٥) انظر : طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٥٣) .

(٦) تاريخ التراث العربي (١/٣/١٩٧) ، نقله للعربية : د . محمود فهمي حجازي ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود - ط . ١٤٠٣ هـ .

(٧) حقق الشيخ محمد طاهر حكيم (٥٥) لوحة من أصل الكتاب المخطوط (١١٣) لوحة لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤٠٥ هـ .

(٨) الصلاة (٢/٥٩٠) .

(٩) انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٣٩) .

وقال ابن حجر عند شرحه لقول ابن أبي مليكة : « أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه » : « وكذا أخرجه محمد بن نصر مطولاً في كتاب الإيمان له »^(١) .

وقال رحمه الله عند تفسير حديث جبريل العظيم : « وقد أخرجه محمد ابن نصر المروزي في كتاب الإيمان له من الوجه الذي أخرجه النسائي فقال في آخره : « فإنه جبريل جاء ليعلمكم دينكم »^(٢) .

وذكره ابن حجر أيضاً في تغليق التغليق^(٣) ، والذهبي في السير^(٤) ، والعيني في عمدة القاري^(٥) . وهذا من الكتب المفقودة .

٤ - الانتفاع بجلود الميتة :

ذكره ابن عبد البر حيث يقول : « فقد ذكر العلة الموجبة للعداوة بينهما أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتاب « الانتفاع بجلود الميتة »^(٦) .

وقال ابن عبد البر : « قال معمر : وكان الزهري ينكر الدباغ ، ويقول ليستمتع به على كل حال .

قال أبو عبد الله : ما علمت أحداً قال ذلك قبل الزهري »^(٧) .

(١) فتح الباري (١/١٥٢) .

(٢) فتح الباري (١/١٣٦) .

(٣) تغليق التغليق (٢/٥٢) ، تحقيق : سعيد عبد الرحمن القرقي ، نشر المكتب الإسلامي - ط . الأولى - ١٤٠٥هـ .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٩) .

(٥) عمدة القاري (١/٢٧٥) ، نشر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - ط . الأولى - ١٣٩٢هـ .

(٦) التمهيد (٢/٢٨) ، نشر وزارة عموم الأوقاف والشئون الإسلامية - المغرب - ط . الأولى .

(٧) التمهيد (٤/١٥٤) .

وذكر ابن عبد البر نقولاً من هذا الكتاب ، منها : قول ابن نصر التالي :
 « وإلى جواز الانتفاع بجلود الميتة بعد الدباغ في كل شيء من البيع وغيره ،
 وكراهية الانتفاع بها قبل الدباغ ، ذهب أكثر أهل العلم من التابعين ، وهو
 قول يحيى بن سعيد الأنصاري وعامة علماء الحجاز »^(١) .

وهذا من الكتب المفقودة .

٥ - تعظيم قدر الصلاة :

ويعد من أشهر كتب ابن نصر ، فقد أكثر العلماء النقل منه والإشارة إليه ،
 منهم : ابن منده في الإيمان^(٢) ، وابن تيمية في الإيمان^(٣) ، ومنهاج السنة^(٤) ، وابن
 القيم وأكثر منه في كتاب الصلاة^(٥) ، والسيوطي^(٦) في الدر المنثور ، وغيرهم كثير .
 وقد طبع هذا الكتاب في مجلدين بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد
 الجبار الفريوائي^(٧) ، وحقق الدكتور محمد الريش جزءاً من الكتاب من أوله
 إلى الإيمان بالرسول محمد ﷺ^(٨) .

(١) التمهيد (٤/١٧١) .

(٢) انظر مثلاً : الإيمان لابن منده (١/٤٢٣) .

(٣) انظر مثلاً : الإيمان لابن تيمية ، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٣٧٧) .

(٤) انظر مثلاً : منهاج السنة (٣/٦١) ، تحقيق : د. محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإنعام
 محمد بن سعود الإسلامية - ط . ١٤٠٦هـ .

(٥) انظر مثلاً : الصلاة لابن القيم ص ٦٣ ، تحقيق : تيسير زعبيتر ، نشر المكتب الإسلامي -
 ط . الأولى - ١٤٠١هـ .

(٦) انظر مثلاً : الدر المنثور (١/١٠) فما بعدها ، نشر دار الفكر - بيروت - لبنان - ط . الأولى -
 ١٤٠٣هـ .

(٧) نشرته مكتبة الدار بالمدينة المنورة - ط . الأولى - ١٤٠٦هـ . وأشار لهذا الكتاب في النقول
 التالية « باسم الصلاة » .

(٨) من أول الكتاب إلى ص ٦٥٢ من الجزء الثاني .

والكتاب يبدو - والله أعلم - أنه ناقص ؛ إذ يقول ابن نصر : « وما تمثيلهم الأخبار التي جاءت في الإكفار بترك الصلاة بالأخبار التي جاءت في الإكفار بسائر الذنوب . . . فسنذكر ما حضرنا من الأخبار المروية في ذلك على وجهها ، ونبين الفرق بينها وبين الأخبار التي جاءت في الإكفار بترك الصلاة بالحجج النيرة والبراهين الواضحة ؛ إن شاء الله تعالى »^(١) .

وذكر رحمه الله بعد هذا الكلام الأخبار المروية في ذلك ، لكنه لم يبين الفرق بينها وبين الأخبار التي جاءت بترك الصلاة ، والله أعلم .

وأطلق بعض العلماء اسم المسند على هذا الكتاب ؛ لأن ابن نصر رحمه الله يورد الأحاديث مسندة كعادة العلماء المتقدمين ، رحمهم الله أجمعين .

ومن أطلق عليه اسم المسند : الحافظ ابن حجر في الفتح^(٢) ، ومنهم بروكلمان^(٣) ، وسزكين^(٤) ، والزركلي^(٥) .

قال الشيخ السامرائي : « المسند : كتاب حافل مهم مرتب على الأبواب فهو مسند لإسناده الأحاديث التي فيه ، وقد سماه من ترجم للمؤلف بكتاب تعظيم قدر الصلاة »^(٦) .

(١) الصلاة (٢/١٠١٦-١٠١٧) .

(٢) فتح الباري (٨/٦٣) .

(٣) تاريخ الأدب العربي (٣/١٥٩) ، نقله إلى العربية : د. عبد الحلیم النجار ، نشر دار المعارف - مصر - ط . الثالثة - بدون تاريخ .

(٤) تاريخ التراث العربي (١/٣/١٩٧) .

(٥) الأعلام (٧/١٢٥) ، نشر دار العلم للملايين - ط . الخامسة - ١٩٨٠ م .

(٦) اختلاف العلماء لابن نصر ص ١٥ .

٦ - الذب عن عكرمة :

ذكره السخاوي وأشار إليه بقوله : « حتى إن جماعة صنفوا في الذب عن عكرمة كأبي جعفر بن جرير الطبري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وأبي عبد الله بن منده ، وابن حبان ، وابن عبد البر »^(١) .

وهذا من الكتب المفقودة .

٧ - رفع اليدين في الصلاة :

وهو في أربع مجلدات ، ذكره الصفدي^(٢) ، والعبادي^(٣) ، وابن تيمية^(٤) ، والذهبي^(٥) ، وابن قاضي شعبة^(٦) .

وبين لنا شيخ الإسلام ابن تيمية سبب تأليف ابن نصر لهذا الكتاب ، فيقول : « ذكره في مسألة رفع اليدين في الصلاة لما احتج عليه بقول ابن مسعود »^(٧) .

وذكره ابن عبد البر فقال : « وصنف فيه كتاباً أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي ، وروى عن جماعة من الصحابة . . . ولم يرو عن أحد من الصحابة

(١) فتح المغيث (١/٣٠٦) ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - توزيع دار الباز - مكة - ط . الأولى .

(٢) الوافي بالوفيات (٥/١١١) ، طبع باعتماد بعض المستشرقين ، نشر فرانز شتاينر بتشبادن - ط . ١٣٩٣ هـ .

(٣) طبقات الشافعية ص ٤٩ .

(٤) منهاج السنة (٣/١٣٧) .

(٥) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٧) .

(٦) طبقات الشافعية (١/٨٥) .

(٧) منهاج السنة (٦/٤٤١) .

ترك الرفع عند كل خفض ورفع من لم يختلف عنه فيه إلا عبد الله بن مسعود وحده ، وروى الكوفيون عن علي رضي الله عنه مثل ذلك»^(١) .

وقال أيضاً : « قال أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي رحمه الله في كتابه « رفع اليدين » من الكتاب الكبير : لا نعلم مصراً من الأمصار ينسب إلى أهله قديماً تركوا بإجماعهم رفع اليدين عند الخفض والرفع في الصلاة ، إلا أهل الكوفة»^(٢) .

وهذا من الكتب المفقودة .

٨ - الروح :

ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : « وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً في « الروح والنفس » ، وذكر فيه من الأحاديث والآثار شيئاً كثيراً ، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره»^(٣) .

وذكره ابن القيم عند كلامه عن الروح حيث يقول : « قد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ ، وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله ابن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي»^(٤) .

ومن كلام ابن نصر في كتابه الروح ما ذكره ابن القيم في كتاب الروح حيث يقول : « وقال محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من

(١) التمهيد (٢١٦/٩) .

(٢) التمهيد (٦١٣/٩) .

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠٧/٤) .

(٤) الروح ص ١٤٥ ، نشر دار الندوة الجديدة - بيروت - لبنان - ط . بدون .

الزنادقة وصنف من الروافض في روح آدم ما تأولته النصارى في روح عيسى ، وما تأولته قوم من أن الروح انفصل من ذات الله فصار في المؤمن ؛ فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعاً ؛ لأن عيسى عندهم روح من الله صار في مريم ؛ فهو غير مخلوق عندهم .

وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض أن روح آدم مثل ذلك أنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾^(٢) ؛ فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق ، كما قال من تأول أن النور من الرب غير مخلوق . قالوا : ثم صاروا بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي ووصي ، إلى أن صار في علي ثم في الحسن والحسين ، ثم في كل وصي وإمام ، فيه يعلم الإمام كل شيء ولا يحتاج أن يتعلم من أحد .

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني آدم ؛ كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها واختراعها ، ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف إليه سائر خلقه ، قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾^(٣) (٤) .

وهذا من الكتب المفقودة .

(١) الحجر : ٢٩ .

(٢) السجدة : ٩ .

(٣) الجاثية : ١٣ .

(٤) الروح لابن القيم ص ١٤٥ .

٩ - الرد على ابن قتيبة :

صنف الإمام ابن قتيبة كتاب « إصلاح الغلط »^(١) تعقب فيه الإمام أبو عبيد في كتابه « الغريبين »^(٢) .

وذكره ابن القيم في كتاب الروح^(٣) ، وفي كتاب أحكام أهل الذمة^(٤) .

وقال السخاوي رحمه الله : « ثم تلا الجميع قريباً من هذا الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى في سنة أربع وعشرين ومائتين ، فجمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ، تعب فيه جداً فإنه أقام فيه أربعين سنة بحيث استقصى وأجاد بالنسبة لمن قبله ، ووقع من أهل العلم موقعاً جليلاً ، وسار قدوة في هذا الشأن . . . واقتفى أثر أبي عبيد وحذا حذوه أبو محمد عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينوري . . . فصنف كتابه المشهور وجعله ذليلاً على كتاب أبي عبيد ، فكان أكبر حجماً من أصله ، مع أنه أضاف إليه التنبيه على كثير من أوهامه ، بل أفرد للاعتراض عليه كتاباً سماه إصلاح الغلط .

وقد انتصر لأبي عبيد أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي في جزء لطيف رد فيه على ابن قتيبة^(٥) .

وذكر ابن القيم بعض ما في كتاب ابن نصر فقال : « محمد بن نصر ذكر

(١) نشر في مجلة المجمع العلمي الهندي (١٠٣/٧) حيدرآباد- عام ١٩٨٢م ، بتحقيق الدكتور جميل السناء .

(٢) انظر : الروح لابن القيم ص ١١٠ .

(٣) المرجع السابق ص ١١٠ .

(٤) أحكام أهل الذمة (٢/٥٢٥) ، تحقيق : د. صبحي الصالح ، نشر دار العلم للملايين - ط. الثالثة - ١٩٨٣م .

(٥) فتح المغيب (٣/٤٧-٤٨) .

في كتابه الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(١) الآثار التي ذكرها السلف في استخراج ذرية آدم من صلبه ، ثم أخذ الميثاق عليهم ورددتهم في صلبه ، وأنه أخرجهم مثل الذر ، وأنه سبحانه قسمهم إذ ذاك إلى شقي وسعيد ، وكتب آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وما يصيبهم من خير وشر^(٢) .

١٠ - السنة :

ذكره ابن تيمية رحمه الله^(٣) ، وذكره ابن حجر في فتح الباري^(٤) .

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات :

أ - طبع بدار الفكر بدمشق ، بدون تحقيق .

ب - طبع بدار الثقافة الإسلامية بالرياض ، بلا تحقيق ولا تاريخ للطبع .

ج - طبع بتحقيق : أبو محمد سالم بن أحمد السلفي ، نشر مؤسسة الكتب

الثقافية - عام ١٤٠٨ هـ . وهذه الطبعة من أجود الطبعات وأحسنها إخراجاً .

١١ - سؤالات محمد بن نصر :

ذكر هذا الكتاب الحافظ ابن حجر في فتح الباري حيث يقول : « رواه عنه

محمد بن نصر في سؤالاته »^(٥) .

وهذا من الكتب المفقودة .

(١) الأعراف : ١٧٢ .

(٢) الروح لابن القيم ص ١١٠ .

(٣) مجموع الفتاوى (٥/٢٤) .

(٤) فتح الباري (١٣/٢٥٠-٢٥١) .

(٥) فتح الباري (٢/٥٥٦) .

١٢ - الصيام :

ذكره البغدادي في هدية العارفين^(١) ، وفي إيضاح المكنون^(٢) .
وهذا من الكتب المفقودة .

١٣ - فيما خالف أبو حنيفة علياً وابن مسعود :

قال أبو إسحاق الشيرازي : « صنف كتاباً فيما خالف فيه أبو حنيفة علياً
وابن مسعود »^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ولم يحفظ لأبي بكر فتياً تخالف نصاً ،
وقد وجد لعمر وعلي وغيرهما فتاوى كثيرة تخالف النصوص . . . وجمع
محمد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً في ذلك »^(٤) .

وقال رحمه الله أيضاً : « وقد جمع الشافعي في كتاب « خلاف علي
وعبد الله » من أقوال علي التي تركها الناس لمخالفتها النص أو معنى النص -
جزءاً كبيراً .

وجمع بعده محمد بن نصر المروزي أكثر من ذلك ؛ فإنه كان إذا ناظره
الكوفيون يحتج بالنصوص ، فيقولون : نحن أخذنا بقول علي وابن مسعود ،
فجمع لهم أشياء كثيرة من قول علي وابن مسعود تركوه أو تركه الناس .
يقول : إذا جاز لكم خلافهما في تلك المسائل لقيام الحجة على خلافهما ،

(١) هدية العارفين (٦/٢١) .

(٢) إيضاح المكنون (٢/٣١٠) ، عني بطبعه وتصحيحه : محمد شرف الدين ، أعادت طبعه
بالأوفست المكتبة الإسلامية والجعفري بتهريزي بطهران - ط . الثالثة - ١٣٧٨ هـ .

(٣) انظر : سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨) ، وطبقات الشافعية للسبكي (٢/٢٤٧) .

(٤) منهاج السنة (٧/٥٠٢) .

فكذلك في سائر المسائل ، ولم يعرف لأبي بكر مثل هذا ^(١) .

وذكره الزركلي أيضاً ^(٢) .

وهذا من الكتب المفقودة .

١٤ - الفرائض :

ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ^(٣) ، وذكره الروداني ^(٤) .

وهذا من الكتب المفقودة .

١٥ - كتاب القسامة :

ويعتبر من أشهر كتبه ، قال أبو بكر الصيرفي : « لو لم يصنف محمد بن

نصر إلا كتاب القسامة لكان من أفقه الناس ، فكيف وقد صنف كتباً غيره » ^(٥) .

وذكره السيوطي ^(٦) ، والبغدادي ^(٧) ، والزركلي ^(٨) ، وكحالة ^(٩) .

وهذا من الكتب المفقودة .

(١) منهاج السنة (٢٩٩/٨) .

(٢) الأعلام (١٢٥/٧) .

(٣) فتح الباري (٢٦٠/٣) .

(٤) صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : د. محمد حجي ، نشر دار الغرب الإسلامي . ط . الأولى - ١٤٠٨هـ .

(٥) انظر : تاريخ بغداد (٣/٣١٦) ، ومعرفة علوم الحديث ص ٨٢ ، وسير أعلام النبلاء (٣٤/١٤) .

(٦) طبقات الحفاظ ص ٢٨٥ .

(٧) هدية العارفين (٢/٢١) .

(٨) الأعلام (١٢٥/٧) .

(٩) معجم المؤلفين (٧٨/١٢) .

١٦ - قيام رمضان :

ذكره بروكلمان^(١) ، وسزكين^(٢) ، والزركلي^(٣) .

١٧ - قيام الليل :

ذكره ابن قاضي شهبة وقال : « قيام الليل - مجلدين ضخمين »^(٤) .

وقال الإسنوي : « له تصنيف آخر في قيام الليل أكبر من تعظيم قدر الصلاة ، وقفت عليه في مجلدة ضخمة ، وتاريخ قراءته في شهر ربيع الأول سنة ٢٨٧هـ »^(٥) .

وذكره غيرهم : البغدادي^(٦) ، وبروكلمان^(٧) ، وسزكين^(٨) ، وكحالة^(٩) .

١٨ - الوتر :

ذكره ابن حجر ، وقال : « وعند محمد بن نصر في كتاب « أحكام الوتر » ، وهو كتاب نفيس في مجلدة »^(١٠) .

(١) تاريخ الأدب العربي (٣/١٥٩) .

(٢) تاريخ التراث العربي (١/٣/١٩٨) .

(٣) الأعلام (٧/١٢٥) .

(٤) طبقات الشافعية (١/٤٣) .

(٥) طبقات الشافعية (٢/٣٧٢) .

(٦) هدية العارفين (٢/٢١) .

(٧) تاريخ الأدب العربي (١/٣/١٥٩) .

(٨) تاريخ التراث العربي (١/٣/١٩٧) .

(٩) معجم المؤلفين (١٢/٧٨) .

(١٠) فتح الباري (٢/٥٥٥) .

وذكره حاجي خليفة^(١) ، وبروكلمان^(٢) ، وسزكين^(٣) ، وكحالة^(٤) .
وهذه الكتب الثلاثة : (قيام رمضان ، قيام الليل ، الوتر) اختصرها أحمد
ابن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ) ، وطبع هذا الكتاب عدة طبعات :
أ - طبع أولاً في الهند سنة (١٣٢٠هـ) بمطبعة رفاه عام لاهور ، بإشراف الشيخ
عبد التواب الملتاني .
ب - طبع ثانياً في باكستان سنة (١٣٨٩هـ) ، وعلق عليه عبد الشكور الأثري .
ج - وطبع ثالثاً سنة (١٤٠٨هـ) على الكمبيوتر ، واهتم بطبعه عبد الحميد
حبيب الله نشاطي ، ونشرته حديث أكاديمي - باكستان .
١٩ - الكسوف :

ذكره ابن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة ، قال رحمه الله - عند بيانه
لفضل الصلاة وأنها مقزع الرسول الكريم ﷺ عند الشدائد - : « ولا نعلم
طاعة يدفع الله بها العذاب مثل الصلاة ، فصلى عند الكسوف ، بزيادة في
الركوع ، وبكى في سجوده وتصدع ، وقد كتبنا الأخبار المروية في هذا الباب
في كتاب الكسوف ؛ فلذلك تركنا كتابتها هنا »^(٥) .
وهذا من الكتب المفقودة .

(١) كشف الظنون (٢/١٤٦٨) .

(٢) تاريخ الأدب العربي (٣/١٥٩) .

(٣) تاريخ التراث العربي (١/١٩٨) .

(٤) معجم المؤلفين (١٢/٧٨) .

(٥) الصلاة (١/٢٣٠-٢٣١) .

٢٠ - الورع :

ذكره حاجي خليفة^(١) ، والبغدادي^(٢) ، وسزكين^(٣) ، وكحالة^(٤) .
وتوجد منه نسخة خطية في المكتبة الظاهرية رقم (١/١٢٩) تصوف ،
(٢٩) لوحة ، مقاس (١٨×٢٨ سم) ، نسخت في القرن التاسع الهجري^(٥) .



(١) كشف الظنون (٢/١٤٦٩) .

(٢) هدية العارفين (٢/٢١) .

(٣) تاريخ التراث العربي (١/٣/١٩٨) .

(٤) معجم المؤلفين (١٢/٧٨) .

(٥) انظر : مقدمة اختلاف الفقهاء ، بتحقيق الشيخ محمد طاهر حكيم .

المطلب السادس

وفاته

توفي الإمام ابن نصر بعد عمر طويل ؛ فقد عاش أكثر من تسعة عقود ،
وكانت وفاته بسمرقند في شهر محرم عام (٢٩٤هـ) عن عمر يناهز (٩٢ سنة) ،
وجميع من ترجم للإمام ابن نصر ذكر أنه توفي في هذا العام .

قال ابن حجر رحمه الله : « واتفقوا على أنه مات سنة أربع وتسعين
ومائتين »^(١) .

رحم الله الإمام ابن نصر رحمة واسعة .



(١) تهذيب التهذيب (٩/٤٣٢-٤٣٣) (٨٠٠) .

الفصل الثاني

الإيمان

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : حديث جبريل عليه السلام وبيان بعض طرقه .

المبحث الثاني : تفسير حديث جبريل في مسائل الإيمان .

المبحث الثالث : اسم الإيمان وحكمه .

المبحث الرابع : أصل الإيمان وفروعه .

المبحث الخامس : شعب الإيمان .

المبحث السادس : أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله .

المبحث السابع : هل الإيمان مخلوق؟

المبحث الأول

حديث جبريل عليه السلام وبيان بعض طرقه

إن الدين الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ ورضيه للناس ، هو الإسلام . قال تعالى : ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ^(٢) .

ودين الإسلام هو « ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على السنة رسله ، وأصول هذا الدين وفروعه موروثه عن الرسل ، وهو ظاهر غاية الظهور ، يمكن كل مميز من صغير وكبير ، وفصيح وأعجم ، وذكي وبليد ؛ أن يدخل فيه بأقصر زمان ، وأنه يقع الخروج منه بأسرع من ذلك » ^(٣) .

وهو مركب من قول وعمل : قول القلب واللسان ، وعمل اللسان والجوارح ، وهذه الأمور الأربعة جامعة لأمر الدين كله .

وقد وردت أحاديث عظيمة عن المصطفى ﷺ قيمة القدر ، لما فيها من بيان لأمر الإسلام ، وتفصيل لشرائعه العظام ، منها حديث جبريل عليه الصلاة والسلام الذي رواه جمع من الصحابة ، منهم : عمر بن الخطاب ، وابنه

(١) المائدة : ٣ .

(٢) آل عمران : ١٩ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٧٨٧) للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العزب الدمشقي (ت ٥٧٩٢هـ) ، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وشعيب الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة - ط . الأولى .

عبدالله، وأبو هريرة، وأنس، وأبو ذر، وعبد الله بن عباس، وأبو عامر الأشعري، وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وتأتي أهمية الحديث هنا في أنه جعل الدين على ثلاث مراتب: (الإسلام - الإيمان - الإحسان)، وسماها النبي ﷺ الدين؛ فقال: « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم»^(١).

وقد عظم علماء الإسلام هذا الحديث، وبينوا فضله، وذكروه بروايات متعددة، مع شرحه شرحاً وافياً، ومن تعظيم العلماء لهذا الحديث ما قاله النووي^(٢) عن القاضي عياض^(٣) إن هذا الحديث قد « اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه. قال: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة ألفنا كتابنا الذي سميناه «بالمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان»؛ إذ لا يشذ شيء من

(١) طرف من الحديث سيأتي بيانه.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مزي بن حسن الخرامي الحوراني النووي الشافعي، ولد في نواستة (٦٣١هـ)، كان إماماً بارعاً حافظاً متقناً، كان شديد الورع والزهد، من كتبه: شرح صحيح مسلم، والمجموع شرح المهذب، وتهذيب الأسماء واللغات؛ ومنهاج الطالبين، وغيرها كثير. (ت ٦٧٦هـ).

طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/١٦٥-١٦٨)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص/٥١٣) (١١٢٨)، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥/٣٤٥).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ الأرواح شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي المالكي، رحل إلى الأندلس، واستبحر في العلوم، وجمع وألف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق، له من المؤلفات «الإكمال في شرح صحيح مسلم»، و«مشارك الأنوار»، وكتاب «الشفاء». مات سنة (٥٤٤هـ).
تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/١٣٠٤-١٣٠٧)، سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/٢١٢-٢١٨).

الواجبات والسنن والرغائب والمحظورات والمكروهات عن أقسامه الثلاثة»^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي^(٢): «فجعل الدين هو: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فبين أن ديننا يجمع الثلاثة... وهذا كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ﴾^(٣)»^(٤).

وقال ابن رجب^(٥) إن هذا الحديث «عظيم الشأن جداً يشتمل على شرح الدين كله»^(٦)، وقال أيضاً: «إن جميع العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته، وإن جميع العلماء من فوق هذه الأمة لا تخرج

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٥٨)، نشر دار الفكر - ط. بدون.

(٢) هو الإمام العلامة صدر الدين أبو الحسن علي بن علاء الدين علي بن شمس الدين أبي عبد الله محمد بن شرف الدين الدمشقي الصالح الحنفي، المعروف بابن أبي العز، من مصنفاته غير شرح الطحاوية، كتاب التنبيه على مشكلات الهداية، والاتباع. مات سنة ٧٩٢هـ.

إنشاء الغمر بأبناء العمر لابن حجر (٢/٩٥-٩٨)، شذرات الذهب لابن العماد (٦/٣٢٦).

(٣) فاطر: ٣٢.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٨٧).

(٥) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن سعد السلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، له عدة مصنفات منها: شرح الترمذي، شرح علل الترمذي، وجامع العلوم والحكم، وغيرها. مات سنة ٧٩٥هـ.

طبقات الحفاظ (ص/٥٤٠) (١١٧٠)، شذرات الذهب (٦/٣٣٩).

(٦) جامع العلوم والحكم ص ٣٤، تحقيق: محمد بن عبد الرزاق الرعود، نشر دار الفرقان - ط. الأولى - ١٤١١هـ.

علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث وما دل عليه مجملاً ومفصلاً»^(١) وقال ابن حجر^(٢) : «قال القرطبي^(٣) : هذا الحديث يصلح أن يقال أم السنة ، لما تضمنه من جمل علم السنة . . . فقلت : ولهذا أشبعت القول في الكلام عليه ، مع أن الذي ذكرته وإن كان كثيراً ، لكنه بالنسبة لما يتضمنه قليل»^(٤) .
طرق الحديث :

روى الإمام ابن نصر حديث جبريل عليه السلام بطرق مختلفة منها :

١ - طرق حديث ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما :

ذكر ابن نصر هذا الحديث عن عمر بعدة طرق ، منها ما رواه عن كههمس^(٥)

(١) المصدر السابق ص ٥٥ .

(٢) هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ في زماننا ، وحافظ الديار المصرية ، بل حافظ الدنيا مطلقاً ، قاضي القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشافعي ، صنف التصانيف التي عم النفع بها كشرح البخاري ، وتهذيب التهذيب ، وتقريب التهذيب ، ولسان الميزان ، والإصابة في تمييز الصحابة ، وغيرها كثير . توفي عام (٨٥٢هـ) .

طبقات الحفاظ للسيوطي (ص/٥٥٢-٥٥٣) ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٧/٢٧٠) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي أبو عبد الله القرطبي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد ، من أهل قرطبة ، وكان ورعاً متعبداً ، له عدة مصنفات من أهمها : الجامع لأحكام القرآن ، والتذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة . توفي بمصر سنة (٦٧١هـ) .

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (٥/٣٣٥) .

(٤) فتح الباري (١/١٥٢) .

(٥) هو كههمس بن الحسن التميمي أبو الحسن البصري ، وثقه أحمد ، وقال أبو حاتم : لا بأس به ، من الخامسة . مات سنة (١٤٩هـ) .

سير أعلام النبلاء (٦/٣١٦) ، التقريب (ص/٤٦٢) (٥٦٧٠) .

عن ابن بريدة^(١) عن يحيى بن يعمر^(٢) أنه قال : « كان أول من قال بالبصرة في القدر معبد الجهني^(٣) ، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميدي^(٤) حاجين فقلنا : لو لقينا بعض أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء القوم ، فوافقنا عبد الله بن عمر وهو يدخل المسجد ، فاكتفناه أنا وصاحبي ، أهدنا عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي ، فقلنا : يا أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ، ويتفكرون العلم ، وإنهم يزعمون أنه لا قدر ، إنما الأمر أنف ، قال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني ، فوالذي يحلف به عبد الله بن عمر لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ، ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

ثم قال : أخبرني عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم ؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فوضع ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، ثم قال : يا محمد ، أخبرني

(١) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو سهل المروزي قاضي مرو ، ثقة من الثالثة . مات سنة (١١٥هـ) .

سير أعلام النبلاء (٥٠/٥) ، التقريب (ص/٢٩٧) (٣٢٢٧) .

(٢) هو يحيى بن يعمر البصري أبو سليمان القيسي الجدلي قاضي مرو ، فقيه أديب نحوي مروزي تابعي ، وأكثر روايته عن التابعين ، وكان يرسل . مات قبل المائة ، وقيل بعدها .

سير أعلام النبلاء (٤/٤٤١) ، التقريب (ص/٩٥٨) (٧٦٧٨) .

(٣) هو معبد بن خالد الجهني القدري ، ويقال إنه ابن عبد الله بن حكيم ، صدوق مبتدع ، وهو أول من أظهر القدر بالبصرة ، من الثالثة ، قتله عبد الملك بدمشق سنة ثمانين .

سير أعلام النبلاء (٤/١٨٥) ، التقريب (ص/٥٣٩) (٦٧٧٧) .

(٤) هو حميد بن عبد الرحمن الحميدي البصري ، ثقة فقيه عالم ، من الثالثة .

سير أعلام النبلاء (٤/٢٩٣) ، التقريب (ص/١٨٢) (١٥٥٤) .

عن الإسلام - ما الإسلام ؟

قال: تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي

الزكاة ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً.

قال : صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه .

ثم قال : أخبرني عن الإيمان ؟

قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ،

والقدر كله ، خيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الإحسان ؟

قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال : فأخبرني عن الساعة ؟

قال : ما المسئول عنها باعلم من السائل .

قال فأخبرني عن أماراتها ؟

قال : أن تلد الأمة ربها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة

يتطاولون في البنيان . ثم انطلق .

قال عمر : فلبثت ثلاثاً ثم قال رسول الله ﷺ : يا عمر ، أتدري من السائل؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ^(١) .

(١) الصلاة (١/٣٦٧-٣٦٩).

والحديث رواه مسلم (١/٣٦) ح (٨) - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام . . . إلخ ،

وأبو داود (٤/١١) ح (٤٦٩٥) - كتاب السنة - باب في القدر ، والترمذي (٨/٥) ح

(٢٦١٠) - كتاب الإيمان - باب ما جاء في وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام ،

والنسائي (٨/٩٧) - كتاب الإيمان - باب نعمت الإسلام .

وروى بسنده عن مطر بن الوراق^(١) عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال : « لما تكلم معبد بما تكلم به في شأن القدر أنكرنا ذلك ، قال : فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري ، فلما قضينا نسكنا قال لي : لو ملت بنا إلى المدينة فلقينا من بها من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما جاء به معبد ، فقدمنا المدينة ، فدخلنا المسجد نؤم عبد الله بن عمر وأبا سعيد الخدري ، فإذا عبد الله بن عمر قاعد ، فاكتفناه ، وقدمني حميد للمنطق ، وكنت أجراً على المنطق منه ، فقلت : أبا عبد الرحمن ، إن قوماً نشؤوا بالعراق عندنا ، قرأوا القرآن ، وفقهوا في الإسلام ، يقولون : لا قدر؟ قال : فإذا أنت لقيتهم فأخبرهم أن عبد الله بن عمر منكم بريء وأنتم منه براء ، والله لو أنفقوا جبال الأرض ذهباً ما قبله الله منهم حتى يؤمنوا بالقدر .

قال : وحدثني عمر : أن آدم وموسى اختصما إلى الله ، فقال له موسى : أنت آدم الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ فقال آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، وأنزل عليك التوراة ، قال : نعم . قال : فوجدته قدره علي قبل أن يخلقني ؟ قال : نعم . قال : فحج آدم موسى .

قال : وحدثني عمر قال : بينما نحن مع رسول الله إذ جاءه رجل هيئته هيئة مقيم ، وثيابه ثياب مسافر . قال : يا رسول الله ، أدنو منك ؟

قال : نعم . فدنا منه حتى وضع يديه على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ، ما

(١) هو مطر - بفتح ح - بن طهمان الوراق ، أبو رجاء السلمى مولاهم ، الخراساني ، سكن البصرة ، صدوق كثير الخطأ ، وحدثه عن عطاء ضعيف ، من السادسة . مات سنة (١٢٥هـ) ، وقيل : (١٢٩هـ) .

سير أعلام النبلاء (٥/٤٥٢) ، التقريب (ص/٥٣٤) (٦٦٩٩) .

الإسلام؟ قال: إن تسلم وجهك لله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت. قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: نعم. قال: صدقت.

قال يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: إن تخشى الله، أو تعبد الله كأنك تراه، فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك. قال: صدقت. قال: قلنا: انظروا كيف يسأله وكيف يصدقه؟!

فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: إن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والموت، والبعث، والجنة والنار، وبالقدر كله. قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: نعم. قال: صدقت. قال: قلنا: انظروا كيف يسأله وكيف يصدقه؟

قال مطر: وحدثني شهر^(١)، عن أبي هريرة: وبالقدر كله، خيرته وشره.

ثم قال: يا رسول الله، متى الساعة؟

قال: ما المسئول عنها باعلم من السائل. ثم ولى، فقال رسول الله ﷺ: علي بالرجل، فطلب، فما وجدوه، فقال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم^(٢).

(١) هو شهر بن حوشب الأشعري، أبو سعيد، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن، صدوق، كثير الإرسال والأوهام، من الثالثة. (ت ١١٢هـ).

سير أعلام النبلاء (٤/٣٧٢)، التقريب (ص/٢٦٩) (٢٨٣٠).

(٢) الصلاة (١/٣٧٠-٣٧٣).

والحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٥٧، تحقيق د. عبد الرحمن غميرة،

نشر دار عكاظ - جدة، ومسلم (١/٣٦) - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام . . . =

ثم ذكر ابن نصر طرفاً أخرى لحديث عمر رضي الله عنه (١) .

٢- طرق حديث ابن عمر :

قال ابن نصر : « وقد روى جماعة من الرواة هذا الخبر عن ابن عمر أنه كان حاضراً للنبي ﷺ حيث جاءه جبريل وسأله عن هذه المسائل ، وأسقطوا ذكر عمر فيما بينه وبين النبي ﷺ وزادوا ونقصوا من متن الحديث ، وغيروا بعض ألفاظه ... » (٢) .

٣- ثم بعد أن ذكر طرق الحديث عن عمر وابنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر طرق الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه « قال : يا محمد ، فأخبرني عن الساعة ؟ قال : فنكس ولم يجبه ، ثم عاد ، فلم يجبه ، ثم عاد ، فلم يجبه ، ثم رفع رأسه فحلف بالله ، أو قال : والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ما المسئول عنها باعلم من السائل ، ولكن لها علامات تعرف بها : إذا رأيت رعاء البهيم يتناولون في البنيان ، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض ، وإذا ولدت الأمة ربها ، في خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ عِنْدَهُ عَلِيمٌ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ... عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٣) .

= إلخ ، والآجري في الشريعة ص ٢٠٧-٢٠٨ ، بتحقيق محمد حامد الفقي ، نشر أنصار السنة النبوية - لاهور - ط . بدون ، أحمد في مسنده (٢٧/١) ، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٢/٤١٢-٤١٣) ح (٩:١) ، وانظر : الإيمان لابن منده (١/١٤١) ، والإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٦٤٢) ح (٨٢٨) .

(١) انظر هذه الطرق في : كتاب الصلاة (١/٣٧٣-٣٧٥) .

(٢) الصلاة (١/٣٧٦) ، وانظر طرق حديث ابن عمر في : الصلاة (١/٣٧٦-٣٨٥) .

(٣) لقمان : ٣٤ .

ثم سطع غبار من السماء ، فقال رسول الله ﷺ : والذي بعث محمداً بالهدى ودين الحق ما أنا بأعلم به من رجل منكم ، وإنه لجبريل جاء ليعلمكم في صورة دحية الكلبي (١) « (٢) .

٤- وأخيراً ذكر ابن نصر حديث جبريل من رواية أنس رضي الله عنه بألفاظ قريبة مما سبق (٣) .

فوجد في هذا الحديث العظيم أن النبي ﷺ فسر الإسلام بأعمال الجوارح من القول والعمل ، وأن جميع هذه الأعمال داخلة في مسمى الإسلام ، وفسر عليه السلام الإيمان بالاعتقادات القلبية .

ولهذا الغرض ذكر الإمام ابن نصر الحديث بطرقه المتعددة وألفاظه المختلفة ، وبين أن الناس اختلفوا « في تفسير حديث جبريل عليه السلام هذا ، فقال طائفة من أصحابنا : قول النبي : « الإيمان أن تؤمن بالله » وما ذكر معه ؛ كلام جامع مختصر له غور ، وقد أوهمت المرجئة (٤) في تفسيره ، فتأولوه على غير تأويله ، قلة معرفة منهم بلسان العرب وغور كلام

(١) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد بن امرئ القيس الكلبي ، صحابي مشهور ، أول مشاهده الخندق ، وقيل أحد ، ولم يشهد بدرأ ، وكان يضرب به المثل في حسن الصورة ، وكان جبريل عليه السلام ينزل على صورته ، مات في خلافة معاوية . سير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠) ، الإصابة (١/ ٤٦٣) (٢٣٩٠) .

(٢) انظر طرق الحديث في : تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٨٥-٣٨٩) ، والحديث أخرجه البخاري (٤/ ٤١١) - كتاب السنة - باب في القدر ، والنسائي (٨/ ١٠١) - كتاب الإيمان - باب صفة الإيمان والإسلام .

(٣) انظر : الصلاة (١/ ٣٨٩-٣٩٢) .

(٤) سيأتي التعريف بالمرجئة عند رد ابن نصر على الفرق الضالة .

النبي ﷺ ، الذي قد أعطي جوامع الكلم وفوائحه ، واختصر له الحديث اختصاراً ﷺ « (١) .



البحث الثاني

تفسير حديث جبريل في مسائل الإيمان

وفيه المطالب التالية :

المطلب الأول : الإيمان بالله . تعريفه وأهميته .

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة .

المطلب الثالث : عبادة الملائكة .

المطلب الرابع : الإيمان بكتب الله .

المطلب الخامس : الإيمان بالرسول .

المطلب السادس : الإيمان باليوم الآخر .

المطلب السابع : الإيمان بالقضاء والقدر .

المطلب الأول

الإيمان بالله تعريفه وأهميته

بعدما ذكر ابن نصر حديث جبريل شرع في شرح أركان الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ بقوله : « الإيمان : أن تؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره » (١) .

ولأهمية هذه الأركان ذكرها الله في آيات من كتابه العزيز منها :

١- قوله تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (٢) .

٢- وقال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ (٣) .

٣- ودليل الإيمان بالقدر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (٤) ، وتوعد الله سبحانه من لم يؤمن بها بالخسران المبين والضلال البعيد ، فقال :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه ، وانظر : الصلاة (١/٣٦٨) .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) البقرة : ١٧٧ .

(٤) القمر : ٤٩ .

بَعِيداً ﴿١﴾ .

وبدأ الإمام ابن نصر شرحه لأركان الإيمان بالركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله ؛ لأن الله بدأ به في كتابه ، وبدأ به رسوله محمد ﷺ كما ورد في حديث جبريل ، ولأنه « أهم الأصول الاعتقادية والعملية ، وعليه مدار الإسلام ، وهو لب القرآن ، ولا نبالغ إذا قلنا إن القرآن كله حديث عن هذا الإيمان . . . إنا نستطيع أن نقول إن الإيمان بالله بالنسبة لبقية الأصول والفروع كأصل الشجرة بالنسبة للساق والفروع ، فهو أصل الأصول ، وقاعدة الدين ، وكلما كان حظ المرء من الإيمان بالله عظيماً ؛ كلما كان حظه في الإسلام كبيراً » (٢) .

تعريف الإيمان لغة :

الإيمان : « مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن ، واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق » (٣) .

قال أبو عبد الله بن بطة (٤) : « الإيمان : اسم ومعناه التصديق ، قال

(١) النساء : ١٣٦ .

(٢) العقيدة في الله ص ٦٠-٦١ ، د . عمر سليمان الأشقر ، نشر مكتبة الفلاح - ط . الرابعة - ١٩٨٣ م .

(٣) لسان العرب (١/٢٢٤) لابن منظور ، تعليق : علي شيري ، نشر دار إحياء التراث العربي - ط . الأولى ١٤٠٨ هـ ، وانظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ٩١ ، تحقيق : صفوان عدنان داوري ، نشر دار القلم - دمشق - ط . الأولى - ١٤١٢ هـ .

(٤) هو الإمام القدوة العابد الفقيه المحدث ، شيخ العراق ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة ، مصنف كتاب الإبانة الكبرى ، له مع فضله أوهام وغلط . توفي عام (٣٨٧ هـ) .

سير أعلام النبلاء (١٦/٥٢٩) ، شذرات الذهب (٣/١٢٢-١٢٤) .

تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(١) ، يريد : بمصدق لنا^(٢) .

قال ابن نصر عن طائفة من أهل السنة^(٣) : « الإيمان في اللغة هو التصديق ، والإسلام في اللغة هو الخضوع ، فأصل الإيمان : هو التصديق بالله وما جاء من عنده ، وإياه أراد النبي ﷺ بقوله : « الإيمان أن تؤمن » ، وعنه يكون الخضوع لله ، لأنه إذا صدق بالله خضع له ، وإذا خضع أطاع ، فالخضوع عن التصديق ، وهو أصل الإسلام .

ومعنى التصديق هو المعرفة بالله ، والاعتراف له بالربوبية ، بوعدته ، ووعيده ، وواجب حقه ، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل^(٤) .

تعريف الإيمان اصطلاحاً :

أما حد الإيمان اصطلاحاً فقد اختلفت فيه الأمة اختلافاً عظيماً ، قال أبو عبيد^(٥) : « اعلم رحمك الله أن أهل العلم والعناية بالدين اختلفوا في هذا الأمر فرقتين : فقالت إحداهما : الإيمان بالإخلاص له بالقلوب وشهادة

(١) يوسف : ١٧ .

(٢) الشرح والإبانة على أصول الديانة ص ١٨٢-١٨٣ ، تحقيق : رضانعمان ، نشر المكتبة الفيصلية - ط . ١٤٠٤ هـ . وأشار إليه فيما بعد باسم الإبانة الصغرى لتمييزه عن الإبانة الكبرى .

(٣) وهم الذين قالوا بترادف الإيمان والإسلام ، وابن نصر منهم .

(٤) الصلاة (٢/٦٩٥) .

(٥) هو القاسم بن سلام البغدادي ، أبو عبيد ، الإمام المشهور ، ثقة فاضل ، مصنف ، قال ابن حبان في الثقات : كان أحد أئمة الدنيا ، صاحب حديث وفقه ودين وورع ومعرفة بالأدب وأيام الناس ، جمع وصنف واختار ، وذب عن الحديث ونصره . توفي عام (٢٢٤هـ) . سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩) ، التقريب (ص/٤٥٠) (٥٤٦٢) .

الألسنة وعمل الجوارح .

وقالت الفرقة الأخرى : بل الإيمان بالقلوب والألسنة ، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر ، وليست من الإيمان .

وإذا نظرنا في اختلاف الطائفتين ، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً ، وينفيان ما قالت الأخرى^(١) .

وقال ابن أبي العز الحنفي : « اختلف الناس فيما يقع عليه اسم الإيمان اختلافاً كثيراً : فذهب مالك والشافعي وأحمد والأوزاعي^(٢) وإسحاق بن راهويه^(٣) ، وسائر أهل الحديث ، وأهل المدينة رحمهم الله ، وأهل الظاهر ، وجماعة من المتكلمين : إلى أنه تصديق بالجنان ، وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي : أنه الإقرار باللسان ، والتصديق بالجنان^(٤) .

(١) الإيمان ص ٥٣-٥٤ ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر دار القلم - الكويت ، ضمن أربع رسائل .

(٢) هو عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو واسمه يحمد الشامي ، أبو عمرو الأوزاعي الفقيه ، نزل بيروت في آخر عمره فمات فيها مرابطاً ، فقيه ثقة جليل ، قال ابن حبان في الثقات : كان من فقهاء أهل الشام وقرائهم وزهادهم . مات سنة (١٥٨هـ) . سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧) ، التقريب (ص/٣٤٧) (٣٩٦٧) .

(٣) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي ، أبو محمد بن راهويه ، ثقة حافظ مجتهد ، قرين أحمد بن حنبل ، أحد الأئمة ، طاف البلاد ، تغير قبل موته ببسبر . ولد سنة (١٦١هـ) ، وتوفي سنة (٢٢٨هـ) .

سير أعلام النبلاء (١١/٣٥٨) ، التقريب (ص ٩٩) (٣٣٢) .

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٥٩) .

فالإيمان عند السلف يتكون من ثلاثة أركان :

١- الاعتقاد بالقلب .

٢- القول باللسان .

٣- العمل بالجوارح .

وهذه الأركان الثلاثة هي موضع إجماع بين علماء سلف هذه الأمة ، قال الشافعي رحمه الله : « وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ومن أدركنا يقولون : « الإيمان قول وعمل ونية ، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر »^(١) .

وقال البغوي رحمه الله^(٢) : « اتفقت الصحابة والتابعون ، فمن بعدهم من علماء السنة على أن « الأعمال من الإيمان » ، ثم قال أيضاً : وقالوا : الإيمان قول وعمل وعقيدة »^(٣) .

فعلى هذه الأركان الثلاثة تدور تعريفات السلف للإيمان ، إلا أنهم يعبرون عنه بألفاظ مختلفة اختلاف تنوع ، لا اختلاف تضاد ، ومن ذلك ما

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/٨٨٦-٨٨٧) لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ، تحقيق : د. أحمد سعد حمدان ، نشر دار طيبة - الطبعة الأولى .

(٢) هو الحسين بن مسعود الفراء أبو محمد البغوي الشافعي المفسر الملقب محيي السنة ، كان سيداً إماماً عالماً علامة ، له القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه ، من مصنفاته : شرح السنة ، ومعالم التنزيل ، والمصابيح ، وغيرها كثير . مات سنة (٥١٦هـ) . طبقات الشافعية الكبرى (٤/٢١٤-٢١٧) ، سير أعلام النبلاء (١٩/٤٣٩) .

(٣) شرح السنة (١/٣٨-٣٩) ، تحقيق : زهير الشاويش وشعيب الأرنؤوط ، نشر المكتب الإسلامي - ط . الثانية - ١٤٠٣هـ .

قاله الإمام أحمد رحمه الله : « قال أبو بكر الخلال ^(١) :

١ - أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد الميموني ^(٢) : أنه سأل أبا عبد الله :

الإيمان قول وعمل ونية ؟ فقال لي : كيف يكون بلا نية ؟ نعم ، الإيمان

قول وعمل ونية . لا بد من النية ، قال لي : النية متقدمة .

اختلفت عبارة الإمام أحمد في تعريف الإيمان ؛ فتارة يقول : قول وعمل

ونية . . .

٢ - وفي رواية الإصطخري ^(٣) زاد وتمسك بالسنة .

٣ - وتارة يقول : قول وعمل ^(٤) .

(١) هو الإمام العلامة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون ابن يزيد البغدادي الخلال ، رحل إلى فارس والشام والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد ، صنف كتاب الجامع في الفقه ، والعلل ، والسنة في العقيدة طبع جزء منه بتحقيق د. عطية الزهراني . مات سنة (٣١١هـ) .

طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢/١٢-١٥) ، سير أعلام النبلاء (١٤/٢٩٧) .

(٢) هو عبد الملك بن عبد الحميد بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران الجزري ثم الرقي ، أبو الحسن الميموني الحافظ الفقيه ، ثقة فاضل ، لازم أحمد أكثر من عشرين سنة ، من الحادية عشر . مات سنة (٢٧٤هـ) .

سير أعلام النبلاء (١٣/٨٩) ، التقريب (ص/٣٦٣) (٤١٩٠) .

(٣) هو أحمد بن جعفر بن يعقوب بن عبد الله أبو العباس الفارس الإصطخري ، روى عن الإمام رسالة في العقيدة .

طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/٢٤-٣٦) .

(٤) المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة (١/٦٣) ، جمع : عبد الإله بن

سلمان الأحمد ، نشر دار طيبة - ط. الأولى - ١٤١٢هـ .

وقال الإمام أبو حاتم الرازي^(١) وأبو زرعة الرازي^(٢) : « أدركنا العلماء في جميع الأمصار . . . فكان مذهبهم أن الإيمان قول وعمل »^(٣) .

وقال محمد بن الحسين الأجرى رحمه الله^(٤) : « اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين : أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح »^(٥) .

وعقد الإمام ابن بطة باباً في كتابه الإبانة الكبرى عنوان له بـ « بيان الإيمان ، وفرضه ، وأنه تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح

(١) هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين ، كان من بحور العلم ، طوف البلاد ، وبرع في المتن والإسناد ، وجمع وصنف ، وجرح وعدل ، وصحح وعلل ، وهو من نظراء البخاري . (ت ٢٧٧هـ) .
سير أعلام النبلاء (١٣/٢٤٧-٢٦٣) ، تهذيب التهذيب (٩/٢٨) .

(٢) هو الإمام سيد الحفاظ ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ محدث الري ، ثقة ، قال إسحاق بن راهويه : كل حديث لا يعرفه أبو زرعة الرازي فليس له أصل . توفي عام (٢٦٤هـ) .

تذكرة الحفاظ (٢/٥٥٧-٥٥٩) ، سير أعلام النبلاء (١٣/٦٥) .

(٣) عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة ص ١٤٩ ، جمع : محمود بن محمد الحداد ، نشر دار الفرقان - ط . بدون .

(٤) هو الإمام المحدث القدوة شيخ الحرم الشريف ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الأجرى ، صاحب التوالمف منها : الشريعة في السنة ، الرؤية ، الغرائب ، الأربعين ، وغيرها كثير ، وكان صدوقاً خيراً عابداً صاحب سنة واتباع ، مات سنة (٣٦٠هـ) .

سير أعلام النبلاء (١٦/١٣٣) ، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص/٣٧٩) (٨٥٦) .

(٥) الشريعة ص ١١٩ .

والحركات، لا يكون العبد مؤمناً إلا بهذه الثلاث^(١)، ساق فيه رحمه الله الكثير من الآيات والأحاديث وأقوال أهل العلم في أن الإيمان يتكون من هذه الأركان الثلاث^(٢).

وعرف القاضي أبو يعلى^(٣) الإيمان شرعاً، فقال: «هو جميع الطاعات الباطنة والظاهرة، فالباطنة أعمال القلب، وهو تصديق القلب، والظاهرة هي أفعال البدن الواجبات والمندوبات»^(٤).

وقال النووي رحمه الله: «قال عبد الرزاق:»^(٥) سمعت من أدركت من شيوخنا وأصحابنا: سفيان الثوري^(٦)، ومالك بن أنس، وعبيد الله بن

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢/٧٦٠)، تحقيق: رضا نعان، نشر دار الراية بالرياض ط. الأولى-١٤٠٩هـ، والكتاب طبع في مجلدين، وهو جزء من الكتاب أخذ رسالة علمية، وأشير إليه بالإبانة الكبرى في النقول التالية.

(٢) الإبانة الكبرى (٢/٧٦٠-٨٢٧).

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء البغدادي، ولد سنة (٣٨٠هـ) ببغداد، له من المصنفات: إبطال التأويلات لأخبار الصفات، والأحكام السلطانية، والعدة في أصول الفقه، ومختصر المعتمد، ومسائل الإيمان، وغيرها كثير. توفي رحمه الله سنة (٤٥٨هـ).

(٤) مسائل الإيمان ص ١٥٢، تحقيق: سعود الخلف، نشر دار العاصمة-الرياض-ط. الأولى ١٤١٠هـ.

(٥) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولا هم، أبو بكر الحميري، الصنعاني، ثقة حافظ مصنف شهير، كان يتشيع. مات سنة (٢١١هـ) وله ثمانون عاماً. سير أعلام النبلاء (٩/٥٦٣)، التهذيب (٦/٢٧٨) (٦١١).

(٦) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي، من ثور، ثقة حافظ، فقيه عابد، إمام حجة، من رؤوس الطبقة السابعة، وكان ربما دلس، وكان من سادات الناس فقهاً وورعاً وإتقاناً. مات سنة (١٦١هـ).

سير أعلام النبلاء (٧/٢٢٩)، التقريب (ص/٢٤٤) (٢٤٤٥).

عمر^(١) ، والأوزاعي ، ومعمر بن راشد^(٢) ، وابن جريج^(٣) ، وسفيان بن عيينة^(٤) - يقولون : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص .

وهذا قول : ابن مسعود ، وحذيفة ، والنخعي^(٥) ، والحسن البصري^(٦) ،

(١) هو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العدوي العمري المدني ، أبو عثمان ، أحد الفقهاء السبعة ، وكان من سادات أهل المدينة وأشرف قريش فضلاً وعلماً وعبادة وشرفاً وحفظاً وإتقاناً ، ثقة ثبت . مات سنة بضع وأربعين للهجرة . سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٠٤) ، التقريب (ص/ ٣٧٣) (٤٣٢٤) .

(٢) هو معمر بن راشد الأزدي الحراني مولاهم ، أبو عمرو البصري ، نزيل اليمن ، ثقة ثبت فاضل ، إلا أن في روايته عن ثابت والأعمش وهشام بن عمرو شيئاً ، وكذا فيما حدث به بالبصرة ، من كبار السابعة . مات سنة ١٥٣ هـ . سير أعلام النبلاء (٥/ ٧) ، التقريب (ص/ ٥٤١) (٦٨٠٩) .

(٣) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي مولاهم ، أبو الوليد أبو خالد المكي ، أصله رومي ، ثقة فقيه فاضل من الأئمة ، كان صدوقاً ، وكان من العباد يصوم الدهر إلا ثلاثة أيام من الشهر . سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٢٥) ، التقريب (ص/ ٣٦٣) (٤١٩٣) .

(٤) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ثم المكي ، ثقة حافظ فقيه ، إمام حجة ، إلا أنه تغير حفظه بآخره ، وكان ربما دلس لكن عن الثقات ، من رؤوس الطبقة الثامنة . مات سنة (١٩٨ هـ) . سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤) ، التقريب (ص/ ٢٤٥) (٢٤٥١) .

(٥) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل النخعي ، أبو عمران الكوفي الفقيه ، ثقة إلا أنه يرسل كثيراً ، قال الأعمش : كان إبراهيم صيرفي الحديث ، وقال الشعبي : ما ترك أحداً أعلم منه ، من الخاصة . مات سنة (٩٦ هـ) . سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠) ، التقريب (ص/ ٩٥) (٢٧٠) .

(٦) هو الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه يسار ، الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه ، فاضل مشهور ، كان يرسل كثيراً ويدلس . (ت ١١٠ هـ) وقد قارب التسعين . التقريب (ص/ ١٦٠) (١٢٢٧) ، التهذيب (٢/ ٢٣١) (٤٨٨) .

وعطاء^(١) ، وطاوس^(٢) ، ومجاهد^(٣) ، وعبد الله بن المبارك^(٤) .

فالمعنى الذي يستحق به العبد المدح والولاية من المؤمنين هو إتيانه بهذه الأمور الثلاثة : التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح^(٥) .

واعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) أن « من أصول أهل السنة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح »^(٦) .

وعرف ابن القيم (ت ٧٥١هـ) الإيمان فقال : هو « حقيقة مركبة من معرفة

(١) هو عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم أبو محمد المكي ، ثقة فقيه فاضل ، لكنه كثير الإرسال ، من الثالثة ، وقيل : إنه تغير بآخره . (ت ١١٤هـ) .
سير أعلام النبلاء (٧٨/٥) ، التقريب (ص/٣٩١) (٤٥٩١) .

(٢) هو طاوس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميري الجندي مولاهم الفارسي ، يقال اسمه ذكوان وطاوس لقب ، ثقة فقيه فاضل ، من الثالثة . مات سنة (١٠٦هـ) ، وقيل بعد ذلك .

سير أعلام النبلاء (٣٨/٥) ، التقريب (ص/٢٨١) (٣٠٠٩) .

(٣) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي مولاهم المكي ، ثقة إمام في التفسير وفي العلم ، من الثالثة . مات سنة إحدى أو ثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ٨٣ سنة .

سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩) ، التقريب (ص/٥٢٠) (٦٤٨١) .

(٤) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم ، أبو عبد الرحمن المروزي ، أحد الأئمة ، ثقة ثبت ، فقيه عالم ، جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير ، صنف كتباً كثيرة في أبواب العلم ، وكان ثقة مأموناً ، من الثامنة . مات سنة (١٨١هـ) .

سير أعلام النبلاء (٨/٣٧٨) ، التقريب (ص/٣٢٠) (٣٥٧٠) .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٤٦-١٤٧) .

(٦) الواسطية ص ٢٥ ، نشر مؤسسة عكاظ - جدة - ط . الأولى - ١٤٠٢هـ .

ما جاء به الرسول ﷺ علماً ، والتصديق به عقداً ، والإقرار به نطقاً ،
والانقياد له محبة وخضوعاً ، والعمل به باطناً وظاهراً ، وتنفيذه والدعوة إليه
بحسب الإمكان»^(١) .

وعرفه الإمام ابن نصر فقال : « الإيمان : أن تؤمن بالله : أن توحيده ،
وتصدق به بالقلب واللسان ، وتخضع له ولأمره ، بإعطاء العزم للأداء لما
أمر ، مجانياً للاستكاف^(٢) والاستكبار ، والمعاندة ، فإذا فعلت ذلك لزممت
محابه واجتنبت مساخطه . . وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به ، وتصديقك
إياه ، واتباعك ما جاء به ، فإذا اتبعت ما جاء به ؛ أدت الفرائض ، وأحللت
الحلال ، وحرمت الحرام ، ووقفت عند الشبهات ، وسارعت في
الخيرات»^(٣) .

ثم فسره تفسيراً شاملاً فقال : « الإيمان : هاهنا عبادة لله ، قال الله عز
وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٤) ، وقال : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ
الدِّينَ ﴾^(٥) .

فالْمُؤْمِنُ هو العابد لله ، والعبادة لله هي فعل العابد وهو الإيمان ، والخالق
هو المعبود الذي خلق المؤمن وعبادته ، وكل شيء منه ، فالخالق بصفاته
الكاملة ، خالق غير مخلوق ولا شيء منه مخلوق ، والعباد بصفاتهم

(١) الفوائد ص ١٩٦ ، تحقيق : بشير محمد عيون ، نشر مكتبة البيان - ط . الأولى - ١٤٠٧ هـ .

(٢) في المطبوع (للاستكاف) والصواب من النسخة التي حققها د . الريش .

(٣) الصلاة (١/٣٩٢-٣٩٣) .

(٤) البينة : ٥ .

(٥) الزمر : ٢ .

وأفعالهم كل شيء منهم مخلوق»^(١) .

فهذه هي أقوال علماء السلف الصالح على مر التاريخ في تعريفهم للإيمان، وهي بحمد الله لا اختلاف بينها، بل إنها تدل على أن الإيمان مركب من قول وعمل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في « تفسير الإيمان » ، فتارة يقولون : هو قول وعمل ، وتارة يقولون : قول وعمل ونية واتباع السنة ، وتارة يقولون : قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، وكل هذا صحيح . فإذا قالوا : قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق »^(٢) .



(١) الإيمان (١/٣٢٧-٣٢٨) لمحمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق : د. علي محمد ناصر فقيهي ، نشر مؤسسة الرسالة - ط . الثانية - ١٤٠٦ هـ .

(٢) الإيمان ، ضمن مجموع الفتاوى (٧/١٧٠) ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، توزيع الحكومة السعودية .

المطلب الثاني

الإيمان بالملائكة^(١)

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان ، لا يتم إيمان العبد إلا به ، وقد ورد ذكر الإيمان بالملائكة مقروناً بالإيمان بالله في آيات كثيرة من آي الذكر الحكيم ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ لَانْفِرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴾^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾^(٣) .

والإيمان بالملائكة يتضمن الإقرار الجازم بوجودهم ، وأنهم من مخلوقات الله ليسوا بنات ولا أولاداً ، ولا شركاء معه في ملكه كما يقول الظالمون ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

فلا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بهم ، وأنهم خلقوا من نور ، قال ﷺ : « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف

(١) قال ابن حجر في تعريفه للملائكة : « جمع ملك بفتح اللام ، فليل : مخفف من مالك ، وقيل : مشتق من الألوكة وهي الرسالة ، وهذا قول سيبويه والجمهور ، وأصله لوك ، وقيل : أصله الملك بفتح ثم سكون ، وهو الأخذ بقوة ، وحيث لا مدخل للميم فيه » .

الفتح (٦/٣٥٣) .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) البقرة : ١٧٧ .

لكم»^(١) .

وقد خلقهم الله قبل آدم ، وأمرهم بالسجود تكريماً له ولذريته ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾^(٢) .

والملائكة موصوفون بالقوة ؛ لذا فإنهم أعظم جنود الله ، سخرهم لطاعته ، ومنحهم الانقياد التام لطاعته ؛ لأن لفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسله ، فليس لهم من الأمر شيء ، بل الأمر كله لله من قبل ومن بعد ، وهم ينفذون أمر خالقهم : ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(٣) .

وللملائكة وظائف عديدة ، منها : حفظ الناس وكتابة أعمالهم ، قال مجاهد : « وكل الله بالإنسان مع علمه بأحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ، ويكتبان أثره إلزاماً للحجة ، أحدهما عن يمينه يكتب الحسنات ، والآخر عن شماله يكتب السيئات ؛ فذلك قوله : ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾^(٤) »^(٥) .

ومن أعمالهم سؤال الميت في قبره ، وحضور الصلوات مع المصلين ، والقتال مع المسلمين - كما حدث في بدر - ، وحضور مجالس الذكر وتلاوة

(١) رواه مسلم (٢٢٩٤/٤) ح (٢٩٩٦) - كتاب الزهد والرقائق - باب في أحاديث متفرقة ، وأحمد في مسنده (١٥٣/٦ ، ١٦٨) ، وابن منده في التوحيد (٢٠٨/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/٩) ، وانظر : مجمع الزوائد (١٣٤/٨) .

(٢) البقرة : ٣٤ .

(٣) التحريم : ٦ .

(٤) ق : ١٧ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩/١٧) ، نشر دار الفكر - ط . بدون .

القرآن ، ومنهم حملة العرش ، والموكلون بالجنة والنار ، وغير ذلك من الأعمال التي كلفهم خالقهم وربهم بها .

وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ (١)

والملائكة يموت كما يموت بنو آدم ، قال ابن عباس : لما نزلت : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ (٢) قالت الملائكة : هلك أهل الأرض ، فنزلت : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (٣) فأيقنت الملائكة بالهلاك (٤)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الذي عليه أكثر الناس : أن جميع الخلق يموتون حتى الملائكة ، وحتى عزرائيل ملك الموت . . . والله سبحانه وتعالى قادر على أن يميتهم ثم يحييهم ، كما هو قادر على إماتة البشر والجن ثم إحيائهم ، وقد قال سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٥) » (٦)

وقد أنكر بعض أهل البدع والزيغ والضلال من الفلاسفة (٧) وغيرهم

(١) المدثر : ٣١ .

(٢) الرحمن : ٢٦ .

(٣) القصص : ٨٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٦٥) .

(٥) الروم : ٢٧ .

(٦) مجموع الفتاوى (٤/٢٥٩-٢٦٠) .

(٧) قال ابن رشد : « فعل الفلاسفة ليس شيئاً أكثر من النظر في الموجودات من جهة دلالتها على

الصانع . . . وكلما كانت المعرفة بصفاتها أتم كانت المعرفة بصانعها أتم » فصل المقال ص ٢٧ .

ومن علماء الفلسفة : الفارابي ، وابن سينا ، قال الفارابي : « لولا ما أنقذ الله به أهل

العقول والأذهان بهذين الحكيمين أفلاطون وأرسطو ومن سلك سبيلهما . . . لكان الناس =

الملائكة ، وقالوا إنها قوى معنوية لا أجسام ، ومن هؤلاء « الملاحدة المتفلسفة »^(١) الذين يجعلون « الملائكة » قوى النفس الصالحة و« الشياطين » قوى النفس الخبيثة ، ويجعلون سجود الملائكة طاعة القوى الصالحة للعقل ، وامتناع الشياطين عصيان القوى الخبيثة للعقل ، ونحو ذلك من المقالات التي يقولها أصحاب «رسائل إخوان الصفا»^(٢) ، وأمثالهم من القرامطة الباطنية ، ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة^(٣) والمتعبدة . وقد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا إسناد لها يعتمد عليه^(٤) .

أما جمهور أهل الكلام من المسلمين فقالوا : « الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السموات ، وأبطل من قال إنها الكواكب ، أو إنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها ، وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها »^(٥) .

= في حيرة ولبس «الجمع بين رأي الحكيمين ص ٢٩-٣٠ ، نشر مكتبة السعادة - ط. ١٩٠٧ م.

(١) كابن عربي وابن سبعين ، ومن نحوهما وسلك سبيلهما .

(٢) جماعة من الشيعة الباطنية عامة ، ومن الإسماعيلية خاصة ، نشأت في البصرة ، ولزمت التكمم والسرية حتى سنة (٣٣٤هـ) ، ألفوا كتاباً في أنواع شتى ، ورتبوه مقالات عدتها إحدى وخمسون مقالة ، نشرتها دار صادر- بيروت .

انظر : إخوان الصفا تأليف عمر الدسوقي- القاهرة ، إخوان الصفا تأليف د. مصطفى غالب ، وانظر : تاريخ الفكر العربي لعمر فروخ ص ٣٧٧-٤٠٠ ، نشر دار العلم للملايين .

(٣) علم الكلام : علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والتوحيد الذي يدعونه إنما هو تعطيل حقائق الأسماء والصفات ، وفيه من الكفر والضلال ما هو من أعظم أسباب الشرك » مجموع الفتاوى (١٨/٥٨) . ومن علماء أهل الكلام : العلاف ، والنظام ، والجاحظ ، والجبائي ، وغيرهم .

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٣٤٦) .

(٥) فتح الباري (٦/٣٥٣) .

ويذهب الإمام ابن نصر في اعتقاده بالملائكة إلى ما ذهب إليه السلف الصالح ، وقال إن الإيمان بالملائكة يكون بأن تؤمن « بمن سمي الله لك منهم في كتابه ^(١) ، وتؤمن بأن لله ملائكة سواهم لا يعرف أساميهم وعددهم إلا الذي خلقهم » ^(٢).

وقال أيضا : « ويروى أن الله تبارك وتعالى إذا نزل إلى السماء الدنيا ^(٣)

(١) لم يرد إلينا من أسماء الملائكة إلا القليل ، منهم :
أ- جبريل وميكائيل ، قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٨].

ب- إسرافيل : كما ورد في الحديث : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل .. الحديث ».

ج- مالك ، قال تعالى : ﴿ وَتَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا تُكُونُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٧].

د- رضوان ، منكر ونكير ، هاروت وماروت .

انظر : عالم الملائكة الأبرار ص ١٦- ١٨ د . عمر سليمان الأشقر ، نشر مكتبة الفلاح - ط . الثالثة - ١٤٠٣ هـ .

(٢) الصلاة (١/ ٣٩٣) .

(٣) ثبت ابن نصر صفة النزول لله تعالى كما أثبتها أئمة السلف الصالح ، بالكيفية التي تليق بجلال الله وعظمته ؛ لأنها من الصفات الفعلية الخيرية التي وردت في أحاديث صحيحة ، وما ذهب إليه ابن نصر من إثبات صفة النزول لله هو موضع إجماع بين علماء سلف الأمة . قال الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) : « وينزل كل ليلة إلى السماء كيف يشاء ﴾ ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ﴿ » المسائل والرسائل في العقيدة ، جمع : عبد الإله بن سلمان الأحمدي (١/ ٣٤٩) .

وقال أبو إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩هـ) : « وثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكيف ، بل يثبتون ما أثبتته رسول الله ﷺ ويتهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكفون علمه إلى الله » عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٢٦- ٢٧ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) : « قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ، ومن قال ما قاله الرسول ﷺ ففعله حق وصدق » شرح حديث النزول ص ٥ .

نادى مناد : ألا نزل الخالق العليم ؛ فيسجد أهل السماء ، فلا يمر بأهل سماء إلا وهم سجود . وعن النبي ﷺ أنه قال : « ما منها أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد»^(١) ؛ يخبرك أن جميع أهل السموات ليس شيء عندهم أعظم من السجود ، إذا علموا أن الله تعالى قد تجلى للسموات اعتصموا بالسجود تعظيماً وإجلالاً له»^(٢) .

ثم ذكر ابن نصر عدة أحاديث تفيد سجود الملائكة عند نزول رب العالمين خضوعاً له بالعبودية والطاعة .

فمن هذه الأحاديث التي ذكرها ابن نصر :

= وقال ابن القيم : « إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة ، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع » مختصر الصواعق المرسله ص ٣٨٠ .
وانظر :

١ - رد الإمام الدارمي (ت ٢٨٢هـ) على بشر المريسي ص ١٩ ، تحقيق : محمد حامد الفقي .

٢ - السنة لابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) ص ٢١٨ ، تحقيق : الألباني .

٣ - كتاب النزول للدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق : د . علي محمد ناصر فقيهي .

٤ - الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) (١/٢٤٨) ، تحقيق : محمد المدخلي .

(١) رواه الترمذي (٤/٤٨١ - ٤٨٢) ح (٢٣١٢) - كتاب الزهد - باب قول النبي ﷺ : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً » ، وابن ماجه (٢/١٤٠٢) ح (٤١٩٠) - كتاب الزهد - باب الحزن والبكاء ، وأحمد في المسند (٥/١٧٣) ، والحاكم في المستدرک (٢/٥١٠) - كتاب التفسير ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٢) الصلاة (١/٢٥٧) .

١ - ما رواه بسنده عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : « بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم إذ قال لهم : هل تسمعون ما اسمع ؟ قالوا : ما نسمع من شيء ، قال نبي الله ﷺ : إني لاسمع أطيظ السماء ، وما تلام أن تنظ ، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»^(١) .

٢ - روى بسنده عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء ، وحق لها أن تنظ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا ملك واضع جبهته ساجداً لله ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً »^(٢) .

٣ - روى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : « إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائماً ، ثم قرأ : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴾ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿٣﴾ »^(٤) .

فأخبر النبي ﷺ عن الملائكة وطاعتهم وسجودهم لله رب العالمين ، وأخبر أيضاً أن الملائكة تدعو للمؤمنين وتستغفر لهم وتطلب من الله أن يدخلهم جنات النعيم ، وذلك ما داموا هم في صلاتهم أو ينتظرون الصلاة ؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث أو يقم : اللهم اغفر له ،

(١) رواه الطحاوي في مشكل الآثار (٤٣/٢) ، والمنقي الهندي في كتر العمال (٢٩٨٦٥) ، (٢٩٨٦٦) ، والسيوطي في الدر المنثور (٢٩٣/٥) ، وخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤٩/٣) ح (١٠٦٠) .

(٢) الصلاة (٢٥٩/١) ، والحديث تقدم تخريجه .

(٣) الصافات : ١٦٦-١٦٥ .

(٤) الصلاة (٢٦٠-٢٦١) ، والحديث تقدم تخريجه .

اللهم ارحمه»^(١).

يقول ابن نصر: «وكذلك جعل تسليم الملائكة عليهم بمقادير أوقات صلواتهم»^(٢).



(١) رواه البخاري (٢٣٤/١) ح (٦٢٨) - كتاب الجماعة - باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ومسلم (٤٥٩/١) ح (٦٦٢) - كتاب المساجد - باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة .

(٢) الصلاة (٣٣٨/١) .

المطلب الثالث

عبادة الملائكة

طبع الله سبحانه الملائكة على طاعته وتسبيحه ، وتنزيهه عما لا يليق بجلاله ؛ لذا فهم عباد الله المكرمون ، الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

والملائكة لا شهوة لهم مثل بني آدم ، بل هم مجبولون على طاعة الواحد الأحد ، ولهذا السبب كان « صالحو البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، والملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى ، منزهون عما يلابسه بنو آدم ، مستغرقون في عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة »^(١) .

وقد اختلف أهل العلم في تكليف الملائكة .

قال السفاريني^(٢) : « اختلف في تكليف الملائكة عليهم السلام ، قال

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣٤٣) .

(٢) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني ، شمس الدين ، عالم بالحديث والأصول ، من المحققين ، وهو من متأخري الخنابلة ، من أشهر كتبه : غذاء الألباب ، وشرح ثلاثيات المسند ، ولوامع الأنوار البهية . مات سنة (١١٨٨هـ) .

الأعلام للزركلي (٦/١٤) .

العلامة شمس الدين بن مفلح^(١) في كتابه الفروع : ومذاهب العلماء إخراج الملائكة من التكليف والوعد والوعيد . . . وقال ابن جماعة^(٢) في شرح بدء الأمالي : المكلفون على ثلاثة أقسام : قسم كلف من أول الفطرة قطعاً وهم الملائكة وآدم وحواء عليهم السلام . . .

قلت : الكتاب و السنة ظاهرهما تكليف الملائكة «^(٣) .

وقد ثبت في الكتاب والسنة بعض التكاليف التي أمر الله بها الملائكة ، ومن أهم هذه التكاليف التسبيح ، قال تعالى : ﴿ يَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾^(٤) .

ومن التكاليف أيضاً الصلاة ، كما أخبر النبي ﷺ أنهم يصفون ويتمون الصف الأول فالأول ، فعن جابر بن سمرة^(٥) رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ فقلنا : يا رسول الله ،

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي ، كان بارعاً فاضلاً متفناً في علوم كثيرة ولا سيما في علم الفروع ، وكان غاية في نقل مذهب الإمام أحمد ، وجمع مصنفات كثيرة منها : كتاب المقنع ، والفروع ، وغيرهما . مات سنة (٧٦٣هـ) . البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٨/١٤) .

(٢) هو العالم شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن الشيخ الإمام الزاهد أبي إسحاق إبراهيم بن سعد بن جماعة الكنتاني الحموي الأصل ، ولي قضاء الشام ، كانت له الرياسة والديانة والصيانة والورع وكف الأذى ، وله التصانيف الفائقة النافعة . مات سنة (٧٣٣هـ) . البداية والنهاية (١٧١/١٤) ، طبقات الشافعية الكبرى (٥/٢٣٠) .

(٣) لوامع الأنوار البهية (٢/٤٠٩-٤١٠) ، نشر المكتب الإسلامي - ط . الثالثة - ١٤١١هـ .

(٤) الأنبياء : ٢٠ .

(٥) هو جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب بن صعصعة العامري ، له صحبة رضي الله تعالى عنه ، أخرج له أصحاب الصحيح عدة أحاديث ، نزل الكوفة ، ومات بها سنة (٧٤هـ) . سير أعلام النبلاء (٣/١٨٦) ، الإصابة (١/٢١٣) (١٠١٨) .

وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصف الأول، ويتراصون في الصف»^(١).

فمن خلال الآية والحديث تبين تكليف الملائكة، ولكن هل تكليفهم مثل تكليف البشر؟

يقول الدكتور عمر سليمان الأشقر: «يمكن أن نقول: إن الملائكة ليسوا بمكلفين بنفس التكاليف التي كلف بها أبناء آدم، أما القول بعدم تكليفهم مطلقاً فهو قول مردود»^(٢).

ويرى ابن نصر أن الله لم يوجب على الملائكة زكاة ولا صياماً ولا حجاً، وإنما أوجب عليهم الصلاة لأهميتها وعظم مكانتها، ولأن الصلاة «لم تنزل مفتاح شرائع دين الإسلام وعقده، لم تنزل مقرونة بالإيمان في دين الملائكة والأنبياء والخلق أجمعين، لم يكن لله عز وجل دين غيرها، وسائر الفرائض ليس كذلك، ليس على الملائكة زكاة ولا صيام ولا حج، والصلاة لا تسقط عنهم»^(٣).



(١) رواه مسلم (٣٢٢/١) ح (٤٣٠). كتاب الصلاة - باب الأمر بالسكون في الصلاة، وأبو داود (١٥٦/١) ح (٦٦١). كتاب الصلاة - باب تسوية الصفوف، والنسائي (٩٢/٢). كتاب الإمامة - باب حث الإمام على رص الصفوف، وأحمد في المسند (١٠١/٥)، (١٠٦).

(٢) عالم الملائكة ص ٢٩.

(٣) الصلاة (١٠٠٢/٢).

المطلب الرابع

الإيمان بكتب الله

الإيمان بكتب الله عز وجل هو الركن الثالث من أركان الإيمان ، ويكون بالاعتقاد الجازم بأنها كلام الله ، تكلم بها على الحقيقة ، وأنزلها على من اصطفى من أنبيائه ورسله ، لإبلاغ العباد رسالة رب العباد ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، وأن هذه الكتب جميعاً هدى ونور وشفاء لما في الصدور ، لما تحويه من بيان لأمر الدنيا والدين .

وقد أمر رب العباد بالإيمان بالكتب الإلهية جميعها ؛ قال عز وجل :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(١) ، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾^(٣) .

(١) البقرة : ١٣٦ .

(٢) النساء : ١٣٦ .

(٣) الشورى : ١٥ .

فالواجب على العبد أن يؤمن بما سمي الله عز وجل من كتبه كالقرآن الذي أنزله رب العالمين على خاتم الأنبياء والمرسلين ، قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (١)

والتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ (٢)

والإنجيل الذي أنزله على عيسى عليه السلام مصدقاً لما في التوراة من الهدى والنور ، قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣)

والزبور الذي آتاه الله داود عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٤)

والصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى عليهما السلام ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٥)

فنؤمن بهذه الكتب التي سماها الله سبحانه وتعالى ، ونؤمن بما لم يسم إجمالاً ، وأنها حق يصدق بعضها بعضاً .

(١) المائدة : ٤٨ .

(٢) المائدة : ٤٤ .

(٣) المائدة : ٤٦ .

(٤) الإسراء : ٥٥ .

(٥) الأعلى : ١٨-١٩ .

ويبين ابن نصر أن الإيمان بالكتب يكون بأن « تؤمن بما سمي الله من كتبه في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور خاصة ، وتؤمن بأن الله سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه ، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها »^(١) .

ولما كان القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية وناسخاً لها جميعاً ، تكفل الله بحفظه ؛ لأن وظيفته باقية لا تنتهي إلا بنهاية البشر من على وجه الأرض ، فكان خير كتاب لخير أمة أخرجت للناس ، وكان مهيمناً على الكتب السماوية السابقة . قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾^(٢) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب ، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة . . . وهكذا القرآن فإنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وزاد بياناً وتفصيلاً ، وبين الأدلة والبراهين على ذلك ، وقرر نبوة الأنبياء كلهم ورسالة المرسلين ، وقرر الشرائع الكلية التي بعثت بها الرسل كلهم ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين ، وبين عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها ، وبين ما حرف منها وبدل ، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة ، وبين أيضاً ما كتموه مما أمر الله ببيانه ، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن ، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة ، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حرف منها ، وهو حاكم بإقرار

(١) الصلاة (١/٢٩٣).

(٢) المائدة : ٤٨ .

ما أقره الله ونسخ ما نسخه ، فهو شاهد في الخبريات ، حاكم في
الأمريات»^(١).

فهذه الأمور التي جعلت القرآن العظيم مهيمناً على سائر الكتب ، جعلت
إيماننا به يختلف عن إيماننا بسائر الكتب السماوية الأخرى ؛ فهو فرقان فرق
الله به بين الحق والباطل ، قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ
لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾^(٢).

قال ابن نصر: إن من لوازم الإيمان أن « تؤمن بالفرقان ، وإيمانك به غير
إيمانك بسائر الكتب ، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان ،
وإيمانك بالفرقان إقرارك به واتباعك ما فيه »^(٣).

وقال أيضاً : « إن الإيمان بكتاب الله إنما هو اتباع ما فيه ، فقد أمر فيه
بالهجرة والحج والعمرة والجهاد واجتناب السوء »^(٤).

ولا يقتصر إيمان العبد بكتاب الله بتحليل حلاله وتحريم حرامه ، بل لابد
من حبه وتعظيمه ؛ لأنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على سيد
المرسلين ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٥).

ومن الإيمان بكتاب الله تعظيم النصيحة له ظاهراً وباطناً ، يقول ابن نصر:

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٤٣-٤٤).

(٢) الفرقان : ١.

(٣) الصلاة (١/٣٩٣).

(٤) الصلاة (١/٤٠٣).

(٥) فصلت : ٤١-٤٢.

إن النصيحة لكتاب الله تكون بشدة « حبه وتعظيم قدره؛ إذ هو كلام الخالق ،
 وشدة الرغبة في فهمه ، ثم شدة العناية في تدبره والوقوف عند تلاوته ،
 لطلب معاني ما أحب مولاه أن يفهمه عنه ، ويقوم له به بعدما يفهمه .

وكذلك الناصح من القلب يتفهم وصية من ينصحه ، وإن ورد عليه كتاب
 منه عني بفهمه ليقوم عليه بما كتب به فيه إليه ، فكذلك الناصح لكتاب الله
 يُعنى بفهمه ليقوم لله بما أمر كما يحب ويرضى ، ثم ينشر ما فهم بين العباد ،
 ويدرسه بالمحبة له والتخلق بأخلاقه والتأدب بأدابه «^(١) .



(١) الصلاة (٢/٦٩٣).

المطلب الخامس

الإيمان بالرسول

الإيمان بالرسول هو الركن الرابع من أركان الإيمان ، ويكون بالاعتقاد الجازم بأن الله اصطفى من عباده رسلاً لدعوة الناس إلى التوحيد ، وردهم إلى دين الإسلام وإلى الفطرة السوية ، قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ (١) .

قال ابن كثير : « فكان أول من بعث الله نوحاً . . . لأن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض » (٢) .

فكانت مهمة الرسل هي تعريف الناس بربهم وخالقهم ، وأنه ما خلقهم إلا لعبادته ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) ولتحقيق هذه العبودية أرسل الله في كل أمة رسولاً ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (٤) .

فهناك تلازم كبير بين توحيد الله والإيمان بالرسول ، وفي هذا يقول شيخ

(١) البقرة : ٢١٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/٢٣٧) ، نشر دار الريان للتراث - ط . بدون .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

(٤) النحل : ٣٦ .

الإسلام ابن تيمية : « إن الرسل أمروا بعبادة الله وحده لا شريك له ، ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه ، وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد ، وأن المشركين هم أهل الشقاوة ، ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون ، فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر ، فالثلاثة متلازمة ؛ ولهذا يجمع بينها في مثل قوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (١) » (٢) .

وجعل الله الرسل واسطة بينه وبين خلقه لحاجة العباد إليهم ، وحتى تستقيم أمور دينهم ودنياهم ؛ ولأن سعادتهم تكمن في اتباع الرسل وما جاءت به الرسل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « الرسالة ضرورية للعباد ، لا بد لهم منها ، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء ، والرسالة روح العالم ونوره وحياته ، فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟

والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة ، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة ، وهو من الأموات ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (٣) ، فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس ، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات » (٤) .

(١) الأنعام : ١٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/٥٥-٥٦) .

(٣) الأنعام : ١٢٢ .

(٤) مجموع الفتاوى (١٩/٩٣-٩٤) .

وقال ابن القيم : « ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لافي الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم . . . فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه ، والعين إلى نورها ، والروح إلى حياتها ، فأى ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير » (١) .

وقد أمر الله بالإيمان برسله ، فقال تعالى : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (٢) .

وتوعد من كذب بالرسل أو آمن ببعض وكفر ببعض بالعذاب الأليم ، وحكم عليهم بالكفر في الدنيا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ (٣) .

فيجب علينا أن نؤمن بالرسل جميعهم سواء الذين ذكرهم الله عز وجل أو الذين لم يذكرهم ، نؤمن بهم جميعهم ، ولا نفرق بين أحد منهم ، ونصدقهم بما قالوا ، وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة ونصحوا لأقوامهم .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٦٩) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ، نشر مؤسسة الرسالة - ط . أولى - ١٤٠١ هـ .

(٢) البقرة : ٢٨٥ .

(٣) النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

يقول ابن نصر : إن الإيمان بالرسول يكون بأن « تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله ، وتؤمن بأن الله سواهم رسلاً وأنبياء لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم »^(١) .

والأنبياء والرسل خلق كثير لا يحصيهم إلا الذي خلقهم ، قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾^(٢) .

وأن هؤلاء الرسل جميعهم دينهم واحد ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^(٣) ، إلا أن شرائعهم مختلفة ، قال تعالى : ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾^(٤) .

لذلك كان إيماننا بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ يتميز عن إيماننا بسائر الرسل ؛ لأننا نؤمن بهم ونصدقهم ، ولكننا نتبع من أرسل إلينا ونقتدي به ؛ لأن بيعة « محمد ﷺ تبين الكفر من الإيمان ، والربح من الخسران ، والهدى من الضلال ، والنجاة من الوبال ، والغني من الرشاد ، والزيف من السداد ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقون من الفجار ، وإيثار سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين . . . ، والله سبحانه بعث محمداً بالكتاب والسنة ، وبهما أتم على أمته المنة ، قال تعالى : ﴿ وَلَأْتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ

(١) الصلاة (١/٣٩٣) .

(٢) النساء : ١٦٤ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

(٤) المائدة : ٤٨ .

تَهْتَدُونَ ﴿ (١) ﴾ (٢)

وفي هذا يقول ابن نصر : « وتؤمن بمحمد ﷺ ، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل ؛ إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم ، وإيمانك بمحمد ﷺ إقرارك به وتصديقك إياه واتباعك ما جاء به ، فإذا اتبعت ما جاء به أدبت الفرائض ، وأحللت الحلال ، وحزمت الحرام ، ووقفت عند الشبهات ، وسارعت في الخيرات » (٣)

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب طاعة الرسول واتباعه :

ثم أجاب ابن نصر على سؤال من قال : « فما الحجّة في أن الإيمان برسول الله ﷺ إنما هو بتصديقه واتباع ما جاء به ؟ قيل : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ :

- ١- قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٤)
- ٢- وقال : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (٥)

أما من السنة فأورد ابن نصر هذا الحديث بطرق مختلفة ، منها ما رواه

(١) البقرة : ١٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى (١/٦٠٥) .

(٣) الصلاة (١/٣٩٣) .

(٤) النساء : ٦٥ .

(٥) النور : ٦٣ .

بسند عن عروة (١) أن عبد الله بن الزبير (٢) حدثه « أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج الحرة التي يسقى بها النخل ، فقال الأنصاري : سرح الماء مير ، فأبى عليه الزبير ، فقال رسول الله ﷺ : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك فغضب الأنصاري ، وقال : يا رسول الله ، إن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا زبير اسق ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر .

قال الزبير : فو الله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) ﴿٤﴾ .

فهذه الأدلة تبين أنه لا يتم إيمان عبد حتى يتبع ويقتدي بمحمد ﷺ ظاهراً وباطناً .

والرسل الكرام الذين اختارهم الله لنشر رسالته وتبليغها للناس تميزوا

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي أبو عبد الله المدني ، مدني تابعي ثقة ، كثير الحديث ، فقيه عالم ثبت مأمون . مات سنة إحدى أو اثنتين وتسعين للهجرة .

الجرح والتعديل (٦/٣٩٥-٣٩٦) (٢٢٠٧) ، التهذيب (٧/١٦٣-١٦٦) (٣٥٢) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشي الأسدي ، أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ولد عام الهجرة ، ولي الخلافة تسع سنين إلى أن قتل سنة ثلاث وسبعين من الهجرة .

سير أعلام النبلاء (٣/٣٦٣) ، الإصابة (٢/٣٠١-٣٠٣) (٤٦٨٢) .

(٣) النساء : ٦٥ .

(٤) الصلاة (٢/٦٥٣-٦٥٥) .

والحديث رواه البخاري (٢/٨٣٢) ح (٢٢٣٢) في المساقاة-باب شرب الأعلى قبل الأسفل ، ومسلم (٤/١٨٢٩) ح (٢٣٥٧) في الفضائل-باب وجوب اتباعه ﷺ .

بتحقيق العبودية لله في أنفسهم ، بل إنهم حازوا السبق على من سواهم من البشر ، حتى نعتهم الله بالعبودية ، فقال عن أول الرسل نوح عليه السلام : ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِنْ حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾^(١) ، وقال عن أيوب عليه السلام : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴾^(٢) ، وقال عن خاتمهم محمد ﷺ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾^(٣)



(١) الإسراء : ٣ .

(٢) ص : ٤١ .

(٣) الإسراء : ١ .

المطلب السادس

الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان ، ويكون بالاعتقاد الجازم بوقوع ذلك اليوم ، وأنه واقع لا محالة ، وسمي باليوم الآخر ؛ لأنه لا يوم بعده ولتأخره عن الدنيا .

ويدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها ، وأنه لا يعلم أحد متى وقوعها ، قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۝ (١) ﴾ .

وقد أشار رب العالمين إلى قرب وقوعها ، قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ۝ (٢) ﴾ ، ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالموت ؛ لأنه أول منازل الآخرة ، وأن الخلق كلهم يموتون ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ (٣) ﴾ .

وكذلك الإيمان بما يقع من الأمور الغيبية التي ذكرها الله أو ذكرها رسوله محمد ﷺ ، كفتنة القبر وعذابه ونعيمه ، والإيمان بالبعث ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ

(١) الأعراف : ١٨٧ .

(٢) القمر : ١ .

(٣) الرحمن : ٢٦ - ٢٧ .

إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ (١)

وكذلك الحساب والجزاء والميزان والصراط ؛ حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، قال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقَسِطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٢)

ولأهمية هذا الركن في حياة الإنسان عني القرآن به عناية خاصة ، وسماه بعدة أسماء تعظيماً لشأنه ، وذلك حتى يخافه العباد ويستعدوا له أتم الاستعداد، قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٣)

فذكره الله في سور كثيرة مرة بوصفه ، ومرة بتقريره وتأكيد مجيئه ، وقد ذكره الله مرات كثيرة مقروناً بالإيمان به سبحانه ؛ لأنه من لم يؤمن بالله لا يؤمن باليوم الآخر، قال تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (٥)

وذكره النبي ﷺ مقروناً بالإيمان بالله في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم

(١) المؤمنون : ١٥ - ١٦ .

(٢) الأنبياء : ٤٧ .

(٣) الكهف : ١١٠ .

(٤) البقرة : ١٧٧ .

(٥) الأحزاب : ٢١ .

الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (١) .

وقد رد الله على المنكرين له في سور كثيرة من القرآن ، وذمهم وسفه عقولهم ، قال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢) .

وأثنى على عباده المؤمنين الذين آمنوا به وصدقوا باليوم الآخر ، فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ (٤) أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

ولهذا الركن أثر عظيم في حياة الفرد وانضباطه والتزامه باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه .

فالواجب على العبد التأهب لذلك اليوم قبل وقوعه ، والاستعداد لما بعده ، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل ساعة الحسرة والندامة .

وبين ابن نصر أن إيمان العبد باليوم الآخر يكون بأن « تؤمن بالبعث بعد الموت والحساب والميزان والثواب والعقاب والجنة والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة » (٤) .

(١) رواه البخاري (٢٢٤٠/٥) ح (٥٦٧٢) - كتاب الأدب - باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومسلم (٦٨/١) ح (٤٧) - كتاب الإيمان - باب الحث على إكرام الجار والضيف .. الخ .

(٢) التغابن : ٧ .

(٣) البقرة : ٤ - ٥ .

(٤) الصلاة (١/٣٩٣-٣٩٤) .

ومن الإيمان باليوم الآخر الاستعداد له بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (١)

ومن الاستعداد لذلك اليوم الحياء عند الوقوف بين يديه ، يقول ابن نصر : « فالمستحي من سؤال الله غداً يعد الجواب والتطهر من كل ما يكره الله ، ثم لا يفارقه الحياء مع الطهارة ؛ إذ قد علم إنما ترك من الذنوب وتاب منه لن ينجو من الله أو يسأل عنه .

كما روي عن الحسن رضي الله عنه أن رجلاً سأله فقال : العبد إذا تاب من الذنب أيغفر له ؟ قال : نعم . قال : فيمحوه الله عنه ؟ قال : لا والله حتى يوقفه عليه ويسأله عنه ، ثم بكى الحسن ، فقال : لو لم يبك العبد إلا للحياء من الله لكان ينبغي له أن يبكي » (٢)

فينبغي للعبد أن يستحي من الله حق الحياء ؛ لأن الله في ذلك اليوم يسأل الأولين والآخرين ، كما قال سبحانه : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٩٢) عما كانوا يعملون (٣)

يقول أبو العالية (٤) في هذه الآية : « يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم

(١) البقرة : ٢٨١ .

(٢) الصلاة (٢/٨٤٢) .

(٣) الحجر : ٩٢-٩٣ .

(٤) هو رفيع - بالتصغير - بن مهران أبو العالية الرياحي مولاهم البصري ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي ﷺ بستين ، ودخل على أبي بكر وصلى خلف عمر ، ثقة كثير الإرسال ، من الثانية . مات سنة تسعين ، وقيل : ثلاث وتسعين ، وقيل بعد ذلك .

سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧) ، التقريب (ص/٢١٠) (١٩٥٣) .

القيامة : عما كانوا يعبدون ، وعما أجابوا المرسلين « (١) .

يقول ابن نصر : « وإنما يعد الجواب لمن لا تخفى عليه خافية ، وأعلم بسره وعلانيته من نفسه ، قال تعالى : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ قَوْمِكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣) .

وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تزول قدم عبد من بين يدي الله حتى يسأل عن شبابه فيما أبلاه ؟ وعمره فيما أفناه ؟ وماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ وعلمه ماذا عمل فيه ؟ » (٤) (٥) .

وذكر ابن نصر بعض أهوال يوم القيامة ، وما يلاقيه الكفار من العذاب الأليم لتركهم الاستقامة على دين الله ، وعدم أدائهم للصلاة المفروضة التي من تركها كفر وخرج عن دين الإسلام .

يقول ابن نصر : « وقال الله عز وجل فيما حكى عن الكفار وأنهم سئلوا بعد دخولهم النار : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ ﴾ (٦) ، فأخبروا أنهم عذبوا على تركهم الصلاة ،

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٦٧ / ١٤) ، والسيوطي في الدر المنثور (٩٩ / ٥) .

(٢) الأعراف : ٦-٧ .

(٣) الحجر : ٩٢-٩٣ .

(٤) رواه الترمذي (٥٢٩ / ٤) ح (٢٤١٦-٢٤١٧) . كتاب صفة القيامة . باب في القيامة ، وقال :

هذا حديث حسن صحيح ، والأجري في أخلاق العلماء ص ٧٨-٧٩ ، وانظر : مجمع

الزوائد (٣٤٦ / ١٠) ، وكنز العمال (٣٩٠١١) .

(٥) الصلاة (٨٣٨ / ٢-٨٣٩) .

(٦) المدثر : ٤٢-٤٤ .

وإطعام المسكين ، ويشبه أن يكونوا أرادوا بتركهم إطعام المسكين منعهم
الزكاة^(١) .



المطلب السابع

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان ، لا يتم إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر كله ، خيره وشره ، حلوه ومره ؛ لأن القدر نظام التوحيد .
وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى ، وتأمير العباد بالإيمان بهذا الركن العظيم لما له من تأثير في حياة العباد من الراحة النفسية والطمأنينة القلبية ؛ لأن المصائب قد هانت عليه ، وخف وطؤها عليه ؛ لأنه يعلم أنها من عند الله ، وأن كل شيء يقع في هذا الكون هو بقضاء الله وقدره :

١ - قال الله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ ^(١) .

٢ - وقال : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ^(٢) .

٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر ، فنزلت : ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ ^(٣) « ^(٤) .

(١) الفرقان : ٢ .

(٢) القمر : ٤٩ .

(٣) القمر : ٤٨-٤٩ .

(٤) رواه مسلم (٢٠٤٦/٤) ح (٢٦٥٦) . كتاب القدر - باب كل شيء بقدر ، والترمذي (٣٩٩/٤) ح (٢١٥٧) . كتاب القدر - باب (١٩) ، وقال : حديث صحيح ، وابن ماجه =

وقال النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله عز وجل من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »^(١) .

ومن أقوال الصحابة في وجوب الإيمان بالقضاء والقدر :

قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « لا والله لا يطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ، ويقر ويعلم أنه ميت مخرج ، وأنه مبعوث من بعد الموت »^(٢) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : « القدر نظام التوحيد ، فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضاً للتوحيد ، ومن وحد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى لا انفصام لها »^(٣) .

وقال سيد التابعين الحسن البصري رحمه الله : « من كذب بالقدر فقد كذب بالحق ، إن الله قدر خلقاً ، وقدر أجلاً ، وقدر بلاء ، وقدر مصيبة ، وقدر معافاة ، من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن »^(٤) .

= (٣٢/١) ح (٨٣) في المقدمة - باب في القدر ، وأحمد في مسنده (٤٤٤/٢) ، وعبد الله ابن أحمد في السنة (٤١٩/٢) ح (٩١٨-٩١٩) .

(١) رواه مسلم (٢٠٥٢/٤) ح (٢٦٦٤) - كتاب القدر - باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، وابن ماجه (٣١/١) ح (٧٩) في المقدمة - باب القدر ، والإمام أحمد في مسنده (٣٧٠/٢) .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكافي (٦٦٧/٤) .

(٣) انظر : السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٤٢٢/٢) ح (٩٢٥) ، والشريعة للأجري ص ٢١٥ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٧٠/٤) .

(٤) انظر : الشريعة للأجري ص ٢١٨ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٨٢/٤) .

وللقدر أربع مراتب من لم يؤمن بها لم يكن مؤمناً بالقضاء والقدر :

المرتبة الأولى : الإيمان بعلم الله الشامل المحيط .

المرتبة الثانية : الإيمان بكتاب الله سبحانه والمقادير .

المرتبة الثالثة : الإيمان بمشيئة الله النافذة .

المرتبة الرابعة : الإيمان بأن الله خالق أعمال العباد .

وقد اهتم علماء الإسلام بمسألة الإيمان بالقضاء والقدر ؛ لأنه قد زلت عنه أقدام وضلت فيه أفهام ، حتى قال ابن القيم : « سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد ، وأخذوا في كل طريق ، وتولجوا في كل مضيق ، وركبوا كل صعب وذلول ، وقصدوا الوصول إلى معرفته ، والوقوف على حقيقته ، وتكلمت فيه الأم قديماً وحديثاً ، وساروا للوصول إلى مغزاه سيراً حثيثاً ، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها ، وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها . . . وكلهم إلا من تمسك بالوحي عن طريق الصواب مردود ، وباب الهدى في وجهه مسدود ، تحسى على غير طائل ، وارتوى من ماء آجن ، قد طاف على باب الأفكار ، ففاز بأخس الآراء والمطالب ، فرح بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ، وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل المشروع والنص المرفوع »^(١) .

وقد تكلم علماء الإسلام وصنف بعضهم المصنفات في إثبات منهج أهل السنة والجماعة في مسألة القضاء والقدر ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء ما قاله

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص ٣-٤ ، نشر دارالكتب العلمية -

الطححاوي^(١) في عقيدته : « وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه ، لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل »^(٢) .

وقال أبو بكر الأجري : إن « مذهبنا في القدر أن نقول : إن الله عز وجل خلق الجنة وخلق النار ، ولكل واحدة منهما أهلاً ، وأقسم بعزته أن يلاً جهنم من الجنة والناس أجمعين . . خلق الخلق كما شاء لما شاء فجعلهم شقيماً وسعيداً ، قبل أن يخرجهم إلى الدنيا وهم في بطون أمهاتهم ، وكتب آجالهم ، وكتب أرزاقهم ، وكتب أعمالهم ، ثم أخرجهم إلى الدنيا ، وكل إنسان يسعى فيما كتب له وعليه »^(٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة ، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان : وهو أن الله خالق كل شيء ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها ، وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد ، وأنه سبحانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ؛ فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته ، ولا يمتنع عليه شيء شاءه ، بل هو القادر على كل شيء ، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه ، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد دخل في ذلك أفعال العباد

(١) هو أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الطحاوي ، من كبار علماء الحنفية ، من مشائخه خاله المزني ، من مصنفاته : معاني الآثار . مات سنة (٣٢١هـ) .

الجواهر المضية (١/ ٢٧١-٢٧٧) ، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٢٧) .

(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ١١-١٢ ، تعليق : الشيخ محمد مانع ، نشر مكتبة دار المطبوعات الحديثة - ط . بدون .

(٣) الشريعة ص ١٥٠-١٥١ .

وغيرها ، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم : قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم ، وكتب ذلك ، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة .

فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون ، وتقديره لها ، وكتابته إياها قبل أن تكون»^(١) .

ويذهب الإمام ابن نصر إلى ما ذهب إليه أئمة السلف الصالح من أن الإيمان بالقضاء والقدر يكون بأن «تؤمن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولا تقل : لولا كذا وكذا لكان كذا وكذا ، ولو كان كذا وكذا لم يكن كذا وكذا»^(٢) .



(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٤٩-٤٥٠) .

(٢) الصلاة (١/٣٩٤) .

المبحث الثالث

اسم الإيمان وحكمه

أرسل الله عز وجل نبيه محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، أرسله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك إلى التوحيد ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

بدأ دعوته عليه الصلاة والسلام بما أمره الله به ، قال عليه السلام : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . . . الحديث»^(١) .

فبداية الدعوة كانت بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده ودون سواه ، وأن يقر الناس بـ « شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

وقد مكث عليه الصلاة والسلام سنين طويلة يدعو الناس إلى هاتين الشهادتين دون كلل أو ملل ؛ لأنها أول واجب على المكلف ، وهي أول ما يؤمر به العبد .

ومن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله في بداية الدعوة أجزأته ، وأدخلته جنات النعيم ؛ لأن الله سبحانه « قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، فأقام النبي ﷺ بمكة بعد النبوة عشر سنين أو بضع عشرة سنة يدعو إلى هذه الشهادة خاصة ، وليس الإيمان المفترض يومئذ سواها ، فمن أجاب إليها كان مؤمناً لا يلزمه في الدين غيره ، وليس يجب عليهم زكاة ولا صيام ولا غير ذلك من شرائع الدين»^(٢) .

(١) رواه البخاري (٥٠٧/٢) ح (١٣٣٥) - كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة ، ومسلم (١/٥١ ح ٥٢) - (٢٠) - الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .

(٢) الإيمان لأبي عبيد (ت ٢٢٢٤هـ) ص ٥٤ .

وقال الأجرى رحمه الله (ت ٣٦٠ هـ) : « إن الله عز وجل بعث نبيه محمداً ﷺ إلى الناس كافة ليقرؤا بتوحيده ، فيقولوا : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فكان من قال هذا موقناً من قلبه ، ناطقاً بلسانه ؛ أجزاءه ، ومن مات على هذا فإلى الجنة ، فلما آمنوا بذلك ، وأخلصوا توحيدهم ، فرض عليهم الصلاة بمكة ، فصدقوا بذلك وآمنوا وصلوا ، ثم فرض عليهم الهجرة ، فهاجروا وفارقوا الأهل والأوطان ، ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام ، فأمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان ، ثم فرض عليهم الزكاة ، فأمنوا وصدقوا وأدوا ذلك كما أمروا ، ثم فرض عليهم الجهاد ، فجاهدوا البعيد والقريب ، وصبروا وصدقوا ، ثم فرض عليهم الحج ، فحجوا وآمنوا به .

فلما آمنوا بهذه الفرائض وعملوا بها ، تصديقاً بقلوبهم ، وقولاً بألسنتهم ، وعملاً بجوارحهم ، قال الله عز وجل : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (١) (٢) .

وقال الإمام ابن بطة (ت ٣٨٧ هـ) بعد ذكره لنعمة الله على عباده بإكمال الدين لهم وأنهم « استحقوا اسم الرشاد بإكمال الدين ، وذلك أن القوم كانوا في فسحة وسعة ؛ ليس يجب عليهم صلاة ولا زكاة ولا صيام ، ولا كان حرم عليهم كثيراً مما هو محرم ، وكان اسم الإيمان واقعاً عليهم بالتصديق ، ترفقاً بهم لقرب عهدهم بالجاهلية وجفائها ، فجعل الإقرار بالألسن والمعرفة بالقلوب الإيمان المفترض يومئذ ، حتى إذا حلت مذاقة الإيمان على ألسنتهم ، وحسنت زينتته في أعينهم ، وتمكنت محبته من قلوبهم ، وأشرقت أنوار لبسته عليهم ، وحسن استبصارهم فيه ، وعظمت فيه رغبتهم ؛ تواترت أوامره فيهم ، وتوكدت فرائضه عليهم ، واشتدت زواجره ونواهيته ، فكلما أحدث

(١) المائدة : ٣ .

(٢) الشريعة ص ١٠١-١٠٢ .

لهم فريضة عبادة وزاجرة عن معصية ، ازدادوا إليه مسارعة وله طاعة ، دعاهم باسم الإيمان وزادهم فيه بصيرة»^(١) .

فمن خلال هذه النصوص المتقدمة نجد أن العبد ينال اسم الإيمان بمجرد الدخول في هذا الدين ؛ لأن الإقرار بالألسن هو الإيمان المفترض على الناس في أول الدعوة المحمدية ، ثم لما علم الله صدقهم وإخلاصهم زادهم الفرائض الواحدة تلو الأخرى ، وأضيفت الأعمال إلى الإقرار باللسان والتصديق بالجنان .

قال الإمام ابن نصر : « فأما اسم الإيمان وحكمه ، فإنه يلزم بالدخول في الإيمان ، وإن لم يستكمله ، وكذلك جميع الأعمال ، إذا دخل الناس فيها استحقوا اسمها عند ابتدائها والدخول فيها ، ثم يتفاضلون في استكمالها بالازدياد في الأعمال»^(٢) .

ثم ضرب رحمه الله مثالين يتبين منهما أن العبد ينال شرف الاسم إذا دخل في العمل وإن لم يستكمله ويتمه :

يقول في المثال الأول : « فمن ذلك القوم يصلون ، فمن بين مستفتح للصلاة قائم ، وراكع وساجد ، وجالس ، فيقال لهم جميعاً يصلون ، قد لزمهم الاسم بالدخول في الصلاة ، وإن لم يستكملوها ، وكذلك الصيام والحج وسائر الأعمال»^(٣) .

أما المثال الثاني فهو أنه « لو أن نفرأأمروا أن يدخلوا داراً فدخلها أحدهم ، فلما تغيب الباب أقام مكانه ، وجاوزه الثاني بخطى ، ومضى الثالث إلى وسطها ، والرابع إلى متنهاها ، ل قيل لهم جميعاً داخلون ، وإن كان بعضهم

(١) الإبانة الكبرى (٢/٧٧٦) .

(٢) الصلاة (١/٣٦١) .

(٣) الصلاة (١/٣٦١) .

أكثر دخولاً من بعض»^(١).

ثم قال رحمه الله بعد ذكره لهذين المثالين : « وهذا لا يدفعه أحد يعرف كلام العرب ، فكذلك الإيمان الدخول فيه كالدخول في سائر الأعمال ، قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾^(٣) »^(٤).

قال الإمام أبو عبيد شيخ ابن نصر بعد ذكره لهذين المثالين ضمن أمثلة ذكرها توضح أن الشخص ينال الاسم بعد البدء في العمل والدخول فيه . بأنا قد « وجدنا أعمال البر وصناعات الأيدي ودخول المساكن ؛ كلها تشهد على اجتماع الاسم وتفاضل الدرجات فيها ، هذا في التشبيه والنظر »^(٥).

وسياتي بيان تفاضل العباد في الإيمان بحسب أعمالهم ، وكون الإيمان يزيد وينقص ، كما هو منهج أهل السنة والجماعة ، في فصل مستقل ، إن شاء الله تعالى .



(١) الصلاة (١/٣٦١) .

(٢) البقرة : ٢٠٨ .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : « يقول الله تعالى أمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه ، والعمل بجميع أوامره ، وترك جميع زواجره ، ما استطاعوا من ذلك .

قال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وغيرهم في كافة : أي جميعاً .

وقال مجاهد : اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر » (١/٢٣٥) .

(٣) النصر : ٢٠١ .

(٤) الصلاة (١/٣٦١-٣٦٢) .

(٥) الإيمان ص ٧٦ .

المبحث الرابع أصل الإيمان وفروعه

تقدم أن العبد ينال شرف اسم الإيمان بمجرد التصديق والتلفظ بالشهادتين، وذلك كان أول الدعوة، وختم الأمر بأن الإيمان يكون « بالنية والقول والعمل جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض، إلا أن أولها وأعلاها الشهادة باللسان، كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي جعله فيه بضعة وسبعين جزءاً، فإذا نطق بها القائل وأقر بما جاء من عند الله؛ لزمه اسم الإيمان بالدخول فيه بالاستكمال عند الله، ولا على تزكية النفوس، وكلما ازداد لله طاعة وتقوى، ازداد به إيماناً»^(١).

ف « لا إله إلا الله » هي أصل الإيمان وأعلى شعبه، قال النبي ﷺ: « الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^(٢).

فلما صدق المسلمون وأقروا بالشهادتين تتابعت الفرائض عليهم فازدادوا إيماناً إلى إيمانهم، يقول الإمام أبو عبيد: « فكلما نزلت واحدة، ألحق رسول الله ﷺ عددها بالإيمان، ثم كما جدد الله له منها أخرى، زادها في العدد حتى جاوز ذلك السبعين كلمة... وإن كان زائداً في العدد فليس هو بخلاف ما قبله، وإنما تلك دعائم وأصول، وهذه فروع زائدات في شعب الإيمان من غير تلك الدعائم»^(٣).

(١) الإيمان لأبي عبيد ص ٦٦.

(٢) الحديث سيأتي تخريجه.

(٣) الإيمان ص ٦٠-٦١.

وأشار الخطابي رحمه الله^(١) إلى أن في حديث شعب الإيمان دليلاً على «أن الإيمان الشرعي اسم لمعنى ذي شعب وأجزاء ، له أدنى وأعلى .

فالاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع شعبها وتستوفي جملة أجزائها ، كالصلاة الشرعية ؛ لها شعب وأجزاء ، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها ، والحقيقة تقتضي جميع أجزائها وتستوفيها»^(٢) .

وعقد الإمام ابن منده^(٣) فصلاً مستقلاً في كتابه الإيمان ذكر فيه معنى الإيمان ، ووصف الرسول ﷺ له وأنه بضع وسبعون شعبة ، وقال : إن «للإيمان أول وآخر ، فأوله الإقرار ، وآخره إماطة الأذى عن الطريق»^(٤) .

فأصل الإيمان هو الإقرار والمعرفة بالله سبحانه وتعالى .

يقول أبو يعلى : « إن هذه المعرفة وتصديق الرسل ، هو أصل الإيمان ،

(١) هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي ، كان فقيهاً أديباً محدثاً ، له مصنفات عدة منها : غريب الحديث ، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وأعلام السنن في شرح البخاري ، والعزلة ، وشرح الأسماء الحسنى ، وغيرها كثير . مات سنة (٣٨٨هـ) .

طبقات الشافعية الكبرى (٣/٢٨٢ - ٢٩٠) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣) .

(٢) معالم السنن (٤/٢٨٨) . باب الرد على المرجئة ، نشر دار الكتب العلمية - ط . الأولى - ١٤١١هـ .

(٣) هو الإمام الحافظ الجوال محدث الإسلام ، أبو عبد الله محمد ابن المحدث أبي يعقوب إسحاق ابن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يحيى بن منده ، كان ختام الرحالين ، وفرد الكثيرين ، مع الحفظ والمعرفة والصدق ، وكثرة التصانيف ، اختلط بآخره . من مصنفاته : الإيمان ، والتوحيد (كلاهما مطبوع) . مات سنة (٣٩٥هـ) .

سير أعلام النبلاء (١٧/٢٨) ، طبقات الحفاظ (ص/٤٠٨) (٩٢٤) .

(٤) الإيمان (١/٣٠٠) .

وبه كان مؤمناً في صدر الإسلام ، وإنما زيد فيه بالعبادات»^(١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أن « أصل الإيمان هو ما في القلب ، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك ، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح ، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب ، فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم ، وإن كان أصله ما في القلب ، وحيث عطف عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفى بإيمان القلب ، بل لابد من الأعمال الصالحة»^(٢) .

وقال شيخ الإسلام أيضاً : « فأصل الإيمان في القلب ، وهو قول القلب وعمله ، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد ، وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح ، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه ، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه ، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له ، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق ، وبعض له ، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح ، كما قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : إن القلب ملك ، والأعضاء جنوده ، فإن طاب الملك طابت جنوده ، وإذا خبث الملك خبثت جنوده . وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال : « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد ، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ، ألا وهي القلب»^(٣) »^(٤) .

(١) مسائل الإيمان لأبي يعلى ص ٣٤٧ .

(٢) الإيمان ، ضمن مجموع الفتاوى (١٩٨/٧) .

(٣) الحديث رواه البخاري (١/٢٨٠-٢٩) ح (٥٢) . كتاب الإيمان - باب فضل من استبرأ لدينه ،

ومسلم (٣/١٢١٩-١٢٢٠) ح (١٥٩٩) . كتاب المساقاة - باب أخذ الحلال وترك الشبهات .

(٤) مجموع الفتاوى (٧/٦٤٤) .

وذكر الإمام ابن رجب مثلاً آخر لأصل الإيمان وفرعه غير الملك والجنود ، فقال : « وقد ضرب العلماء مثل الإيمان بمثل شجرة لها أصل وفروع وشعب . . . وقد ضرب الله مثل الإيمان بذلك في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ (١) ، والمراد بالكلمة كلمة التوحيد ، وبأصلها التوحيد الثابت في القلوب ، وأكلها هو الأعمال الصالحة الناشئة منها » (٢) .

أما الإمام ابن نصر فقد ذكر أن الرسول محمداً ﷺ وصف الإيمان بصفات متعددة ، وبين أن له أصلاً وفرعاً ، وأكد رحمه الله على أنه لا يجوز لمسلم أن يأخذ الأصل ويترك الفرع ؛ لأن الإيمان قد كمل بعد الأمر بفروع الإيمان وشعبه التي وردت في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ .

يقول في تقرير هذا المعنى : « وصف النبي ﷺ الإيمان بصفات ، فكلها صفات الإيمان وإن اختلفت .

فإن قال قائل : لا يدخل الجنة أحد إلا من جمع هذه الأعمال كلها ، أو قال : ليست هذه بأعمال يستحق بها الجنة لأنه قد فرقها ، فيرجع إلى الأصل ؛ يشهد أن من صدق بالله وبصفتها كلها فهو في الجنة ، فيشهد بالأصل ويدع الفروع ؛ لكان راداً على الله قائلاً بغير الحق ؛ إذ اقتصر على الأصل ، وألقى الفروع .

فكذلك من شهد بأن الإيمان هو الأصل الذي قال النبي ﷺ وألقى سائرته فلم يشهد أنه إيمان ؛ لأن النبي ﷺ سمي الإيمان بالأصل وبالفروع ، وهو الإقرار والأعمال ، فسماه في حديث جبريل بالتصديق ، وسمى الشهادة

(١) إبراهيم : ٢٤ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٦٦ .

والقيام بما أسمى من الفرائض إسلاماً ، وسمى فيما قال لوفد عبد القيس الشهادة وما سمي معها من الفرائض إيماناً .

ثم فسر ذلك في حديث أبي هريرة ؛ فجعل أصل الإيمان الشهادة وسائر الأعمال شعباً .

ثم أخبر أن الإيمان يكمل بعد أصله بالأعمال الصالحة ، فقال في حديث عائشة وأبي هريرة : « أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً »^(١) «^(٢) .

وذكر رحمه الله أن أصل الإيمان هو ما في القلب وفروعه هي الأعمال التي فرضها الله ورغب فيها ، فقال في إجابته على من سأله من المرجئة وقال : « هل لله دين من أصابه كان مؤمناً مسلماً ؟ » ، فأجابه رحمه الله بما يلي :

« نعم ، دين الله وهو الإسلام وهو الإيمان ، له أصل من أصابه كان مؤمناً مسلماً ، بالخروج من ملل الكفر والدخول في ملة الإسلام ، ولذلك الأصل فرع وهو القيام بما أقر به ، وكمال الأصل أن يأتي بالقائم ، فإن ضيع شيئاً من الفرائض فقد انتقص من الفرع ولم يزل الأصل »^(٣) .

ثم بين لنا ابن نصر الفرق بين الأصل والفرع ، فقال : إن الأصل هو « التصديق بالله ، والخضوع لله بإعطاء العزم للأداء بما أمر به ، مجاناً

(١) الحديث رواه أبو داود (٤/٤٠٩) ح (٤٦٨٢) . كتاب السنة . باب الدليل على زيادة الإيمان ، والترمذي (١٠/٥ - ١١) ح (٢٦١٢) . كتاب الإيمان . باب في استكمال الإيمان . . . إلخ ، وأحمد في مسنده (٢/٢٥٠ ، ٤٧٢ ، ٥٢٧) ، وابن أبي شيبة في الإيمان (ص/١٨ - ١٧ - ١٨ - ١٩) ، وقال الألباني : حديث صحيح ، وخرجه في الأحاديث الصحيحة ح (٧٥١) .

(٢) الصلاة (٢/٧١١ - ٧١٢) .

(٣) الصلاة (٢/٨٠٤) .

للاستكفاف ، والاستكبار ، والمعاندة»^(١) .

وقال : إن الفرع هو « تحقيق ذلك بالتعظيم لله ، والخوف له ، والرجاء الذي أوجبه على عباده ، الذي بعثهم على أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، فإذا أدوا الفرائض واجتنبوا المحارم من قلوبهم وأبدانهم ؛ فقد اجتمع أهل السنة على أن هذا هو الإيمان المفترض »^(٢) .

وقال ابن نصر أيضاً : إن الجمهور الأعظم من أهل السنة يقولون : إن « الإيمان واحد له أصل وفرع ؛ فأصله مفترض ، وفرعه : منه مفترض ، ومنه لا مفترض .

فأما المفترض فهو ما أوجبه الله على عباده بقلوبهم وجوارحهم ، وذلك معلوم محدود ؛ لأن الحكم لا يوجب إلا معلوماً يستوجب الثواب من أتاه ، ويستوجب الذم والعقاب من قصر عنه بعد علم ، والباقي من الإيمان هو نافلة ، لم يفترضه الله عز وجل ، والدليل على أنه الإيمان : أن الفرائض لم يقم بها المؤمنون إلا عن تصديق بالله وبما وعد وتوعد ، فكلما عظم قدر الله في قلوبهم ، وقدر وعده ووعيده ، بعثهم على أداء واجب حقه . وكذلك كلما عظم في قلوبهم ، بذلوا له المجهود ، وتقربوا إليه بكل ما استطاعوا ، لا فرقان بين ذلك »^(٣) .

وأكد ابن نصر أن المؤمن لا يكون مصدقاً بالله حق التصديق إلا أن يخضع لله ويفعل ما أمره به مولاه سبحانه وتعالى ، يقول ابن نصر : « لأن أصل

(١) الصلاة : (٢/٨٠٤) .

(٢) الصلاة : (٢/٨٠٤) .

(٣) الصلاة (٢/٨٠٦-٨٠٧) .

الإيمان هو التصديق ، وعنه يكون الخضوع ، فلا يكون مصدقاً إلا خاضعاً ، ولا خاضعاً إلا مصدقاً ، وعنهما تكون الأعمال التي وصف النبي ﷺ الإسلام ، وتسمى من قام بها بالإيمان والإسلام^(١) .



(١) الصلاة (٢/٧١٥-٧١٦).

المبحث الخامس

شعب الإيمان

إن الأعمال الصالحة التي من فعلها استحق اسم الإيمان ، هي شعب أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق .

يقول ابن نصر في تقرير هذا المعنى : « وقد جاء الخبر عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وسبعون - أو ستون - شعبة ، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان »^(١) .

فجعل الإيمان شعباً ، بعضها باللسان والشفيتين ، وبعضها بالقلب ، وبعضها بسائر الجوارح .

فشهادة أن لا إله إلا الله فعل اللسان ، تقول : شهدت أشهد شهادة ، والشهادة فعله بالقلب واللسان ، لا اختلاف بين المسلمين في ذلك ، والحياء في القلب ، وإمطة الأذى عن الطريق فعل سائر الجوارح^(٢) .

فشعب الإيمان ترجع إلى فعل الطاعات سواء كانت قلبية أو قولية أو عملية ؛ لأن كمال الإيمان يكون بالأعمال والتزام الطاعات ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّ ذَوِي الْقُرْبَى

(١) سيأتي تخريجه ص ١٨٧ عند بيان عدد شعب الإيمان .

(٢) الإيمان لابن منده (١/٣٠٠-٣٠١) .

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾

وقد اهتم علماء الإسلام قديماً وحديثاً بمسألة الإيمان وبيان شعبه ، فقد
فسر بعض العلماء شعب الإيمان ، وعددها جماعة آخرون من شراح الحديث
وأفردوا لها كتباً مستقلة .

ولعل من أول من أفرد لهذه الشعب كتاباً مستقلاً هو : الإمام ابن حبان
البيستي^(٢) ، الذي يقول : « إن الإيمان بضع وسبعون شعبة في الكتاب
والسنن ، فذكرت هذه المسألة بكاملها بذكر شعبة شعبة في كتاب « وصف
الإيمان وشعبه » ، بما أرجو أن فيها الغنية للمتأمل إذا تأمل »^(٣) .

ثم أتى بعده الحليمي^(٤) الذي ألف كتاباً سماه « المنهاج في شعب الإيمان » ،

(١) البقرة : ١٧٧ .

(٢) هو الحافظ العلامة المجود ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد بن
معاذ بن معبد بن سَهيد بن هَدِيَّة بن مرة بن سعد التميمي البيستي ، صاحب التصانيف ،
صنف المسند الصحيح والتاريخ والضعفاء ، كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة
والرعظ ، وكانت الرحلة إليه . توفي سنة (٣٥٤ هـ) .

سير أعلام النبلاء (١٦/٩٢) ، طبقات الحفاظ (ص/٣٧٥) (٨٤٧) .

(٣) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/٣٣٣-٣٣٤) بترتيب علاء الدين الفارسي ، تحقيق :
شعيب الأرنؤوط وحسين أسد ، نشر مؤسسة الرسالة - ط . الأولى : ١٤٠٤ هـ .

(٤) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حلیم المعروف بالحلي ، وقال فيه الحاكم :
كان شيخ الشافعيين بما وراء النهر ، من مؤلفاته شعب الإيمان ، كتاب جليل مفيد ، جمع
أحكاماً كثيرة . توفي عام (٤٠٣ هـ) .

سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣١) ، طبقات الشافعية للإسنوي (١/١٩٤) (٣٦٤) .

ثم أتى بعده الحافظ البيهقي^(١) الذي ألف كتاباً كبيراً في شعب الإيمان ، وقد اختصره الإمام القزويني^(٢) ، رحمهم الله تعالى .

وقد تكلف بعض العلماء عد شعب الإيمان وحصرها ، وليس معرفة تعدادها شرطاً من جملة شروط الإيمان ، بل يكفي العبد أن يؤمن بها جملة ، وأن هذه الشعب لا تخرج عن الكتاب والسنة .

قال ابن حجر : « قال القاضي عياض : تكلف جماعة حصر هذه الشعب بطريق الاجتهاد ، وفي الحكم يكون ذلك هو المراد صعوبة ، لا يقدح عدم معرفة حصر ذلك على التفصيل في الإيمان »^(٣) .

وقد اختلفت الروايات الواردة في ذكر شعب الإيمان ، فتفرد البخاري برواية : « بضع وستون » بدون شك ، وتفرد الإمام مسلم برواية : « بضع وسبعون » بدون شك .

وقد اختلف العلماء في ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى ، قال

(١) هو الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي ، صاحب التصانيف ، ولد سنة (٣٨٤هـ) ، لزم الحاكم وتخرج به ، كتب الحديث وعمل كتباً لم يسبق إليها ؛ كالسنن الكبرى والصغرى ، وشعب الإيمان ، والأسماء والصفات ، وغيرها كثير . مات سنة (٤٥٨هـ) .

طبقات الشافعية الكبرى (٨/٤) ، سير أعلام النبلاء (١٨/١٦٣) .

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي المعروف بخطيب دمشق ، أصله من قزوين ، من كتبه تلخيص المفتاح من المعاني والبيان والإيضاح في شرح التلخيص ، والسور المرجاني من شعر الإرجاني ، وغيرها ، وكان حلو العبارة ، أديباً بالعربية ، كثير الفضائل . مات سنة (٧٣٩هـ) .

طبقات الشافعية الكبرى (٥/٢٣٨) ، شذرات الذهب (٦/١٢٣) .

(٣) فتح الباري (١/٦٨) .

النووي رحمه الله: «قال القاضي عياض: الصواب ما وقع في سائر الأحاديث ولسائر الرواة: «بضع وستون»... والأشبه بالإتقان والاحتياط بترجيح رواية الأقل، ومنهم من رجح رواية الأكثر وإياها اختار أبو عبد الله الحليني»^(١).

وقبل الحليني رجح ابن حبان رواية الأكثر فقال: «والخبر في بضع وسبعين خبر متقص صحيح لا ارتياب في ثبوته»^(٢).

أما ابن حجر فعارض ترجيح رواية الأكثر وقال: «وترجيح رواية «بضع وسبعون» لكونها رواية ثقة، كما ذكره الحليني ثم عياض؛ لا يستقيم»^(٣).

وذكر ابن حجر أن الذين رجحوا رواية الأقل هم: الإمام البخاري، والبيهقي، وابن الصلاح^(٤)^(٥).

طرق حديث شعب الإيمان:

ذكر ابن نصر حديث شعب الإيمان بطرق وروايات مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه، منها:

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤-٣/١).

(٢) الإحسان بترتيب ابن حبان (٣٣٣/١).

(٣) فتح الباري (٦٧/١).

(٤) هو الإمام الحافظ تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن الشيخ صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان ابن موسى الكردي الشهرزوري الشافعي، صاحب كتاب علوم الحديث، وشرح مسلم، وغير ذلك، كان من أعلام الدين أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، سلفياً زاهداً حسن الاعتقاد، وافر الجلالة. مات سنة (٦٤٣ هـ).

سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢٣)، طبقات الحفاظ (ص/٥٠٣) (١١٠٧).

(٥) فتح الباري (٦٧/١).

١ - ما رواه بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الإيمان بضع وستون - أو بضع وسبعون - باباً ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان»^(١) .

٢ - وروى بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «الإيمان بضع وسبعون شعبة ، فأرفعها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»^(٢) .

واختلاف الروايات في ذكر عدد شعب الإيمان جعلت بعض الجاهلين يظنون أن هذه الأحاديث متعارضة أو غير صحيحة ، وهذا جهل منهم بحقيقة الدين ؛ لأن الفرائض لم تنزل جملة واحدة ، وقد أخبر الله عن الكافرين أنهم قالوا : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾^(٣) .

وقال ابن كثير في هذه الآية : « أي هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحى إليه جملة واحدة ، كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة ، كالتوراة والإنجيل والزبور وغيرها من الكتب الإلهية ، فأجابهم الله تعالى عن ذلك بأنه إنما نزل

(١) الصلاة (١/٤٢٥) .

والحديث رواه مسلم بهذا اللفظ (١/٦٣) ح (٣٥) - كتاب الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان . . . إلخ ، والبخاري في التاريخ الكبير (٥/٨١) ، وأبو نعيم في الحلية (٦/١٤٧) .
(٢) الصلاة (١/٤٢٧) .

والحديث رواه مسلم (١/٦٣) ح (٣٥) - كتاب الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان . . . إلخ ، وأبو داود (٤/٤٠٨) ح (٤٦٧٦) - كتاب السنة - باب في رد الإرجاء ، والترمذي (٥/١٢) ، ح (٢٦١٤) - كتاب الإيمان - باب ما جاء في استكمال الإيمان . . . إلخ ، والنسائي (٨/١١٠) - باب ذكر شعب الإيمان ، ورواه ابن ماجه (١/٢٢) ح (٥٧) في المقدمة - باب في الإيمان ، وأحمد في المسند (٢/٤١٤ ، ٤٤٥) ، وابن أبي شيبة في الإيمان ص ٢١ ح (٦٧) .

(٣) الفرقان : ٣٢ .

منجماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاج إليه من الأحكام ؛ ليثبت قلوب المؤمنين به»^(١) .

وقد تقدم الكلام على أن الدعوة بدأت بالدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، فلما استقرت في قلوب المؤمنين تتابعت عليهم الفرائض ، وكلما نزلت فريضة ألحقها رسول الله ﷺ بالإيمان حتى أكمل الله الدين .

قال أبو عبيد : « فظن الجاهلون بوجوه الأحاديث أنها متناقضة لاختلاف العدد منها ، وهي بحمد الله ورحمته بعيدة عن التناقض ، وإنما وجوها ما أعلمتك من نزول الفرائض بالإيمان متفرقاً ، فكلما نزلت واحدة ألحق رسول الله ﷺ عددها بالإيمان ، ثم كلما جدد الله منها أخرى زادها في العدد ، حتى جاوز ذلك السبعين كلمة ، كذلك في الحديث المثبت عنه أنه قال : «الإيمان بضع وسبعون جزءاً ، أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^(٢) .

ويرد ابن نصر على من قال : إن هناك تعارضاً في الأحاديث ، أو أن بعضها غير صحيح ولا يثبت عن النبي ﷺ : « على أن الإسلام كثير^(٣) ؛ لأن البنيان أكثر من الأصل ، إنما هو بياض والبنيان يكون الخيطان والبيوت والعلالي والغرف والأبواب والجذوع والصفائح وغير ذلك ، وقد حفظ في بعض هذه الأحاديث من شرائع الإسلام ما لم يحفظ في بعض ، فيمكن الذين

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٠٧) .

(٢) الإيمان ص ٦٠ ، والحديث سبق تخريجه .

(٣) يقصد الإمام ابن نصر بلفظ الإسلام هنا «الإيمان» ؛ لأنه رحمه الله يذهب إلى أن الإيمان والإسلام لفظان لمعنى واحد ، كما سيأتي في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

قصروا عن حفظها كلها تعلموا الإسلام قبل أن يفرض من شرائعه ما حفظ غيرهم ، ويمكن أن يكونوا حفظوه فأبدوا أساسه وعمده ومعالمه وسكتوا عما يتبع ذلك ، غير أن ذلك كله وغير ذلك من شرائع الإسلام التي حفظها غيرهم من الإسلام ، ليس لأحد أن يقول : ليس الإسلام إلا ما في حديث فلان دون غيره من الأحاديث ، حتى تقر بها كلها . كذلك الإيمان لم يأت مفسراً بكماله في آية أو آيتين ولا حديث ولا حديثين .

وكذلك الصلاة والزكاة والحج والصوم لم يأت شيء من ذلك بكماله في آية ولا آيتين ولا حديث ولا حديثين ، ألا ترى ما يكتب الناس من الأحاديث في سنن كشرعية منها ووجوهها ، فكذلك الأحاديث التي تروى في الإيمان والإسلام ؛ كلها من الإيمان والإسلام لا يجوز جحود شيء منها ولا دفعه^(١) .

ثم بعد ذكر ابن نصر لحديث شعب الإيمان على اختلاف رواياته ، ورده على من قال بتناقض أحاديث شعب الإيمان واختلافها بين أن النبي ﷺ فسر «بسنته الإيمان» إذ فهم عن الله عز وجل مثله ، فأخبر أن الإيمان ذو شعب ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله .

وجعل أصله الإقرار بالقلب واللسان ، وجعل شعبه الإيمان ، ثم جعل في غير حديث الأعمال شعباً من الإيمان . . . لأن الذي سمي الإيمان التصديق ، هو الذي أخبر أن الإيمان ذو شعب ، فمن لم يسم الأعمال شعباً كما جعله الرسول ﷺ ، وكما ضرب الله المثل ؛ فقد خالف سنة الرسول ﷺ ، وليس له أن يفرق بين صفات النبي ﷺ للإيمان فيؤمن ببعضها ويكفر ببعضها^(٢) .

(١) الصلاة (١/٤٢٣-٤٢٤).

(٢) الصلاة (٢/٧٠٦-٧٠٧).

وقد ذكر رحمه بعض شعب الإيمان ، وأول هذه الشعب التي ذكرها وأهمها هي شهادة أن لا إله إلا الله ؛ إذ لا حظ في الإسلام لمن لم يأت بالشهادة .

الشعبة الأولى : لا إله إلا الله :

قال ابن نصر : « لأنه ﷺ حين سأله جبريل : « ما الإيمان » ، قال : « أن تؤمن بالله » إلى آخر القول ، ثم قال في حديث ابن عباس لو فد عبد القيس : « أمركم بالإيمان » ، ثم قال : « اتدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله » .

فبدأ بأصله ، والشاهد بلا إله إلا الله هو المصدق المقر بقلبه ، يشهد بها لله بقلبه ولسانه ، يبتدئ بشهادة قلبه والإقرار به ، ثم يثني بالشهادة بلسانه والإقرار به ، كما قال « من قال : لا إله إلا الله ، يرجع بها إلى القلب مخلصاً » ، يعني مخلصاً « بالشهادة قلبه ، ليس كما شهدت المنافقون إذ قالوا : ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ﴾ ^(١) ، قال الله : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٢) ، أنه حق في عينه ولكن كذبهم من قولهم ، فقال : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ^(٣) أي كما قالوا ، ثم قال : ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ^(٤) فكذبهم من قولهم ، لا أنهم قالوا بألسنتهم باطلاً وكذباً .

وكذلك حين أجاب النبي ﷺ جبريل بقوله : « الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله » ، لم يرد شهادة باللسان كشهادة المنافقين ، ولكن أزداد شهادة بدوها من القلب بالتصديق بالله بأنه واحد .

وليس هذا مما ينقص قوله : « تؤمن بالله » ؛ لأنه بدأه بأول الإيمان فقال : أن تؤمن بالله ، ثم تقر بقلبك ولسانك ، فتشهد له بذلك ، فابتدأ الإسلام بالشهادة والإيمان بالتصديق»^(١) .

الشعبة الثانية : الصلاة :

الشعبة التي تأتي في الأهمية بعد الشهادة هي الصلاة حتى قال الحلبي رحمه الله عنها : « وليس في العبادات بعد الإيمان الدافع للكفر عبادة سماها الله عز وجل إيماناً ، وسمى تركها كفراً ، إلا الصلاة»^(٢) .

وذكر ابن نصر أن الله « لم يفترض عليهم بعد توحيدهم والتصديق برسله وما جاء من عنده فريضة أول من الصلاة ، وأخبر أن ذلك أمره لهم وللأنبياء والأمم قبل أن يبعث محمداً ﷺ ، فقال عز وجل : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴾ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قِيمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿ (٣) ، فجعل أول فريضة نصها بالتسمية بعد الإخلاص بالعبادة لله الصلاة»^(٤) .

(١) الصلاة (٢/٧٠٧-٧٠٨) .

(٢) المنهاج في شعب الإيمان (٢/٢٨٨) ، تحقيق : حلمي محمد فودة ، نشر دار الفكر - ط . الأولى ١٣٩٩ هـ .

(٣) البينة : ١-٥ .

(٤) الصلاة (١/٨٥-٨٦) .

الشعبة الثالثة : الطهور :

ذكر الإمام ابن نصر أن من شعب الإيمان الطهور وأنه نصف الإيمان ،
واستدل بما رواه بسنده عن أبي مالك الأشعري ^(١) قال : قال رسول الله ﷺ :
«الطهور شطر الإيمان» ^{(٢) (٣)} .

الشعبة الرابعة : الحياء :

إن من شعب الإيمان الحياء ، وقد ورد في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ
قال : «والحياء شعبة من الإيمان» ^(٤) ، واستدل ابن نصر على أن الحياء من
الإيمان بسنده عن سالم ^(٥) عن أبيه أن رسول الله ﷺ مر برجل من الأنصار وهو
يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : «دعه ، فإن الحياء من الإيمان» ^(٦) .

(١) هو أبو مالك الأشعري مشهور بكنيته مختلف في اسمه ، قيل : اسمه عمرو ، وقيل :
عبيد ، صحابي مات في طاعون عمواس سنة ثمانى عشرة .

الإصابة (١٧١/٤) (٩٩٩) ، التقريب (ص/٦٧٠) (٨٣٣٦) .

(٢) رواه مسلم (١/٢٠٣) ح (٢٢٣) - كتاب الطهارة - باب فضل الوضوء ، والترمذي
(٥٠١/٥) ح (٣٥١٧) - كتاب الدعوات - باب (٨٦) ، وأحمد (٥/٣٤٢) .

(٣) الصلاة (٤٣٣/١) .

(٤) رواه البخاري (١٢/١ - ١٣) ح (٩) في الإيمان - باب أمور الإيمان ، ومسلم (١/٦٣) ح
(٣٥) - كتاب الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها . . . إلخ .

(٥) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، أبو عمر ، أو أبو عبد الله ، المدني
أحد الفقهاء السبعة ، وكان نبأ عابداً فاضلاً ، كان يشبه أباه في الهدى والسمت ، من كبار
الثالثة . مات سنة (١٠٦ هـ) .

سير أعلام النبلاء (٤/٤٥٧) ، التقريب (ص/٢٢٦) (٢١٧٦) .

(٦) الصلاة (٤٣٦/١) .

والحديث أخرجه البخاري (١٧/١) ح (٢٤) - كتاب الإيمان - باب الحياء من الإيمان ،
ومسلم (١/٦٣) ح (٥٩) - كتاب الإيمان - باب بيان عدد شعب الإيمان . . . إلخ .

وذكر رحمه الله تفسير النبي ﷺ للحياء ، وتعليمه لأصحابه كيف يستحون من الله حق الحياء ؛ فروى بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال ذات يوم لأصحابه : « استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : يا رسول الله ، إنا لنستحيي والحمد لله ، قال : ليس ذلك ، ولكن من استحيا من الله حق الحياء ، فليحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»^(١) .

وسياأتي شرح ابن نصر لهذا الحديث .

ثم قسم ابن نصر الحياء إلى قسمين فقال : « والحياء حياءان :

١ - حياء من الله .

٢ - حياء من الناس .

والذي هو أولى بالعبء الحياء من الله عز وجل ، ولولا أن الله تعالى جعل الحياء من خلقه خلقاً كريماً لما كان أحد غير الله يستوجب أن يستحي منه ؛ إذ لا مالك لنفع ولا ضرر غيره ، ولكنه أحب أن يستحي خلقه بعضهم من بعض فيستروا عيوبهم منهم ، فلا يفتضح بعضهم عند بعض»^(٢) .

وقسم رحمه الله الحياء من الله إلى ثلاثة أقسام وبين سببه حيث يقول :

(١) رواه الترمذي (٤/٥٥٠) ح (٢٤٥٨) . كتاب صفة القيامة . باب (٢٤) ، ورواه أحمد (١/٣٨٧) ، والحاكم (٤/٣٢٣) ، وحسنه الألباني . انظر : صحيح الجامع الصغير (٢/٣١٨) .

(٢) الصلاة (٢/٨٢٥) .

«فمن الحياء من الله ما هو فرض ، ومنه فضيلة ونافلة ، وهو هائج عن المعرفة بعظمة الله وجلاله وقدرته ؛ لأنه إذا ثبت تعظيم الله في قلب العبد أورثه الحياء من الله الحياء ، والهيبه له ، فغلب على قلبه ذكر اطلاع الله العظيم ، ونظره بعظمته وجلاله إلى ما في قلبه وجوارحه ، وذكر المقام غداً بين يديه وسؤاله إياه عن جميع أعمال قلبه وجوارحه ، وذكر دوام إحسانه إليه ، وقلة الشكر منه لربه .

فإذا غلب ذكر هذه الأمور على قلبه : هاج منه الحياء من الله فاستحى من الله أن يطلع على قلبه ، وهو معتقد لشيء مما يكره ، أو على جارحة من جوارحه يتحرك بما يكره ، فظهر قلبه من كل معصية ، ومنع جوارحه من جميع معاصيه ، إذ فهم عنه قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (٣) .

وقال منكرأ على من استخف بنظره ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (٤) (٥) .

ثم بين ابن نصر فضل الحياء الذي يهيج عند ذكر الوقوف بين يدي الله

(١) يونس : ١٤ .

(٢) يونس : ٦١ .

(٣) التوبة : ١٠٥ .

(٤) العلق : ١٤ .

(٥) الصلاة (٢/ ٨٢٥-٨٢٦) .

حيث إنه « يورث الاستعداد بالاعتذار؛ كيف يعتذر من ارتكابه لما نهاه عنه؟ ولمن تاب؟ وما أراد بالتوبة؟ وما أراد بالنوافل؟ ولمن عملها؟ فإذا أراد الاستعداد لهذه الأمور تطهر من الأدناس، وكمل الفروض فأداها كاملة، وأخلص الطاعات بصدق لا يشوبه رياء.

وإنما يعد الجواب لمن لا تخفى عليه خافية وأعلم بسره وعلايته من نفسه، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿١﴾. وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: « لن تزول قدما عبد من بين يدي الله حتى يسأل عن شبابه فيم أبلاه؟ وعمره فيم أفناه؟ وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وعلمه ماذا عمل به » (٣) (٤).

أصل الحياء وهل له غاية :

يرى الإمام ابن نصر أن الحياء خير كله كما أخبر النبي ﷺ، غير أنه يدعيه الصادق والكاذب، وذكر أن « أصله فعل من الطبيعة الكريمة، غريزة خير يختص الله تعالى بها من يشاء من خلقه، ينفع العاصي والمطيع. أما المطيع فقد زال كل خلق دني، وأما الفاسق فلم يجمع مع فسقه تهتكاً.

(١) الأعراف : ٧٠٦.

(٢) الحجر : ٩٢-٩٣.

(٣) الحديث تقدم تخريجه ص ١٦٣.

(٤) الصلاة (٢/ ٨٣٨-٨٣٩).

وإذا هاج الحياء من المطيع وجد العدو سبيلاً إلى الدعاء إلى الرياء ، فإن أطاعه العبد اعتقد الرياء واعتل بالحياء .

وصدق هاجه أولاً الحياء ، ثم أخطر العدو بالرياء ، ولم يفتن له بقلبه فصار مرثياً^(١) .

ثم ذكر رحمه الله أنه لا غاية لحقيقة الحياء « إذ المستحي منه لا غاية لعظمته عند المستحي منه ، ألا ترى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : « استحيوا من الله حق الحياء ؟ قالوا : إنا لنستحي والحمد لله ، فقال : ليس ذلك » .

فدل أن للحياء حقيقة فوق ما أوتوا من الحياء فقال : ليس ذلك حق الحياء ، ولكنه حياء دون الحقيقة ، ثم قال : « ولكن الحياء من الله حق الحياء أن لا تنسوا المقابر والبلى » ، فأخبر أن الحياء حق الحياء أن يستحي العبد من الله تعالى أن يراه ناسياً للمقابر والبلى ، فإذا استحي من ذلك دام منه الذكر للمقابر والبلى لا ينسى ذلك حياء من ربه تعالى .

وقال : « وليحفظ الرأس وما وعى » يعني ما احتوى عليه الرأس من سمع وبصر ولسان ، « وليحفظ البطن وما حوى » ، وقال بعضهم : « والجوف وما وعى » ، وذلك بجميع كل ما أضمر عليه العبد وكل ما دخل جوفه .

فقد اجتمع في الحياء من الله تعالى الخير كله من الفروض والتطوع جميعاً ، وذلك كله من الإيمان^(٢) .

وذكر ابن نصر أن النبي ﷺ حث على الحياء ، وكان يوصي أصحابه به ؛ لأن الحياء لا يأتي إلا بخير .

(١) الصلاة (٢/٨٥١) .

(٢) الصلاة (٢/٨٤٦) .

روى بسنده عن أبي الخير^(١) عن سعيد بن يزيد^(٢) أنه سمعه يقول: إن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: «أوصني؟»، قال: أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك»^(٣).

ثم علق رحمه الله على هذا الحديث بقوله: «ألست ترى أن الإنسان إذا علم أن رجلاً صالحاً ينظر إليه، أو يسمع كلامه، أمسك عن كل ما يخاف أن يفتنه عليه، أو يضع من قدره عنده، ولو علم أنه يطلع على ما في ضميره لما أضمر إلا على ما يعلم أنه يحسنه عنده ويجمل، وكذلك يستحي من الرجل الصالح من كل نقص في فضل، إلا لمرض»^(٤).

ثم بين رحمه الله أن النبي ﷺ أجمل لهذا الرجل «تفسير الحياء من الله في هذه الكلمة، فمن استحي من الله فيما يظهر، وكل شيء ظاهر له، كما يستحي من الرجل الصالح، فقد استحي من الله حق الحياء؛ لأنه عالم بأن الله مطلع على ما في قلبه، فلا يدع قلبه يضمّر على شيء مما يكره، إن عرض له رياء في عمل أو عجب أو كبر، ذكر نظر الله إليه فاستحي منه أن يرى ذلك في قلبه، فتذكره، واستحي أيضاً من كل نقص يدخل فيه من فضول الدنيا، أو من فضول الكلام، وإن كان مباحاً، لأنه يعلم أن الله قد زهده في ذلك، ورغبه في تركه.

(١) هو مرثد بن عبد الله اليزني أبو الخير المصري الفقيه، مصري تابعي ثقة فقيه، من الثالثة مات سنة (٥٩٠هـ).

سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٤)، التقريب (ص/ ٥٢٤) (٦٥٤٧).

(٢) هو سعيد بن يزيد بن الأزور الأزدي، روى عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له أوصني . الجرح والتعديل (٤/ ٧٢) (٣٠٣).

(٣) رواه أحمد في الزهد ص ٤٦، والطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٨٥)، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص ٥٠، وانظر: مجمع الزوائد (١٠/ ٢٨٤)، وكتز العمال (٥٧٧٠).

(٤) الصلاة (٢/ ٨٢٨).

فهو يستحي أن يراه راغباً فيما زهده فيه ، وكذلك إن خاف غيره استحي منه أن يراه يخاف غيره ، أو يرجوه ، أو يطمع فيه ، وهذه فضيلة وليست فرضاً^(١) .

الشعبة الخامسة : العي :

ذكره ابن نصر من شعب الإيمان ، واستدل على أن الحياء والعي من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن أبي أمامة^(٢) عن النبي ﷺ قال : «الحياء والعي شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»^(٣) .

قال أبو عيسى الترمذي : «العي قلة الكلام ، والبذاء : هو الفحش في الكلام ، والبيان هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء يخطبون فيوسعون في الكلام ، ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله»^(٤) .

الشعبة السادسة : المباينة على الجهاد والصدقة :

واستدل على أنها من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن أبي المثني العبدي^(٥)

(١) الصلاة (٢/٨٢٨-٨٢٩).

(٢) هو أسامة البلوي الأنصاري اسمه إياس بن ثعلبة ، ويقال : عبد الله بن ثعلبة بن عبد الله حليف بني حارثة ، وهو ابن أخت أبي بردة بن نيار . وقال أبو حاتم : ثعلبة بن عبد الله بسن سهل صحابي له أحاديث .

الإصابة (٤/٩-١٠) (٥٠)، التهذيب (١٢/١٦) (٦٩) .

(٣) الصلاة (١/٤٣٧) .

والحديث رواه الترمذي (٤/٣٢٩) ح (٢٠٢٧) . كتاب البر والصلة - باب ما جاء في العي ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، ورواه أحمد (٥/٢٦٩) ، وهو في الإيمان لابن أبي شيبة ص ٣٩ ح (١١٨) ، وقال الألباني : حديث صحيح الإسناد ، وكذا في شرح السنة للبخاري (١٢/٣٦٦) .

(٤) سنن الترمذي (٤/٣٢٩) ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، نشر دار الفكر - ط ١٤٠٨ هـ .

(٥) هو مؤثر بن عفازة الشيباني ، ويقال : العبدي ، أبو المثني الكوفي ، مقبول من الثالثة ، روى عنه جماعة من التابعين .

التقريب (ص/٥٤٩) (٥٤٩)، التهذيب (١٠/٢٩٤) (٥٨١) .

قال : سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية^(١) قال : « أتيت رسول الله ﷺ لأبايه ، فاشترط علي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن أصلي الخمس ، وأصوم رمضان ، وأحج البيت ، وأؤدي الزكاة ، وأجاهد في سبيل الله . قال فقلت : يا رسول الله ، أما أئتان فما أطيعهما : الجهاد في سبيل الله ؛ فإنهم زعموا أنه من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله ، وأخشى إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت ، والصدقة ؛ فمالي إلا غنيمة وعشر ذود ، هن رسل أهلي وحمولتهن ، قال : فقبض رسول الله ﷺ يده فقال : لا جهاد ولا صدقة ؛ فبم تدخل الجنة ؟ قلت : يا رسول الله ، أنا أبايعك ، فبايعته عليهن كلهن^(٢) .

الشعبة السابع : حسن الخلق :

واستدل ابن نصر على أن حسن الخلق من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « أكمل الناس إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم^(٣) » .

(١) هو بشير بن معبد ، وقيل : ابن زيد ، بن معبد بن ضباب بن سبع بن سدوس ، وقيل : ابن شراحيل ، بن سبع السدوسي المعروف بابن الخصاصية ، وكان اسمه زحماً فسماه النبي ﷺ بشيراً ، نزل البصرة .

الإصابة (١/١٦٣) (٧٠٤) ، التهذيب (١/٤١٠) (٨٦٦) .

(٢) الصلاة (١/٤٤٠) .

والحديث رواه أحمد (٥/٢٢٤) ، والحاكم في مستدركه (٢/٧٩ - ٨٠) في كتاب الجهاد ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في معجمه الكبير (٢/٤٤٠ - ٤٥٠) ح (١٢٣٣) .

(٣) الصلاة (١/٤٤١) .

والحديث تقدم تخريجه لكن بدون لفظ : « وخياركم ... الحديث » ، والحديث بلفظه كاملاً رواه الترمذي (٣/٤٦٦) ح (١١٦٢) - كتاب الرضاع - باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن حبان في صحيحه (٦/١٨٨) ح (٤١٦٤) - كتاب النكاح - باب معاشره الزوجين .

وروى بسنده عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » (١) .

الشعبة الثامنة : إفشاء السلام :

واستدل ابن نصر على أن إفشاء السلام من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا : بلي يا رسول الله ، قال : افشوا السلام بينكم » (٢) .

الشعبة التاسعة : المحبة لله :

استدل ابن نصر على أن المحبة لله من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب العبد لا يحبه إلا لله » (٣) .

(١) الصلاة (١/٤٤٧) .

والحديث رواه البخاري (١/١٤) ح (١٣) . كتاب الإيمان . باب من الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، ومسلم (١/٦٧) ح (٤٥) . كتاب الإيمان . باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه . . . الخ .

(٢) الصلاة (١/٤٤٨) .

والحديث رواه مسلم (١/٧٤) ح (٥٤) . كتاب الإيمان . باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون . . . الخ ، وأبو داود (٤/٥١٧) ح (٥١٩٣) . كتاب الأدب . باب في إفشاء السلام ، والإمام أحمد (٢/٤٩٥) ، وابن حبان في صحيحه (١/٢٢٩) ح (٢٣٦) . كتاب الإيمان . باب ما جاء في صفات المؤمنين .

(٣) الصلاة (١/٤٥١) .

والحديث رواه أحمد (٢/٢٩٨ ، ٥٢٠) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/٣٧١) ح (٨٠٤) ، وأبو داود الطيالسي في مسنده ص ٣٢٦ ح (٢٤٩٥) . والحديث صححه الشيخ الألباني ، انظر : صحيح الجامع الصغير (٦/١٥١) ح (٨٧٤٥) .

وروى بسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه فقد ذاق طعم الإيمان : من كان لا شيء أحب إليه من الله ورسوله ، ومن كان لأن يحرق بالنار أحب إليه من أن يرتد عن دينه ، ومن كان يحب لله ويبغض في الله » (١) .

الشعبة العاشرة : حب الأنصار :

واستدل ابن نصر على أن حب الأنصار من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن عدي بن ثابت (٢) قال : سمعت البراء بن عازب (٣) يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق : من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله » .

قال شعبة : فقلت لعدي سمعته من البراء؟ قال : إياي حدث (٤) .

(١) الصلاة (١/٤٥١-٤٥٢) .

والحديث بهذا اللفظ ذكره الطبراني في معجمه الكبير (١/٢٥١-٢٥٢) ح (٧٢٤) ، وفي معجمه الصغير (٢/٣٢) ح (٧٢٨) . وقال الألباني : منكر بهذا اللفظ ، انظر : ضعيف الجامع الصغير (٣/٥٧) . وقد روي الحديث بلفظ قريب من هذا الحديث كما ثبت عند :

١- البخاري في صحيحه (١/١٤) ح (١٦) . كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان .
٢- ومسلم (١/٦٦) ح (٤٣) . كتاب الإيمان . باب من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان .
(٢) هو عدي بن ثابت الأنصاري الكوفي ، ثقة روي بالتشيع . قال أبو حاتم : صدوق ، وكان إمام مسجد الشيعة وقاضيه .

الجرح والتعديل (٧/٢) (٥) ، التهذيب (٧/١٤٩-١٥٠) (٣٩٠) .

(٣) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، لم يشهد بدرأ لصغره وشهد أحداً وما بعدها ، قد روى عن النبي ﷺ عدة أحاديث ، نزل الكوفة ، ومات فيها سنة ٧٢ هـ .
سير أعلام النبلاء (٣/١٩٤) ، الإصابة (١/١٤٦-١٤٧) (٦١٨) .

(٤) الصلاة (١/٤٥٦) .

والحديث رواه البخاري (٣/١٣٧٩) ح (٣٥٧٢) . كتاب فضائل الصحابة . باب حب الأنصار من الإيمان ، ومسلم (١/٨٥) ح (٧٥) . كتاب الإيمان . باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان .

الشعبة الحادية عشرة: البذاذة :

واستدل ابن نصر على أن البذاذة من الإيمان بما رواه بسنده عن أبي أسامة ابن ثعلبة أن رسول الله ﷺ قال : « إن البذاذة من الإيمان ، إن البذاذة من الإيمان»^(١).

الشعبة الثانية عشرة: الغيرة :

واستدل ابن نصر على أن الغيرة من الإيمان ، وعدمها من النفاق بما رواه بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : « الغيرة من الإيمان والبذاء من النفاق ، قلت : وما البذاء ؟ قال : الذي لا يغار»^(٢).

الشعبة الثالثة عشرة والرابعة عشرة: الأمانة والعهد :

استدل ابن نصر على أن الأمانة والعهد من شعب الإيمان بما رواه بسنده عن أنس قال : « قل ما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له »^(٣).

(١) الصلاة (١/٤٦٦-٤٦٧).

والحديث رواه الطبراني في معجمه الكبير (١/٢٧٢) ح (٢٤٧)، والطحاوي في مشكل الآثار (١/٤٧٨) - باب بيان مشكل ما روي عن رسول الله ﷺ في البذاذة من الإيمان ، وكذلك (٤/١٥١). وصححه الألباني ، انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/٥٦) ح (٣٤١).

(٢) الصلاة (١/٤٦٩).

والحديث رواه البزار في مسنده - كما في كشف الأستار (٢/١٨٨) ح (١٤٩٠) - كتاب النكاح - باب الغيرة من الإيمان ، والبيهقي في شعب الإيمان ، كما ذكره الهندي في كنز العمال (٣/٣٨٦) ح (٧٠٦٨) . انظر : مجمع الزوائد (٤/٣٢٧).

(٣) الصلاة (١/٤٧٠-٤٧١).

والحديث رواه أحمد في مسنده (٣/١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠) ، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/٣٧١) ح (٨٠٥) ، والبغوي في شرح السنة (١/٧٤-٧٥) ح (٣٨) - كتاب الإيمان - باب علامات المنافقين ، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/٢٨٨).

وروى بسنده عن حذيفة قال : «حدثنا رسول الله ﷺ حديثين : حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفعها فينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر المجمل ، كجمر دحرجته على رجلك فنفظ ، فتراه منتبراً وليس فيه شيء .»

ولقد كنت وما أبالي أيكم بايعت ، لئن كان مسلماً ليردنه علي دينه ولئن كان نصرانياً ليردنه علي ساعيه ، فأما اليوم فلم أكن لأبايع منكم إلا فلاناً وفلاناً ، فيصبح الناس يتبايعون ما يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال للرجل : ما أجلده ، وأظرفه ، وأعقله ، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»^(١) .

الشعبة الخامسة عشرة : الصبر :

عرف الإمام ابن نصر الصبر بأنه : «إمسك الجوارح عن الخروج منها إلى غيرها ، من الكلام والأكل والشرب»^(٢) .

وبين رحمه الله أن له أصلاً وفرعاً « فأصل الصبر على إمساك الإيمان وضده تركه ، ويقع بدله الكفر .

والفرع على معنيين ، فمعنى منه الصبر على أداء المفروض ، وتركه معصية»^(٣) .

(١) الصلاة (١/٤٧١-٤٧٢) .

والحديث رواه البخاري (٥/٢٣٨٢) ح (٦١٣٢) . كتاب الرقاق . باب رفع الأمانة ، ومسلم (١/١٢٦-١٢٧) ح (١٤٣) . كتاب الإيمان . باب رفع الأمانة . . الخ .

(٢) الصلاة (٢/٨٠٣) .

(٣) الصلاة (٢/٨٠٣-٨٠٤) .

وأكد رحمه الله على أهمية الصبر في أداء العبادات ومن أهم العبادات الصلاة ، فلا « اختلاف بين العلماء أن إقباله وتركه الإدبار عن القبلة وصمته عن الكلام من صلاته ، ولو لم يصبر عن ذلك كان خارجاً من الصلاة »^(١) .

ثم بين رحمه الله أن الصبر على الإيمان إيمان ، حيث يقول : « فكذلك الصابر (على)^(٢) إيمانه أن يزول عنه فيعتقد سواه ، أو يتكلم بغيره ، وإن كان عارفاً بربه ، فصبره على ذلك من إيمانه ، لا فرقان بين ذلك .

فإذا كان الصبر على الإيمان من الإيمان ، فكذلك كل صبر هو لله طاعة ، فهو إيمان »^(٣) .



(١) الصلاة (٢/٨٠٣) .

(٢) في المطبوع (عن)، ولعل الصواب (على)، والله أعلم .

(٣) الصلاة (٢/٨٠٣) .

البحث السادس

أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله

أوثق عرى الإيمان الحب والبغض في الله ، فهو أصل من أصول الدين ، ولازم من لوازم كلمة التوحيد ^(١) ، فأصل الإيمان أن تحب في الله وتبغض فيه ، تحب أنبياءه ورسله وعباده الصالحين ، وتبغض أعداءه وأعداء الرسل المكذبين الضالين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « رأس الإيمان الحب في الله والبغض في الله ، وكان من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى الله ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان ، فالمحبة والإرادة أصل في وجود البغض والكرهية ، والأصل في زوال البغض المكروه ، فلا يوجد البغض إلا لمحبة ، ولا يزول البغض إلا لمحبة » ^(٢) .

وللموالة والمعاداة أصل « فأصل الموالة الحب ، وأصل المعاداة البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالة

(١) قال ابن رجب : « إن قول العبد : لا إله إلا الله يقتضي أن لا إله له غير الله ، والإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبه له وإجلالاً ، ومحبة وخوفاً ورجاءً . . . وتقتضي أن لا يحب سواه ؛ فإن الإله هو الذي يطاع فلا يعصى ، محبة وخوفاً ورجاءً ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه وكرهه ما يكره ، فمن أحب شيئاً مما يكره الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيدته وصدقه في قول : لا إله إلا الله » .

كلمة الإخلاص ص ٢٣-٢٩ ، تحقيق : زهير الشاويش ، نشر المكتب الإسلامي - ط .
الخاصة - ط . ١٣٩٩ هـ .

(٢) جامع الرسائل (٢/ ١٩٥) ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، نشر دار المدني - ط . الأولى .

والمعاداة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، والجهاد، والهجرة، ونحو ذلك^(١).

فالحب والبغض من أعمال القلوب « وحركات الجسد تابعة لحركة القلب وإرادته ؛ فإن كانت حركته وإرادته لله وحده فقد صلح ووصلحت حركات الجسد كله ، وإن كانت حركة القلب وإرادته لغير الله فسد وفسدت حركات الجسد بسبب فساد حركة القلب .

وروى الليث^(٢) عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾^(٣) ، قال : لا تحبوا غيري . . . قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٤) .

فهذا يدل على أن محبة ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعة للهوى ، والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي^(٥) .

فيجب على المؤمن أن لا يقع في قلبه محبة أعداء الله ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾^(٦) ، بل يجب عليه أن

(١) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل شيخ ص ٢٩٦ ، تصحيح : عبد الرحمن الرويشد ، نشر دار العلوم - مصر - ط . ١٣٩٨ هـ .

(٢) هو ابن عبد الرحمن ، الإمام المحافظ شيخ الإسلام ، وعالم الديار المصرية ، أبو الحارث الفهمي ، مولى خالد بن ثابت بن طاعن ، كثير العلم ، كثير الحديث ، ثقة ثبت . قال ابن سعد : كان الليث قد استقل بالفتوى في زمانه . مات سنة (١٧٥ هـ) .

الجرح والتعديل (٧/١٧٩ - ١٨٠) (١٠١٥) ، سير أعلام النبلاء (٨/١٣٦ - ١٦٣) .

(٣) النساء : ٣٦ .

(٤) آل عمران : ٣١ .

(٥) جامع العلوم والحكم ص ١٠٦ - ١٠٧ .

(٦) المتحنة : ١ .

يبغض أعداء الله وأعداء الرسل حتى يستكمل الإيمان .

يقول كعب الأحبار^(١) : « من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان ، ومن أحب لله عز وجل وأبغض لله ، وأعطى الله ومنع الله ؛ فقد استكمل الإيمان »^(٢) .

والولاء والبراء سبيل الأنبياء والرسل الذين أمرنا باتباعهم والافتداء بهم ، قال تعالى : ﴿ فَيَهْدَاهُمْ سَبِيلَهُ ﴾^(٣) ، وهم الذين لنا فيهم أسوة حسنة .

قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾^(٤)

وذلك لأنه لا يجتمع في قلب رجل واحد حب الإيمان والمؤمنين وأهل التوحيد ، وحب أعداء الله من المشركين والكافرين ، وما وجدا في قلب رجل إلا تدافعا حتى يبقى أحدهما ويخرج الآخر ؛ لأن التوحيد الذي جاءت به الرسل يتضمن محبة الله .

(١) هو كعب بن مانع الحميري ، أبو إسحاق ، المعروف بكعب الأحبار ، ثقة من الثانية ، مخضرم ، كان من أهل اليمن فسكن الشام ، مات في آخر خلافة عثمان ، وقد زاد على المائة .

سير أعلام النبلاء (٣/٤٨٩) ، التقريب (ص/٤٦١) (٥٦٤٨) .

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٦٥٩) .

(٣) الأنعام : ٩٠ .

(٤) الممتحنة : ٤ .

وقال أبو القاسم الأصبهاني^(١) : « والمطيع لله يجب أن يُحبّ لطاعته ، وإن كان في خلال ذلك بعض المعاصي ، والمعاصي لله يجب أن يبغض لمعصيته ، وإن كان في خلال ذلك بعض الطاعة ، فمن كانت طاعته أكثر ازداد إيمانه ووجبت محبته ، ومن كانت معاصيه أكثر انتقص إيمانه ووجب بغضه ، حتى يحصل الحب في الله والبغض في الله »^(٢) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحبه الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادي أعداء الله تعالى ، وهذا هو الذي استكمل الإيمان »^(٣) .

وقال شارح الطحاوية : إن « محبة رسل الله وأنبيائه وعباده المؤمنين من محبة الله ، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره ، فغير الله يحب في الله لامع الله ، فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض ، ويوالي من يواليه ، ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضائه ، ويبغض لبغضه ، ويأمر بما يأمر به ، وينهى عما ينهى عنه ، فهو موافق لمحبوبه في كل حال .

(١) هو الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن ظاهر القرشي التميمي الأصبهاني ، الملقب بقوام السنة ، كان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، قليل الكلام ، ليس في وقته مثله ، له عدة مصنفات ، منها : الحجة وبيان المحجة ، وشرح عقيدة أهل السنة (مطبوع) . مات سنة (٥٣٥هـ) .

سير أعلام النبلاء (٢٠ / ٨٠) ، طبقات الحفاظ (ص / ٤٦٣) (١٠٤٠) .

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢ / ٥٠٧) ، تحقيق : محمد محمود أبي رحيم ، نشر دار الراية - الرياض - ط . الأولى - ١٤١١هـ .

(٣) مجموع الفتاوى (١٠ / ١٩٠) .

والله تعالى يحب المحسنين ، ويحب المتقين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ونحن نحب من أحبه الله .

والله لا يحب الخائنين ، ولا يحب المفسدين ، ولا يحب المستكبرين ، ونحن لا نحبهم أيضاً ، ونبغضهم موافقة له سبحانه وتعالى «^(١) .

بل أكد العلماء على وجوب موالاة المؤمنين بحسب ما عندهم من الخير والشر ، وإن ظلموا أو حدث منهم عدوان .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والمؤمن عليه أن يعادي في الله ويوالي في الله ؛ فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه ، وإن ظلمه ؛ فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية »^(٢) .

وقال شارح الطحاوية : « والحب والبغض بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر ؛ فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية وسبب العداوة ، والحب والبغض ؛ فيكون محبوباً من وجه مبغوضاً من وجه ، والحكم للغالب »^(٣) .

أما الإمام ابن نصر فيؤكد أهمية الحب والبغض في الله وأنها أصل من أصول الإيمان ، لا يتم إيمان العبد حتى يوالي في الله ويعادي فيه ، وذكر الأدلة من الكتاب والسنة التي تصرح بوجوب الحب والبغض في الله .

أولاً : من القرآن الكريم :

الآيات التي تدل على وجوب الحب في الله :

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/٥٤٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٠٨) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢/٥٤٧) .

- ١- قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ (١).
- ٢- وقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٢).

ومن الآيات التي تدل على وجوب البغض لله :

- ٣- قال تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (٣).

- ٤- وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (٤).

- ٥- وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُؤُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبْشُرُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (٥).

ثانياً : من السنة :

- ٦- استدلل ابن نصر على وجوب الحب والبغض في الله بما روى بسنده عن البراء بن عازب قال : « كنت جالساً عند رسول الله ﷺ ، فقال : اتدرون أي عصى الإيمان أوثق ؟ قالوا : الصلاة ، قال : إن الصلاة لحسنة وما هي به . قالوا : الزكاة ، قال : الزكاة لحسنة وما هي به . قالوا : الحج ، قال : الحج

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

(٣) المجادلة : ٢٢ .

(٤) المتحنة : ١ .

(٥) المتحنة : ١٣ . وانظر : الصلاة (١/٤٠٤) .

لحسن وما هو به . قالوا : الجهاد ، قال : إن الجهاد لحسن وما هو به . فلما رأهم يذكرون شرائع الإسلام ولا يصيبون قال لهم : أوثق عرى الإيمان الحب في الله «^(١) .

٧ - واستدل بما رواه بسنده عن الزبير بن العوام^(٢) أن رسول الله ﷺ قال : «دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة ؛ لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين ، والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على ما يثبت ذلك ؟ أفسحوا السلام بينكم»^(٣) .

٨ - واستدل بما رواه بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « أفضل العمل الحب في الله ، والبغض في الله »^(٤) .

(١) الصلاة (١/٤٠٣-٤٠٤) .

والحديث رواه أبو داود الطيالسي في مسند ص ١٠١ ح (٧٤٧) ، والإمام أحمد في مسنده (٢٨٦/٤) ، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤١/١١) ح (١٠٤٦٩) - كتاب الإيمان والرؤيا .
(٢) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب ، حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، روى أحاديث يسيرة . قتل في رجب سنة (٣٦هـ) وله أربع وستون سنة .
الإصابة (١/٥٢٦) (٢٧٨٩) ، سير أعلام النبلاء (١/٤١) .
(٣) الصلاة (١/٤٠٤ ، ٤٤٩) .

والحديث رواه الترمذي (٤/٥٧٣) ح (٢٥١٠) - كتاب صفة القيامة - باب (٥٦) ، والإمام أحمد في مسنده (١/١٦٥) ، والبغوي في شرح السنة (١٢/٢٥٩) ح (٣٣٠١) - كتاب الاستئذان - باب فضل السلام .
(٤) الصلاة (١/٤٠٥) .

والحديث رواه أبو داود (٤/٣٩١) ح (٤٥٩٩) - كتاب السنة - باب مجانبة أهل الأهواء ، والإمام أحمد في مسنده (٥/١٤٦) . والحديث ضعفه الألباني ، انظر : ضعيف الجامع (١/٣١٣) ، والأحاديث الضعيفة ح (١٣١٠) .

٩- وبما رواه بسنده عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني^(١) عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأنكح لله، وأحب لله، وأبغض لله؛ فقد استكمل إيمانه»^(٢).

١٠- وبما رواه عن مجاهد قال: قال لي ابن عباس: يا مجاهد، أحب في الله، وأبغض في الله، ووال في الله، وعاد في الله، فأبغض ما عند الله بذلك، ولن يجد عبد حلاوة الإيمان، وإن كثر صلاته وصيامه حتى يكون كذلك، وقد صارت مواخاة الناس اليوم - أو عامتهم - في الدنيا، وذلك لا يجزئ عند الله شيئاً، ثم قرأ: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^(٣)، وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^{(٤) (٥)}.

١١- وبما رواه بسنده عن كعب قال: «من أحب في الله، وأبغض في

(١) هو سهل بن معاذ بن أنس الجهني، شامي نزل بمصر، لا بأس به إلا في روايات زيان عنه، من الرابعة.

التقريب (ص/٢٥٨) (٢٦٦٧)، التهذيب (٤/٢٢٧) (٥٤٣).

(٢) الصلاة (١/٤٠٥).

والحديث رواه الترمذي (٤/٥٧٨) ح (٢٥٢١) - كتاب صفة القيامة - باب (٦٠)، والإمام أحمد في مسنده (٣/٤٤٠)، والحاكم في مستدرکه (٢/١٦٤) - كتاب النكاح، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. والحديث حسنة الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (٣٨٠).

(٣) الزخرف: ٦٧.

(٤) المجادلة: ٢٢.

(٥) الصلاة (١/٤٠٦).

والحديث رواه ابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (٨/٨٧).

الله، وأعطى في الله، ومنع في الله، فقد استكمل الإيمان»^(١).

١٢ - وبما رواه بسنده عن أبي هريرة قال: «من أقام الصلاة وآتى الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الإيمان، ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فقد استكمل الإيمان»^(٢).

١٣ - وبما رواه بسنده عن مجاهد قال: «إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»^(٣).



(١) الصلاة (٤٠٧/١).

والحديث رواه ابن أبي شيبه ص ٤٣ ح (١٢٨) - كتاب الإيمان، وقال الألباني: إسناده حسن، وأبو نعيم في الحلية (٢١/٦)، ووكيع في زهده (٦٠٩/٢) ح (٣٣٥).

(٢) الصلاة (٤٠٧/١).

والحديث ورد عند العكبري في الإبانة الكبرى (٦٥٩/٢) ح (٨٤٩، ٨٥٠) عن كعب الأحبار. وورد اللفظ الأخير منه: «من أحب... إلخ» عند أبي داود (٤٠٨/٤) ح (٤٦٨١) في السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وأحمد في المسند (٤٣٨/٣).

(٣) الصلاة (٤٠٧/١).

والحديث رواه ابن أبي شيبه في مصنفه (٤١/١١) ح (١٠٤٠٧٠) - كتاب الإيمان والرؤيا.

الهبث السابع

هل الإيمان مخلوق؟

عاش الإمام ابن نصر في عصر اشتهرت فيه قضية عقديّة : هي فتنة القول
بخلق القرآن .

هذه الفتنة التي سجن فيها عدد من العلماء ، و صلب بسببها بعضهم ،
وجلد عدد كبير ؛ منهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل .

ذلك أن الصحابة حرصوا على التلقي من خير البرية محمد ﷺ ، وساروا
على نهج النبوة هم والتابعون ومن بعدهم « ولم يزل الناس على قانون السلف
وقولهم إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، حتى نبغت المعتزلة فقالت بخلق
القرآن ، وكانت تستر على ذلك ، وكان القانون محفوظاً في زمن الرشيد . . .
قال أحمد : فكان بشر متوارياً أيام هارون نحواً من عشرين سنة حتى مات
هارون ، فظهر ودعا إلى الضلالة ، وكان من المحنة ما كان .

قلت : فلما توفي الرشيد كان الأمر كذلك في زمن الأمين ، فلما ولي
المأمون خالطه قوم من المعتزلة ؛ فحسنوا له القول بخلق القرآن ، وكان يتردد
في حمل الناس على ذلك ، ويراقب بقايا الأشياخ ، ثم قوي عزمه على ذلك
فحمل الناس عليه « (١) .

(١) مناقب الإمام أحمد بن حنبل للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي ص ٣٨٥-٣٨٦ ، تحقيق :
د. عبد الله التركي ، نشر مكتبة الخانجي . ط . الأولى ١٣٩٩هـ .

فالقول بخلق القرآن قول محدث لم يكن في عهد الصحابة ومن بعدهم ، ولم يقله أحد من السلف .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وكما لم يقل أحد من السلف إنه مخلوق ؛ فلم يقل أحد منهم إنه قديم ، ولم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان ولا من بعدهم من الأئمة الأربعة ولا غيرهم ، بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله ، ولما ظهر من قال إنه مخلوق قالوا رداً لكلامه إنه غير مخلوق ، ولم يريدوا بذلك أنه مفترى كما ظنه بعض الناس ؛ فإن أحداً من المسلمين لم يقل إنه مفترى ، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم ، وإنما قالوا إنه مخلوق خلقه الله في غيره ، فرد السلف هذا القول كما تواترت الآثار عنهم بذلك ، وصنف في ذلك مصنفات متعددة ، وقالوا منه بدأ وإليه يعود»^(١) .

وذكر ابن قتيبة رحمه الله سبب الاختلاف في هذه المسألة ، وأن الأمر لا يستحق التكفير والتبديع ؛ لأن الخلاف هو في مسألة اللفظ فقط لا غير .

يقول رحمه الله : « اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن ونشأتهم وإكفار بعضهم بعضاً ، وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة ، ولا مما يوجب الوحشة ؛ لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو « القرآن كلام الله غير مخلوق » في كل موضع وبكل جهة وعلى كل حال ، وإنما اختلفوا في فرع ليفهموه لغموضه ولطف معناه ، فتعلق كل فريق منهم بشعبة منه ، ولم يكن معهم آلة التمييز ولا فحص النظارين ولا علم أهل اللغة ، فإذا فكر أحدهم

(١) جامع الرسائل والمسائل (٣/٣٥٢) .

في القراءة وجدها قد تكون قرآناً ؛ لأن السامع يسمع القراءة ، وسامع القراءة سامع القرآن ، وقال الله عز وجل : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، ووجدوا العرب تسمي القراءة قرآناً ، قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسيحاً وقرآنا
أي تسيحاً وقراءة .

وقال أبو عبيدة : يقال : قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد . فجعلهما مصدرين لقرأت .

وقال الله : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ^(٣) ، أي قراءة الفجر .

فيعتقد من هذه الجهات أن القراءة هي القرآن غير مخلوق ، ويفكر آخر في القراءة فيجدها عملاً ؛ لأن الثواب يقع على عمل لا على أن قرآناً في الأرض ، ويجد الناس يقولون : قرأت اليوم كذا وكذا سورة ، وقرأت في تقدير فعلت ، كما تقول ضربت وأكلت وشربت ، وتجدهم يقولون : قراءة فلان أحسن من قراءة فلان ، إنما يريدون أداء فلان للقرآن أحسن من أداء فلان ، وقراءة فلان أصوب من قراءة فلان ، وإنما يراد في جميع هذا العمل ؛ لأنه لا يكون قرآن أحسن من قرآن ؛ فيعتقد من هذه الجهة أن القراءة عمل وأنها القرآن ، وأن من قال : « القراءة غير مخلوقة » ؛ فقد قال إن أعمال العباد غير مخلوقة ^(٤) .

(١) الأعراف : ٢٠٤ .

(٢) التوبة : ٦ .

(٣) الإسراء : ٧٨ .

(٤) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ص ٥٧-٥٨ ، تحقيق : عمر محمود أبي عمر ، نشر دار الراجية - الرياض - ط . الأولى ١٤١٢ هـ .

وكذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إن سبب الفتنة التي حدثت هي بسبب الخوض في الألفاظ المشتركة مع اتباع أهواء النفوس ، حتى افترق أهل الحديث إلى فرقتين ؛ مال الإمام ابن نصر إلى فرقة منها ، يقول رحمه الله :
 « وكان أهل الحديث قد افترقوا في ذلك ، فصار طائفة منهم يقولون لفظنا بالقرآن غير مخلوق ، ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق ، وليس مرادهم صوت العبد ، كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ، ومحمد بن داود المصيصي ، وطوائف غير هؤلاء .

وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف ، ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول : أفعال العباد أصواتهم مخلوقة ؛ رداً ، لهؤلاء ، كما فعل البخاري ، ومحمد بن نصر المروزي ، وغيرهما من أهل العلم والسنة ، وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة وأهواء للنفوس ، وحصل بذلك نوع من الفرقة والفتنة .

وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف ، وصار قوم مع البخاري كمسلم بن الحجاج ونحوه ، وقوم عليه كأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهما .

وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث ، وهم أصحاب أحمد بن حنبل^(١) .

ثم إنه بعدما ظهرت فتنة القول بخلق القرآن ظهرت فتنة القول بخلق الإيمان ؛ لأن كلاً منهما متصل بالآخر ، وابتلي بعض الأئمة بسبب هذا ،

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٣/٤٦٨-٤٦٩) .

منهم الإمام ابن نصر .

والإيمان لفظ مشترك يشترك فيه صفات الله وكلامه وفيه فعل العبد، فشيء منها مخلوق وآخر غير مخلوق . فصفات الله وكلامه غير مخلوق .

قال الثوري : « من قال القرآن مخلوق فهو كافر . وقال حماد بن زيد : القرآن كلام الله »^(١) .

أما فعل العبد فهو مخلوق ، يقول محمد بن إسماعيل البخاري : « فأما أفعال العباد . . . قال النبي ﷺ : « إن الله يصنع كل صانع وصنعتة »^(٢) ، وتلا بعضهم عند ذلك : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) . فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة »^(٤) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا السياق : « وإذا قال : الإيمان مخلوق أو غير مخلوق ؟ قيل له : ما تريد بالإيمان ؟ أتريد به شيئاً من صفات الله وكلامه كقوله : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ، وإيمانه الذي دل عليه اسمه المؤمن ؛ فهو غير مخلوق ، أو تريد شيئاً من أفعال العباد وصفاتهم ؛ فالعباد كلهم مخلوقون ، وجميع أفعالهم وصفاتهم مخلوقة ، ولا يكون للعبد المحدث المخلوق صفة قديمة غير مخلوقة ، ولا يقول هذا من يتصور ما يقول ، فإذا حصل الاستفسار والتفصيل ظهر الهدى وبان السبيل ، وقد قيل : أكثر

(١) خلق أفعال العباد ص ٣١ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

(٢) رواه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٤٦ ، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٨/١) ح (٣٥٧) ، والمحاكم في المستدرک (٣١/١) ، وخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ح (١٦٣٧) .

(٣) الصفات : ٩٦ .

(٤) خلق أفعال العباد ص ٤٦ .

اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، وأمثالها مما كثر فيه تنازع الناس بالنفي والإثبات إذا فصل فيها الخطاب؛ ظهر الخطأ من الصواب»^(١).

قول الإمام ابن نصر في مسألة خلق الإيمان :

قال ابن نصر : «الإيمان هاهنا عبادة العابدين ، قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾^(٢) ، وقال : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾^(٣) .

فالمؤمن هو العابد لله والعبادة هو فعله وهو الإيمان ، والخالق هو المعبود الذي خلق المؤمن وعبادته وكل شيء منه ، فالخالق بصفاته الكاملة خالق غير مخلوق ، ولا شيء منه مخلوق ، والعباد بصفاتهم وأفعالهم وكل شيء منهم مخلوقون»^(٤).

وقال الذهبي : « قال الحافظ أبو عبد الله بن منده في مسألة الإيمان : صرح محمد بن نصر في كتاب الإيمان بأن الإيمان مخلوق ، وأن الإقرار والشهادة وقراءة القرآن بلفظه مخلوق .

ثم قال : وهجره على ذلك علماء وقته ، وخالفه أئمة خراسان والعراق»^(٥).

ثم علق الذهبي على قول الإمام ابن نصر فقال : « الخوض في ذلك لا

(١) الإيمان الأوسط ، ضمن مجموع الفتاوى (٦٦٤/٧).

(٢) البينة : ٥ .

(٣) الزمر : ٢ .

(٤) الإيمان لابن منده (١/٣٢٧-٣٢٨).

(٥) سير أعلام النبلاء (٣٩/١٤).

يجوز ، وكذلك لا يجوز أن يقال : الإيمان والإقرار والقراءة والتلفظ بالقرآن غير مخلوق ، فإن الله خلق العباد وأعمالهم ، والإيمان : قول وعمل ، والقراءة والتلفظ من كسب القارئ ، والمقروء الملفوظ هو كلام الله ووحيه وتنزيله وهو غير مخلوق ، وكذا كلمة الإيمان وهي قول : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » داخلة في القرآن ، وما كان من القرآن فليس بمخلوق ، والتكلم بها من فعلنا ، وأفعالنا مخلوقة .

ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفوراً له ؛ قمنا عليه وبدعناه وهجرناه ، لما سلم معنا لا ابن نصر ، ولا ابن منده ، ولا من هو أكبر منهما ، والله هو هادي الخلق ، وهو أرحم الراحمين ، فنعوذ بالله من الهوى والفضاضة^(١) .

ومثلما ابتلي الإمام ابن نصر بسبب سوء فهم مراده ، ابتلي الإمام محمد ابن إسماعيل البخاري رحمه الله ، ويذكر ذلك إمامنا ابن نصر حيث يقول عند ذكر الإمام محمد بن إسماعيل البخاري : « سمعته يقول : من زعم أنني قلت : لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإنني لم أقله ، فقلت له : يا أبا عبدالله ، قد خاض الناس في هذا وأكثروا فيه ، فقال : ليس إلا ما أقول وأحكي لك عنه .

قال أبو عمرو الخفاف : فأتيت محمد بن إسماعيل فناظرته في شيء من الحديث حتى طابت نفسه ، فقلت له : يا أبا عبد الله ها هنا رجل يحكي عنك أنك قلت هذه المقالة ؟ فقال لي : يا أبا عمرو ، احفظ ما أقول : من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والمدينة ومكة

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/٣٩-٤٠) .

والبصرة أنني قلت : لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب ، فإنني لم أقل هذه المقالة ، إلا أنني قلت : أفعال العباد مخلوقة»^(١) .

وبهذا يظهر أن مراد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري والإمام ابن نصر أن أفعال العباد مخلوقة ، وأما كلام الله تعالى وصفاته فهي ليست بمخلوقة .



(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/٣٥٩).

الفصل الثالث الإيمان والإسلام

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : الإيمان والإسلام وما بينهما من عموم
وخصوص، مع بيان لقول ابن نصر في
المسألة.

المبحث الثاني : أدلة الطائفة الأولى التي فرقت بين
الإيمان والإسلام كما ذكرها ابن نصر.

المبحث الثالث : أقوال وأدلة الطائفة الثانية التي
فرقت بين الإيمان والإسلام.

المبحث الرابع : قول الطائفة الثالثة التي قالت بأنحاد
الإيمان والإسلام.

المبحث الخامس : رد الإمام ابن نصر على من قال بتغيير
الإيمان والإسلام.

المبحث السادس : رد العلماء على ابن نصر في قوله بأنحاد
الإيمان والإسلام، وبيان القول الراجح.

المبحث الأول

الإيمان والإسلام

وما بينهما من عموم وخصوص، مع بيان لقول ابن نصر في المسألة

اختلف علماء الإسلام قديماً وحديثاً في مسألة الإيمان والإسلام، من حيث عمومها وخصوصها، وصنفوا فيها الكتب والمقالات.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم وأحاديث نبينا الكريم ﷺ يجد أن لفظ الإسلام والإيمان وردا بمعنى واحد، يدل كل واحد منهما على مسمى الآخر، فيسمى الإسلام إيماناً، ويسمى الإيمان إسلاماً. وورد هذان المصطلحان بألفاظ يدل كل واحد منهما على معنى مخالف لما دل عليه الآخر حيث يجتمع اللفظان، والأصل في هذا حديث جبريل عليه السلام؛ حيث وردت فيه المصطلحات الثلاثة الآتية:

١ - الإسلام.

٢ - الإيمان.

٣ - الإحسان.

ولابد من معرفة دلالات الألفاظ الثلاثة لأن هذا من أنفع الأمور. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً، وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة، كثر فيها نزاع

الناس، من جملتها مسألة الإيمان والإسلام، فإن النزاع في مسماها أول اختلاف افتقرت الأمة لأجله، وصاروا مختلفين في الكتاب والسنة، وكفر بعضهم بعضاً، وقاتل بعضهم بعضاً»^(١).

ويقرر ابن رجب أصلاً عظيماً مفيداً في هذه المسألة فيقول: «إن من الأسماء ما يكون شاملاً لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره، صار دالاً على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دال عليها باقيةا... فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قورن بينهما دل أحدهما على ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي»^(٢).

لفظ الإسلام لغة: الانقياد والإذعان.

أما في الشرع فلا إطلاقه حالتان*:

الحالة الأولى:

أن يطلق على الأفراد، غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يشمل الدين كله.

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (١٦٩/٧).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٩.

* قال الراغب الأصفهاني: «الإسلام في الشرع على ضربين:

أحدهما: دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم، حصل معه الاعتقاد أولم يحصل، وإياه قصد تعالى بقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾.

والثاني: فوق الإيمان، وهو أن يكون مع الاعتراف باعتقاد القلب، ووفاء بالفعل، واستسلام لله في جميع ما قضى وقدر» المفردات ص ٤٢٣.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (١).

وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» (٣).

الحالة الثانية:

أن يطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حيثُذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (٤)، وقوله ﷺ لما قال له سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً، فقال ﷺ: «أو مسلم» (٥).

أما المرتبة الثانية من مراتب الدين هي: الإيمان:

والإيمان لغة: التصديق، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا﴾ (٦).

أما في الشرع فلا إطلاقه حالتان:

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) رواه مسلم (١/١٣٠) ح (١٤٥) - كتاب الإيمان - باب أن الإسلام بدأ غريباً... إلخ، والترمذي (١٩/٥) ح (٢٦٢٩) - كتاب الإيمان - باب (١٣)، وأحمد في مسنده (٧٣/٤).

(٤) الحجرات: ١٤.

(٥) رواه البخاري (١٨/١) ح (٢٧) - كتاب الإيمان - باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، ومسلم (١/١٣٢) ح (١٥٠) - كتاب الإيمان - باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه.

(٦) يوسف: ١٧.

الحالة الأولى :

أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام، ويراد به الدين كله، كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ...﴾^(١) الآيات، وكقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ...﴾^(٢)، وقول النبي ﷺ لوفد عبد القيس^(٣): «أمركم بالإيمان بالله وحده، قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده...»^(٤) الحديث.

الحالة الثانية :

أن يطلق مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾^(٥) الآية^(٦).

(١) المؤمنون: الآيات الأولى.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) قال الإمام النووي رحمه الله: «قال صاحب التحرير: الوفد: الجماعة المختارة من القوم، لتقدمهم في لقاء العظماء، والمصير إليهم في المهمات، واحدهم وافد. قال: ووفد عبد القيس هؤلاء تقدموا قبائل عبد القيس للمهاجرة إلى رسول الله ﷺ، وكانوا أربعة عشر ركباً؛ الأشج العصوي رئيسهم... قال القاضي عياض رحمه الله: وكانت وفادة عبد القيس عام الفتح، قبل خروج النبي ﷺ إلى مكة». شرح صحيح مسلم (١٨١/١ - ١٨٤).

(٤) رواه البخاري (٢٩/١) ح (٥٣) - كتاب الإيمان - باب أداء الخمس في الإيمان، ومسلم (٤٦/١) ح (١٧) - كتاب الإيمان - باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله... إلخ.

(٥) النساء: ٥٧.

(٦) انظر: الإيمان لابن تيمية (١٦٢/٧)، وشرح العقيدة الطحاوية (٤٨٧/٢)، ومعارج القبول للحكيمي (٥٩٥/٢)، تعليق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر دار ابن القيم - الدمام - ط. الأولى - ١٤١٠هـ.

فهذه ألفاظ الإسلام والإيمان وما تدل عليه، سواء عند ترادفها أو افتراقها، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سبب كثرة نزاع الناس في مسمى الإيمان والإسلام؛ وذلك لـ «كثرة ذكرهما، وكثرة كلام الناس فيهما، والاسم كلما كثر التكلم فيه، فتكلم به مطلقاً، ومقيداً بقيد، ومقيد بقيد آخر في موضع آخر، كان هذا سبباً لاشتباه بعض معناه.

ثم كلما كثر سماعه كثر من يشتبه عليه ذلك، ومن أسباب ذلك أن يسمع بعض الناس بعض موارد ولا يسمع بعضه، ويكون ما سمعه مقيداً بقيد أوجه اختصاصه بمعنى، فيظن معناه في سائر موارد كذلك؛ فمن اتسع^(١) علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة، وعلم مأخذ الشبه، أعطى كل ذي حق حقه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه، وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف أضعاف ما تنازعوا فيه^(٢).

بل إن الإمام الخطابي رحمه الله عد هذه المسألة من أكثر المسائل التي غلط فيها الناس، فيقول: «ما أكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة... وقد تكلم في هذا الباب رجلا من كبراء أهل العلم، وصار كل واحد منهما إلى مقالة من هاتين المقالتين^(٣)، ورد الآخر منهما على المتقدم، وصنف عليه كتاباً يبلغ عدد أوراقه المائتين^(٤)».

(١) في الأصل (اتبع)، والتصحيح من النسخة التي حققها د. محمود حسن الشيباني.

(٢) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى الكبرى (٧/٣٥٦-٣٥٧).

(٣) أي اتحاد الإيمان والإسلام أو عدم اتحادهما.

(٤) معالم السنن (٤/٢٩٠-٢٩١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقاً على كلام الخطابي المتقدم: «الرجلان اللذان أشار إليهما الخطابي أظن أحدهما - وهو السابق - محمد بن نصر؛ فإنه الذي علمته بسط الكلام في أن الإيمان والإسلام شيء واحد، من أهل السنة والحديث، وما علمت لغيره قبله بسطاً في هذا، والآخر الذي رد عليه أظنه... (١)، لكن لم أقف على رده» (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً: «وللناس في الإسلام والإيمان من الكلام الكثير مختلفين تارة ومتفقين أخرى، ما يحتاج الناس معه إلى معرفة الحق في ذلك، وهذا يكون بأن تبين الأصول المعلومة المتفق عليها، ثم بذلك يتوصل إلى معرفة الحقيقة المتنازع عليها» (٣).

ولما كان الإمام ابن نصر في هذه المسألة مخالفاً لمذهب الجمهور فإنني سأبسط القول فيه، وأبدأ بذكر أقوال الطائفة الأولى والثانية التي ذهبت إلى تغاير الإيمان والإسلام، وذلك من خلال ذكر ابن نصر لأدلتهم ورده عليها، وإليك بيان ذلك.

فقد بسط الإمام ابن نصر الكلام في مسألة الإيمان والإسلام، وقال إنهما شيء واحد لا فرق بينهما، وذلك في كتابه «تعظيم قدر الصلاة»، حتى قال ابن تيمية: «وما عملت لغيره قبله بسطاً في هذا» (٤).

(١) بياض بالأصل، وكذلك في طبعة المكتب الإسلامي، وفي الطبعة التي حققها د. محمود الشيباني.

(٢) الإيمان: ضمن مجموع الفتاوى (٣٥٩/٧).

(٣) الإيمان الأوسط، ضمن مجموع الفتاوى (٤٦١/٧).

(٤) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٤٦١/٧).

وقد ذكر رحمه الله ثلاثة أقوال للعلماء في الإيمان والإسلام وما بينهما من عموم وخصوص وذلك عند قوله: «اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١)»^(٢).

فذكر أن الطائفة الأولى: ذهبت إلى أن معنى الحديث: «إنما أراد النبي ﷺ إزالة اسم الإيمان عنه من غير أن يخرج من الإسلام ولا يزيل عنه اسمه، وفرقوا بين الإيمان والإسلام، وقالوا: إذا زنى فليس بمؤمن وهو مسلم»^(٣).

أما الطائفة الثانية فيقول عنها:

«وقالت طائفة أخرى أيضاً من أصحاب الحديث بمثل مقالة هؤلاء، إلا أنهم سموه مسلماً لخروجه من ملل الكفر والإقرار بالله وبما قال، ولم يسموه مؤمناً.

وزعموا أنه مع تسميتهم إياه بالإسلام كافر، لا كافر بالله، ولكن كافر من طريق العمل، وقالوا: كفر لا ينقل من الملة، وقالوا: محال أن يقول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» والكفر ضد الإيمان، إلا واسم الكفر لازم له؛ لأن الكفر ضد الإيمان»^(٤).

فهاتان الطائفتان قالت بالفرق بين الإيمان والإسلام على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما.

(١) رواه البخاري (٨٧٥/٢) ح (٢٣٤٣) - كتاب المظالم - باب النهي بغير إذن صاحبه، ومسلم

(٢) ح (٧٦/١) ح (٥٧) - كتاب الإيمان - باب نقص الإيمان بالمعاصي . . . إلخ.

(٣) الصلاة (٥٠٦/٢).

(٤) الصلاة (٥٠٦/٢).

(٤) الصلاة (٥١٧/٢).

الطائفة الثالثة :

وهي التي ارتأها ابن نصر ورجحها واحتج لها، ورد على من خالفها، وذكر أنها قوا، الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث؛ حيث يقول: «وقالت طائفة ثالثة وهم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث: الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه، وهو ضد الكفر الذي سخطه»^(١).

وذكر ابن نصر أن من فرق بين الإيمان والإسلام قال في حديث جبريل: «أن النبي ﷺ إنما أراد بقوله لجبريل صلوات الله عليه: «الإيمان ان تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله» الإيمان الكامل.

وقوله: « فإذا فعلت ذلك فقد آمنت »^(٢) يريد استكملت الإيمان المفترض كله.

قالوا: وذلك لا يكون إلا بأداء الفرائض، واجتناب المحارم... قالوا: الإسلام هو الخصال التي ذكرت في حديث جبريل، وجعلوا الإيمان فوق الإسلام»^(٣).

وذكر عن الثائلين بالترادف أنهم قالوا: « إن مراد النبي ﷺ بقوله: «ان تؤمن بالله» كمال الإيمان، ولكنه أراد الدخول في الإيمان الذي يخرج به من ملل الكفر، ويلزم من أتى به اسم الإيمان وحكمه، من غير استكمال منه

(١) الصلاة (٢/٥٢٩ - ٥٣٠).

(٢) جزء من حديث جبريل العظيم، وقد تقدم تخريجه ص ١١٦.

(٣) الصلاة (٢/٦٩٤).

للإيمان كله ، وهو التصديق الذي عنه يكون سائر الأعمال .

فقالوا: قال الله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (١) .

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٢) .

وقال: ﴿وَرَضِيَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) .

قالوا: فالإسلام الذي رضيه الله هو الإيمان ، والإيمان هو الإسلام بقوله:

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٤) .

فلو كان الإيمان غير الإسلام لكان من دان الله بالإيمان غير مقبول منه» (٥) .



(١) آل عمران: ١٩ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

(٣) المائدة: ٣ .

(٤) آل عمران: ٨٥ .

(٥) الصلاة (٢/٦٩٤-٦٩٥) .

المبحث الثاني

أدلة الطائفة الأولى

التي فرقت بين الإيمان والإسلام كما ذكرها ابن نصر

أولاً:

« احتجوا لتفريقهم بين الإيمان والإسلام بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾^(١) .

فقالوا: الإيمان خاص يثبت الاسم به بالعمل بالتوحيد، والإسلام عام يثبت الاسم بالتوحيد، والخروج من ملل الكفر^(٢) .

ثانياً :

احتجوا بقول إبراهيم النخعي في الآية والذي رواه ابن نصر بسنده عن المغيرة^(٣) قال : أتيت إبراهيم النخعي ، فقلت : إن رجلاً خاصمني يقال له : سعيد العنزي ، فقال إبراهيم ليس بالعنزي ، ولكنه زيدي^(٤) ، قوله : ﴿ قَالَتِ

(١) الحجرات : ١٤ .

(٢) الصلاة (٥٠٦/٢) .

(٣) مغيرة بن مقسم الضبي مولا هم ، أبو هاشم الكوفي الأعمى ، ثقة متقن ، إلا أنه كان يدلس ولا سيما عن إبراهيم . مات (١٣٦هـ) .

التقريب (ص/٥٤٣) (٦٨٥١) ، التهذيب (١٠/٢٤١-٢٤٢) .

(٤) سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي ، أبو شيبة الكوفي ، قاضي الري ، مقبول . (ت ١٥٦هـ) .

التقريب (ص/٢٣٨) (٢٣٥١) ، التهذيب (٤/٥٠-٥١) (٩٥) .

الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴿(١)﴾ .

فقالوا: هو الاستسلام، فقال إبراهيم: لا، هو الإسلام^(٢) .

ثالثاً :

احتجوا بـ « النظر، وذلك أن الله جعل اسم المؤمن ثناء وتزكية، ومدحه وأوجب عليه الجنة، فقال: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾^(٣) .

وقال: ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾^(٤) .

وقال: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾^(٥) .

وقال: ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾^(٦) .

وقال: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(٧) .

وقال: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾^(٨) ﴿(٩)﴾ .

(١) الحجرات: ١٤ .

(٢) الصلاة (٢/٥١٠)، والأثر رواه الطبري في تفسيره (٢٦/١٤٢) سورة الحجرات .

(٣) الأحزاب: ٤٣ - ٤٤ .

(٤) يونس: ٢ .

(٥) الحديد: ١٢ .

(٦) التحريم: ٨ .

(٧) البقرة: ٢٥٧ .

(٨) التوبة: ٧٢ .

(٩) الصلاة (٢/٥١٢ - ٥١٣) .

رابعاً :

ومع الآيات السابقة التي احتجوا بها على أن الله أوجب الجنة باسم الإيمان دون الإسلام، استدلوا بأن الله أوجب «النار على الكبائر فدل بذلك على أن اسم الإيمان زائل عن من أتى كبيرة.

قالوا: ولم نجد الله أوجب الجنة باسم الإسلام، فثبت أن اسم الإسلام ثابت على حاله، واسم الإيمان زائل عنه»^(١).

خامساً :

احتجوا بحديث سعد بن أبي وقاص^(٢) الذي رواه ابن نصر بسنده عنه «أن رسول الله ﷺ أعطى رجالاً ولم يعط رجلاً منهم شيئاً، فقلت: يا رسول الله، أعطيت فلاناً وفلاناً ولم تعط فلاناً وهو مؤمن، فقال النبي ﷺ: أو مسلم؟

حتى أعادها سعد ثلاثاً، والنبي يقول: أو مسلم؟ ثم قال: إني أعطي رجالاً وامنع آخرين، هم أحب إليّ منهم مخافة أن يكبوا على وجوههم في النار.

قال الزهري: فترى أن الإسلام الكلمة، والإيمان العمل»^(٣) «(٤).

(١) الصلاة (٢/٥١٣).

(٢) هو سعد بن مالك بن أميب - ويقال له: ابن وهيب - بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو إسحاق بن أبي وقاص، أحد العشرة وآخرهم موتاً، أول من رمى بسهم في سبيل الله ومناقبه كثيرة. مات سنة (٥٥هـ).

الإصابة (٢/٣٠) (٣١٩٤).

(٣) الصلاة (٢/٥٠٦-٥٠٧). والحديث تقدم تخريجه ص ٢٢٣.

(٤) قال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث:

« وقد استشكل هذا بالنظر إلى حديث سؤال جبريل، فإن ظاهره يخالفه، ويمكن أن يكون =

سادساً :

احتجوا بحديث أبي هريرة «يخرج من الإيمان ، فإن رجع إليه»^(١) .
وبما أشبه ذلك من الأخبار^(٢) .

سابعاً :

احتجوا بقول النبي ﷺ : « أسلم الناس ، وآمن عمرو بن العاص »^(٣) ، حيث

= مراد الزهري أن المرء يحكم بإسلامه ويسمى مسلماً إذا تلفظ بالكلمة أي : الشهادة ، وأنه لا يسمى مؤمناً إلا بالعمل ، والعمل يشمل عمل القلب والجوارح ، أو عمل الجوارح يدل على صدقه ، وأما الإسلام المذكور في حديث جبريل فهو الشرعي الكامل المراد بقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ آل عمران : ٨٥ . فتح الباري (١/١٠٣) . وقال حافظ الحكمي معلقاً على كلام الزهري : « وهذا عندي فيه نظر ، فإنه غير قيم المبني ، ولا واضح المعنى ، والزهري إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا . وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف ، فإن صح النقل عنه ففي الكلام تصحيف وإسقاط لعل الصواب فيه هكذا : « الإسلام الكلمة والإيمان والعمل » ، فسقطت الواو العاطفة للمعمل على الإيمان ، وهذا متعين لموافقة قول أهل السنة قاطبة إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل ، والزهري من أكبر أئمتهم » معارج القبول (٢/٦٠٥) .

(١) نص الحديث : « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان ، وكان عليه كالظلة ، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان » . وهذا الحديث رواه أبو داود (٤/٤١٠) ح (٤٦٩٠) - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، والترمذي تعليقاً في السنن (٥/١٧) - كتاب الإيمان - باب ما جاء لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، والحاكم في المستدرک (١/٢٢) - كتاب الإيمان ، وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(٢) الصلاة (٢/٥٠٩) .

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي ، الصحابي المشهور ، أسلم عام الحديبية ، ولي أمر مصر ، وهو الذي فتحها ، ومات بها سنة (٤٤٣هـ) .

التقريب (ص/٤٢٣) (٥٠٥٣) ، الإصابة لابن حجر (٢/٣) (٥٨٨٤) .

روى ابن نصر بسنده عن عقبة بن عامر الجهني^(١) أن النبي ﷺ قال: «أسلم الناس، وآمن عمرو بن العاص»^(٢).

ثامناً:

احتجوا بإنكار عبد الله بن مسعود على من شهد لنفسه بالإيمان فقال: «أنا مؤمن»، من غير استثناء، وكذلك أصحابه من بعده، وجل علماء الكوفة على ذلك^(٣).

تاسعاً:

احتجوا «بما روي عن حماد بن زيد^(٤)، قال: سمعت هشاماً^(٥) يقول:

(١) هو عقبة بن عامر بن عيس بن عمرو بن عدي بن عمر بن رفاعة بن رشدان بن قيس بن جهينة الجهني، الصحابي المشهور، روى عن النبي ﷺ كثيراً، روى عنه جماعة من الصحابة والتابعين، ولي أمر مصر من قبل معاوية. مات سنة (٥٨هـ). الإصابة (٤٨٢/٢) (٥٦٠٣).

(٢) الصلاة (٥١١/٣).

الحديث رواه الترمذي (٦٤٥/٥) ح (٣٨٤٤) - كتاب المناقب - باب مناقب لعمر بن العاص - باب (٤٩)، والإمام أحمد في مسنده (٤/١٥٥)، والطبراني في المعجم الكبير (١٧/٣٠٦ - ٣٠٧) ح (٨٤٥).

(٣) الصلاة (٥٠٩/٢).

والأثر رواه الطبري في تهذيب الآثار (٦٦٨/٢ - ٦٧٠).

(٤) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي، الجهمي أبو إسماعيل البصري، ثقة ثبت، فقيه، قيل إنه كان ضريباً، ولعله طراً عليه، لأنه صح أنه يكتب، من كبار الثانية. مات سنة (١٧٩هـ). التقريب (ص/١٧٨) (١٤٩٨)، التهذيب (٩/٣ - ١١) (١٣).

(٥) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي أبو المنذر، وقيل: أبو عبد الله، ثقة فقيه، ربما دلس، من الخامسة. مات (١٤٥هـ)، وقيل: (١٤٦هـ).

التقريب (ص/٥٧٣) (٧٣٠٢)، التهذيب (١١/٤٤ - ٤٦) (٨٩).

كان الحسن ومحمد بن سيرين^(١) أنهما كانا يقولان: «مسلم»، ويهابان «مؤمن»^(٢).

عاشراً:

احتجوا بقول أبي جعفر محمد بن علي بن حسين^(٣) الذي رواه ابن نصر بسنده: «أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن».

فقال أبو جعفر: هذا الإسلام، ودور دارة واسعة، وقال: هذا الإيمان، ودور دارة صغيرة في وسط الكبيرة.

قال: والإيمان مقصور في الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلا الكفر بالله^(٤).

(١) هو محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم أبو بكر بن أبي عمرة البصري، إمام وقته، ثقة ثبت عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة. مات سنة (١١٠هـ).

التقريب (ص/٤٨٣) (٥٩٤٧)، التهذيب (٩/١٩٠-١٩٢) (٣٣٨).

(٢) الصلاة (٢/٥١١).

والأثر رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٣٢٢)، ح (٦٥٨)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٨١٥) ح (١٥٠١).

(٣) هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو جعفر الباقر، أمه بنت الحسن بن علي بن أبي طالب. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث وليس يروي عنه من يحتج به، وقال العجلي: مدني تابعي ثقة. مات سنة بضعة عشر ومائة للهجرة.

التقريب (ص/٤٩٧) (٦١٥١)، التهذيب (٩/٣١١-٣١٣) (٥٨٢).

(٤) الصلاة (٢/٥٠٩-٥١٠).

والأثر رواه الأجزري في الشريعة (ص/١١٣) - باب ذكر ما يدل على زيادة الإيمان ونقصانه وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٣٤٢) ح (٧٢٥).

الحادي عشر :

احتجوا بما قاله أبو سلمة (الخزاعي)^(١) ، حيث ذكر ابن نصر أنه قال :
«قال مالك ، وشريك^(٢) ، وأبو بكر بن عياش^(٣) ، وعبد العزيز^(٤) ، وحماد
ابن سلمة^(٥) ، وحماد بن زيد : الإيمان المعرفة ، والإقرار العمل ، إلا أن حماد

(١) هو منصور بن سلمة بن عبد العزيز بن صالح أبو سلمة الخزاعي ، الحافظ البغدادي ، ثقة ثبت حافظ ، من كبار العاشرة . مات سنة (٢١٠هـ) على الصحيح .

وفي المطبوع أبو سلمة الحراني ، والتصحيح من النسخة التي حققها د . الريش .

التقريب (٢/٥٤٧) (٦٩٠١) ، التهذيب (١٠/٢٧٣-٢٧٤) (٥٣٩) .

(٢) هو شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي أبو عبد الله الكوفي القاضي ، صدوق يخطئ كثيراً ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان عادلاً فاضلاً عابداً ، شديداً على أهل البدع من الثامنة . قال الأزدي : كان صدوقاً ، إلا أنه مائل عن القصد ، غالي المذهب ، سيئ الحفظ ، كثير الوهم ، مضطرب الحديث . مات سنة (١٧٧هـ) .

التقريب (ص/٢٦٦) (٢٧٨٧) ، التهذيب (٤/٢٩٣-٢٩٦) (٥٨٧) .

(٣) هو أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الخياط المقرئ ، مشهور بكنيته ، والأصح أنها اسمه ، ثقة عابد ، إلا أنه لما كبر ساء حفظه ، وكتابه صحيح ، من السابعة . مات سنة (١٩٤هـ) ، وقيل قبلها بستين .

التقريب (ص/٦٢٤) (٧٩٨٥) ، التهذيب (١٢/٣٧-٤٠) (١٥١) .

(٤) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون المدني نزيل بغداد مولى آل الهدير ، ثقة فقيه ، مصنف من السابعة . مات سنة (١٦٤هـ) .

التقريب (ص/٣٥٧) (٤١٠٤) ، التهذيب (٦/٣٠٦-٣٠٧) (٦٦٣) .

(٥) هو حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة مولى تميم ، ثقة عابد ، أثبت الناس في ثابت البناني ، تغير حفظه بآخره . قال ابن عدي : وحماد من أجلة المسلمين وهو مفتي البصرة .

مات سنة (١٦٧هـ) .

التقريب (ص/١٧٨) (١٤٩٩) ، التهذيب (٣/١١-١٤) (١٤) .

ابن زيد يفرق بين الإيمان والإسلام، يجعل الإيمان خاصاً والإسلام عاماً.
قالوا: فلنا في هؤلاء أسوة وبهم قدوة»^(١).



(١) الصلاة (٥١٢/٢).

والأثر رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٣١١/١)، ح (٦١٢)، واللالكائي في شرح
أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨١٤/٤) ح (١٤٩٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى
(٨٠٦/٢)، ح (١٠٩٦).

المبحث الثالث

أقوال وأدلة الطائفة الثانية

التي فرقت بين الإيمان والإسلام

ذكر الإمام ابن نصر أقوال وأدلة الطائفة الثانية التي فرقت بين الإيمان والإسلام، وهو قريب من قول الطائفة الأولى، إلا «أنهم سموه مسلماً لخروجه من ملل الكفر، ولإقراره بالله وبما قال، ولم يسموه مؤمناً، وزعموا أنه مع تسميتهم إياه بالإسلام كافر، لا كافر بالله، ولكن كافر من طريق العمل، وقالوا: كفر لا ينقله عن الملة.

وقالوا: محال أن يقول النبي ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١)، والكفر ضد الإيمان؛ فلا يزول عنه اسم الإيمان إلا واسم الكفر لازم له؛ لأن الكفر ضد لأصل الإيمان.

إلا أن الكفر كفران: كفر هو جحد بالله وبما قال؛ فذلك ضده الإقرار بالله والتصديق به وبما قال.

وكفر هو عمل ضد الإيمان الذي هو عمل، ألا ترى ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: « لا يؤمن من لا يامن جاره بوائقه»^(٢)، فإذا لم يؤمن فقد كفر ولا

(١) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٣١.

(٢) روى البخاري نحوه (٥/٢٢٤٠) ح (٥٦٧٠) - كتاب الأدب - باب إثم من لا يامن جاره بوائقه، وأحمد في المسند (٢/٢٨٨)، (٤/٣١)، والحاكم في المستدرک (١/١٠).

يجوز غير ذلك، إلا أنه كفر من جهة العمل؛ إذ لم يؤمن من جهة العمل؛ لأنه لا يضيع المفترض عليه ويركب الكبائر إلا من قلة خوفه، وإنما يقل خوفه من قلة تعظيمه لله ووعيده، فقد ترك من الإيمان التعظيم الذي صدر عنه الخوف، والورع من الخوف، فأقسم النبي ﷺ أنه: « لا يؤمن إذا لم يامن جاره بوائقه»^(١).

ثم قد روى جماعة عن النبي ﷺ أنه قال: «قتال المسلم كفر»^(٢)، وأنه قال: «إذا قال المسلم لأخيه: يا كافر، ولم يكن كذلك؛ فقد باء بالكفر»^(٣).
فقد سماه النبي ﷺ بقتاله أخاه كافرأ، وبقوله له: يا كافر، كافرأ، وهذه الكلمة دون الزنا والسرقة وشرب الخمر»^(٤).

ثم إنهم ردوا على من احتج عليهم على إطلاق كلمة الكفر على مرتكب الكبيرة وقال: «إنا إذا سمينا كافرأ، لزمنا أن نحكم عليه بحكم الكافرين بالله، فنستتبه ونبطل الحدود عنه، لأنه إذا كفر فقد زالت عنه أحكام المؤمنين وحدودهم، وفي ذلك إسقاط الحدود وأحكام المؤمنين عن كل من أتى كبيرة»^(٥).

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) رواه الترمذي (٢٢/٥) ح (٢٦٣٤) - كتاب الإيمان - باب ما جاء سباب المؤمن فسوق وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٧/١٢١) - كتاب تحريم الدم، والإمام أحمد في مسنده (٤١٧، ١٧٨/١).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٢٦٣) ح (٥٧٥٢) - كتاب الأدب - باب من كفر أخاه بغير تأويل، ومسلم (١/٧٩) ح (٦٠) - كتاب الإيمان - باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر.

(٤) الصلاة (٢/٥١٧-٥١٨).

(٥) الصلاة (٢/٥١٨-٥١٩).

فردوا عليهم بأن قالوا: «فإننا لم نذهب في ذلك إلى حيث ذهبوا، ولكننا نقول: للإيمان أصل وفرع، وضد الإيمان الكفر في كل معنى.

فأصل الإيمان: الإقرار والتصديق، وفرعه إكمال العمل بالقلب والبدن، ف ضد الإقرار والتصديق الذي هو أصل الإيمان: الكفر بالله وبما قال، وترك التصديق به وله.

و ضد الإيمان الذي هو عمل، وليس هو إقرار، كفر ليس بكفر بالله ينقل عن الملة، ولكن كفر يضيع العمل كما كان العمل إيماناً، وليس هو الإيمان الذي هو إقرار بالله.

فكما كان من ترك الإيمان الذي هو إقرار بالله كافراً يستتاب، ومن ترك الإيمان الذي هو عمل مثل الزكاة والحج والصوم، أو ترك الورع عن شرب الخمر والزنا؛ فقد زال عنه بعض الإيمان، ولا يجب أن يستتاب عندنا، ولا عند من خالفنا من أهل السنة، وأهل البدع ممن قال: إن الإيمان تصديق وعمل، إلا الخوارج وحدها. ف كذلك لا يجب بقولنا: كافر من جهة العمل أن يستتاب، ولا يزال عنه الحدود.

وكما لم يكن بزوال الإيمان الذي هو عمل استتابته، ولا إزالة الحدود عنه؛ إذ لم يزل أصل الإيمان عنه، ف كذلك لا يجب علينا استتابته وإزالة الحدود والأحكام عنه، بإثباتنا له اسم الكفر من قبل العمل؛ إذ لم يأت بأصل الكفر الذي هو جحد بالله أو بما قال^(١).

ومما اعتمدوا عليه في إطلاق كلمة الكفر على مرتكب الكبيرة ما يلي:

(١) الصلاة (٢/٥١٩).

أولاً:

قالوا: «ولما كان العلم بالله إيماناً، والجهل به كفرًا، وكان العمل بالفرائض إيماناً، والجهل بها قبل نزولها ليس بكفر، وبعد نزولها من لم يعملها ليس بكفر؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ قد أقرؤا بالله في أول ما بعث الله رسوله ﷺ إليهم، ولم يعملوا الفرائض التي افترضت عليهم بعد ذلك، فلم يكن جهلهم ذلك كفرًا، ثم أنزل الله عليهم الفرائض، فكان إقرارهم بها والقيام بها إيماناً، وإنما يكفر من جحدتها لتكذيبه خبر الله، ولو لم يأت خبر من الله ما كان بجهلها كفرًا، وبعد مجيء الخبر من لم يسمع بالخبر من المسلمين لم يكن بجهلها كفرًا، والجهل بالله في كل حال كفر قبل الخبر وبعد الخبر.

فمن ثم قلنا إن ترك التصديق بالله كفر به، وإن ترك الفرائض مع تصديق الله أنه أوجبها كفر، ليس بكفر بالله، إنما هو كفر من جهة ترك الحق كما يقول القائل: كفرتني حقي ونعمتي، يريد ضيعت حقي، وضيعت شكر نعمتي»^(١).

ثانياً:

قالوا: «ولنا في هذا قدوة بمن روي عنهم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين؛ إذ جعلوا للكفر فروعاً، دون أصله، لا تنقل صاحبه عن ملة الإسلام، كما أثبتوا للإيمان من جهة العمل فرعاً للأصل، لا ينقل تركه عن ملة الإسلام، من ذلك قول ابن عباس في قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)»^(٣).

(١) الصلاة (٢/٥٢٠).

(٢) المائدة: ٤٤.

(٣) الصلاة (٢/٥٢٠).

واستدلوا بأقوال الصحابة والتابعين التالية التي يتضح من خلالها انقسام الكفر إلى كفرين:

١ - روى ابن نصر بسنده عن ابن عباس ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(١) ، قال: «ليس بالكفر الذي يذهبون إليه»^(٢) .

٢ - وروى بسنده عن ابن طاوس^(٣) عن أبيه قال: سئل ابن عباس عن قوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) ، قال: «هي به كفر. قال ابن طاوس: وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله»^(٥) .

٣ - وروى بسنده عن ابن عباس قال: «كفر لا ينقل عن الملة»^(٦) .

٤ - وروى بسنده عن طاوس قال: «ليس بكفر ينقل عن الملة»^(٧) .

(١) المائة: ٤٤ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٣١٣/٢) - كتاب التفسير - سورة المائدة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما ذكره ابن كثير في تفسيره لسورة المائدة (٥٨/٢)، وقال الألباني: هذا إسناد صحيح. الإيمان لابن تيمية ص ٣٠٩ - ط. المكتب الإسلامي.

(٣) هو عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني، أبو محمد الأبنائي، ثقة فاضل عابد، كان من خيار عباد الله فضلاً ونسكاً ودينياً، من السادسة. مات سنة (١٣٢هـ).
التقريب (ص/٣٠٨) (٣٣٩٧)، التهذيب (٥/٢٣٤ - ٢٣٥) (٤٥٩).

(٤) المائة: ٤٤ .

(٥) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥٦/٦) سورة المائدة، وابن كثير في تفسيره (٥٨/٢) سورة المائدة، وقال الألباني: إسناده صحيح. الإيمان لابن تيمية ص ٣١٠ - ط. المكتب الإسلامي.

(٦) رواه الثوري في تفسيره ص ١٠١ ح (٢٤٣) سورة المائدة، والطبري في تفسيره (٢٥٦/٦) سورة المائدة.

(٧) رواه الطبري في تفسيره - سورة المائدة (٢٥٦/٦)، وابن كثير في تفسيره - سورة المائدة (٥٨/٢).

٥ - وروى بسنده عن عطاء قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق (١).

قالوا: وقد صدق عطاء، قد يسمى الكافر ظالماً، ويسمى العصاة من المسلمين ظالماً، فظلم ينقل عن ملة الإسلام، وظلم لا ينقل.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (٢)، وقال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٣).

٦ - وروى بسنده عن ابن مسعود قال: لما نزلت ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ قال رسول الله ﷺ: «ليس بذلك، الا تسمعون إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٤)؟».

٧ - وروى بسنده عن ابن عباس «أن عمر بن الخطاب كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ، فدخل ذات يوم فقراً، فأتى على هذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ (٥) إلى آخر الآية، فانتعل وأخذ رداءه، ثم أتى أبي بن كعب، فقال: يا أبا المنذر، أتيت قبل على هذه الآية ﴿الَّذِينَ

(١) رواه الطبري في تفسيره - سورة المائدة (٦/٢٥٦)، وابن كثير في تفسيره - سورة المائدة

(٢/٥٨)، والحاكم في مستدركه (٢/٣١٣) - كتاب التفسير - سورة المائدة.

(٢) الأنعام: ٨٢.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) لقمان: ١٣.

والحديث رواه البخاري (٤/١٧٩٣) ح (٤٤٩٨) - كتاب التفسير - سورة لقمان، ومسلم

(١١٤-١١٥) ح (١٢٤) - كتاب الإيمان - باب صدق الإيمان وإخلاصه.

(٥) الأنعام: ٨٢.

آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴿١﴾ ، وقد ترى أنا نظلم ونفعل؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا ليس بذلك، يقول الله: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١)، إنما ذلك الشرك» (٢) (٣).

ثالثاً:

وما اعتمدوا عليه أن الفسق ينقسم إلى فسقين:

«فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة، فيسمى الكافر فاسقاً، والفاسق من المسلمين فاسقاً، ذكر الله إبليس فقال: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ (٤)، وكان ذلك الفسق منه كفراً.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ (٥)، يريد الكفار، دل على ذلك قوله: ﴿كَلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٦).

وسمى القاذف من المسلمين فاسقاً، ولم يخرج من الإسلام، قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٧).

(١) لقمان: ١٣.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره - سورة الأنعام (٧/٢٥٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٣/٢٧)، وقال: رواه ابن المنذر والحاكم وابن مردويه.

(٣) الصلاة (٢/٥٢١-٥٢٥).

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) السجدة: ٢٠.

(٦) السجدة: ٢٠.

(٧) النور: ٤.

وقال الله: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ (١).

فقالت العلماء في تفسير الفسوق هاهنا: هي المعاصي.

فكما كان الظلم ظالمين والفسوق فسقين، كذلك الكفر كفران:

أحدهما ينقل عن الملة، والآخر لا ينقل عنها، فكذلك الشرك شركان:

شرك في التوحيد ينقل عن الملة، وشرك في العمل لا ينقل عن الملة، وهو الرياء؛ قال الله عز وجل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٢)، يريد بذلك المرءة بالأعمال الصالحة، وقال النبي ﷺ: «الطيرة شرك» (٣) «(٤).

ثم قال ابن نصر بعد سرده لأقوال وأدلة الطائفة الثانية من أهل السنة

القائلة بتغاير الإيمان والإسلام: «فهذان مذهبان هما في الجملة محكيان عن أحمد بن حنبل في موافقيه من أصحاب الحديث» (٥).

ثم حكى الإمام ابن نصر أقوال الإمام أحمد في الإيمان والإسلام منها:

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) الكهف: ١١٠.

(٣) رواه أبو داود (٢٣٠/٣) ح (٣٩١٠) - كتاب الطب - باب ما جاء في الطيرة، والترمذي

(٤/١٣٨) ح (١٦١٤) - كتاب السير - باب ما جاء في الطيرة، وقال: هذا حديث حسن

صحيح، وابن ماجه (١١٧٠/٢) ح (٣٥٣٨) - كتاب الطب - باب من كان يعجبه الفأل

ويكره الطيرة.

(٤) الصلاة (٥٢٦/٢ - ٥٢٧).

(٥) الصلاة (٥٢٧/٢).

١ - حكى الشالنجي إسماعيل بن سعيد^(١) أنه سأل أحمد بن حنبل عن المصر على الكبائر يطلبها بجهد، إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم، هل يكون مصرأ من كانت هذه حاله؟

قال: هو مصر مثل قوله: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ». يخرج من الإيمان، ويقع في الإسلام. ومن نحو قوله: « لا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ».

ومن نحو قول ابن عباس في قوله: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢)، فقلت له: ما هذا الكفر؟ قال: كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر، حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه^(٣).

٢ - وقال ابن أبي شيبة^(٤): لا يزني حين يزني وهو مؤمن، لا يكون مستكمل الإيمان، يكون ناقصاً من إيمانه^(٥).

(١) ذكره الخلال فقال: عنده مسائل كثيرة ما أحسب أحداً من أصحاب أبي عبد الله روى عنه أحسن مما روى هذا، وكان علماً بالري، كبير القدر.
طبقات الحنابلة (١/١٠٤)، المنهج الأحمد (١/٣٧٥).

(٢) المائة: ٤٤.

(٣) الإيمان لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٥٤).

(٤) هو عبيد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خواستي، الإمام العلم الحافظ، وصاحب الكتب الكبار: «المسند، والمصنف، والتفسير»، أبو بكر العبيسي مولا هم الكوفي. مات سنة (٢٣٥هـ).

تذكرة الحفاظ (٢/٤٣٢-٤٣٣)، سير أعلام النبلاء (١١/١٢٢-١٢٧).

(٥) الإيمان لابن أبي شيبة ص ٥٠، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، نشر دار الأرقم - الكويت، ضمن أربع رسائل - ط. بدون.

- ٣- قال: وسألت أحمد بن حنبل عن الإسلام والإيمان فقال: الإيمان قول وعمل، والإسلام إقرار، قال: وبه قال أبو خيثمة^(١) (٢).
- ٤- وقال ابن أبي شيبة: لا يكون الإسلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام، وإذا كان على المخاطبة، فقال: قد قبلت الإيمان فهو داخل في الإسلام، وإن قال: قد قبلت الإسلام فهو داخل في الإيمان^(٣).
- ٥- قال: وحكى الميموني عبد الملك بن عبد الحميد بن ميمون بن مهران أنه سأل أحمد بن حنبل عن رأيه في: مؤمن إن شاء الله.
فقال: أقول: مؤمن إن شاء الله، وأقول: مسلم ولا أستثني^(٤).
- ٦- وقال: قلت لأحمد: يفرق بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم، قلت له: بأي شيء تتحج؟ قال لي: قال الله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٥) (٦).
- ٧- وحكى غير هؤلاء أنه سأل أحمد عن قول النبي ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» فقال: من أي هذه الأربعة أو مثلهن أو فوقهن،

(١) هو زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة النسائي، نزيل بغداد، كان ثقة ثباتاً حافظاً متقناً، روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث. مات سنة ٢٣٤هـ.

التقريب (ص/٢١٧) (٢٠٤٢)، التهذيب (٣/٢٩٦-٢٩٧) (٣٦٧).

(٢) رواه عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٣٠٧) ح (٥٩٩). باب سئل عن الإيمان والرد على المرجئة.

(٣) ذكره ابن تيمية في الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٥٤).

(٤) ذكره ابن تيمية في الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٥٣).

(٥) الحجرات: ١٤.

(٦) ذكره ابن تيمية في الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٥٤).

فهو مسلم ولا اسميه مؤمناً، ومن أتى دون ذلك - يريد دون الكبائر - سميته مؤمناً ناقص الإيمان^(١) (٢) .

ومن قال إن الإيمان والإسلام اسمان لمعنيين مختلفين سوى الإمام أحمد؛ جماعة من الصحابة والتابعين منهم: عبد الله بن عباس، والحسن البصري، وابن سيرين^(٣)، وحماد بن زيد، ومحمد بن عبد الرحمن بن ذئب^(٤)، ومالك^(٥)، وشريك^(٦)، وغيرهم.

ومن قال به من الأئمة الأعلام:

١ - ما قاله الإمام الخلال (ت ٣١١هـ) حيث عقد فصلاً في كتاب السنة بعنوان: «التفريق بين الإسلام والإيمان والحجة في ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة والتابعين»^(٧) .

ذكر فيه أقوال أهل العلم في التفريق بين الإيمان والإسلام.

٢ - وقال ابن بطة (ت ٣٨٧هـ): «يعلم أن الإسلام معناه غير الإيمان،

(١) ذكره ابن تيمية في الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٥٤).

(٢) الصلاة (٢/٥٢٧-٥٢٩).

(٣) الإيمان لابن منده (١/٣١١).

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب القرشي العامري، أبو الحارث المدني، ثقة فقيه فاضل، كان من أروع الناس وأفضلهم، وكانوا يرمونه بالقدر، وما كان قدراً. مات سنة (١٥٨هـ)، وقيل (١٥٩هـ).

التقريب (ص/٤٩٣) (٦٠٨٢)، التهذيب (٩/٢٧٠-٢٧٢) (٥٠٥).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكافي (٤/٨١٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٧/٣٦٩).

(٧) السنة ص ٦٠٢، تحقيق: د. عطية الزهراني، نشر دار الراجعية - الرياض - الأولى - ١٤١٠هـ.

- فالإسلام اسم ومعناه الملة، والإيمان اسم ومعناه التصديق^(١).
- ٣ - وقال أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ): «المسلم قد يكون مؤمناً في بعض الأحوال، وقد لا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمن مسلم في جميع الأحوال، لأن أصل الإسلام: الاستسلام والانقياد، وأصل الإيمان: التصديق، وقد يكون المرء مستمسكاً في الظاهر غير منقاد في الباطن، ولا يكون صادق الباطن غير منقاد في الظاهر، فإذا كل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً^(٢).
- ٤ - ومثلاً عقد الخلال فصلاً في كتابه السنة عقد الإمام اللالكائي (ت ٤١٨هـ)^(٣) فصلاً في كتابه شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة بعنوان: «سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن الإسلام أعم من الإيمان، والإيمان أخص منه»^(٤).
- ٥ - وقال أبو يعلى (ت ٤٥٨هـ) إن «الإيمان مقصور في الإسلام، فإذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام»^(٥).
- ٦ - وإلى هذا ذهب الإمام أبو القاسم الأصبهاني (ت ٥٣٥هـ) حيث يقول:

(١) الإبانة الصغرى ص ١٨٢.

(٢) معالم السنن (٤/٢٩١).

(٣) هو أبو بكر القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الشافعي اللالكائي، مفيد بغداد في وقته، له عدة كتب من أهمها شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، حققه الدكتور أحمد سعد حمدان. مات سنة (٤١٨هـ).

سير أعلام النبلاء (١٧/٤١٩)، شذرات الذهب (٣/٢١١).

(٤) (٤/٨١٢).

(٥) مسائل الإيمان ص ٣٢١.

«والإيمان والإسلام اسمان لمعنيين، فالإسلام عبارة عن الشهادتين مع التصديق بالقلب، والإيمان عبارة عن جميع الطاعات خلافاً لمن قال: الإسلام والإيمان سواء، إذا حصلت معه الطمأنينة، والدليل على الفرق بينهما قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١)، عطف الإيمان على الإسلام، والشيء لا يعطف على نفسه؛ فعلم أن الإيمان معنى زائد على الإسلام»^(٢).

٧- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) بعد ذكره لبعض العلماء الذين قالوا باختلاف الإيمان والإسلام: «ولا علمت أن أحداً من المتقدمين خالف هؤلاء فجعل نفس الإسلام نفس الإيمان، ولهذا كان عامة أهل السنة على هذا»^(٣).

٨- وقال ابن كثير رحمه الله (ت ٧٧٤هـ) عند تفسيره لآية الحجرات: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٤): «وقد استفيد من هذه الآية الكريمة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة... فقد فرق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام، وقد قررنا ذلك بأدلته في أول شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري، والله الحمد والمنة»^(٥).

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/٤٠٦-٤٠٧)، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، نشر دار الراجعية - الرياض - ط. الأولى - ١٤١١هـ.

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٥٩).

(٤) الحجرات: ١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/٢٢٠).

٩ - وذكر الإمام ابن رجب (ت ٧٩٥هـ) أن «اسم الإيمان ينفي عن من ترك شيئاً من واجباته كما في قوله: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»... وأما اسم الإسلام فلا ينتفي بانتفاء بعض واجباته، أو انتهاك بعض محرماته، وإنما ينفي بالإتيان بما ينافيه بالكلية»^(١) (٢).



(١) جامع العلوم والحكم ص ٤١.

(٢) وانظر أيضاً: فتح الباري (١/١٤١) لابن حجر، أضواء البيان للشنقيطي (٧/٦٣٦).

المبحث الرابع

قول الطائفة الثالثة

التي قالت بانحداد الإيمان والإسلام

بعدما ذكر ابن نصر قول الطائفتين من العلماء الذين فرقوا بين الإيمان والإسلام وذكر أدلتهم، شرع رحمه الله في ذكر أقوال وأدلة الطائفة الثالثة التي قالت إن الإيمان والإسلام سواء؛ لا فرق بينهما البتة.

وهذا المذهب اختاره ابن نصر وانتصر له أيما انتصار، وساق له أدلة عديدة من الكتاب والسنة وأقوال العلماء.

وذكر ابن نصر أن القائلين باتحاد الإيمان والإسلام «هم الجمهور الأعظم من أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث»^(١).

وقال أبو بكر الإسماعيلي^(٢) في «اعتقاد أئمة الحديث»: «وكثير منهم قالوا: الإسلام والإيمان واحد»^(٣).

«وقال أصحاب الشافعي وأصحاب أبي حنيفة إنهما اسمان معناهما

(١) الصلاة (٢/٥٢٩).

(٢) هو الإمام المحافظ الحجة الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني الإسماعيلي الشافعي صاحب الصحيح، قال الحاكم: كان الإسماعيلي واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم في الرئاسة والروعة والسخاء. مات سنة (٣٧١هـ). طبقات الشافعية الكبرى (٣/٧-٨)، سير أعلام النبلاء (١٦/٢٩٢-٢٩٦).

(٣) ص ٦٧، تحقيق: د. محمد عبد الرحمن خميس، نشر دار العاصمة - ط. الأولى - ١٤١٢هـ.

واحد»^(١)، وعلى هذا القول سار «أكثر أصحاب الإمام مالك رحمه الله»^(٢)،
وبه قال الأشاعرة^(٣) أيضاً^(٤).

ومن ذهب من علماء الإسلام غير ابن نصر إلى أن الإيمان والإسلام
لفظتان لمعنى واحد الإمام الجليل محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)؛
إذ يقول: «باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو
الخوف من القتل، لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا
أَسْلَمْنَا﴾^(٥)، فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره: ﴿إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٦)»^(٧).

قال ابن حجر في تفسيره لهذا الكلام: «ومحصل ما ذكره واستدل به أن
الإسلام يطلق ويراد به الحقيقة الشرعية، وهو الذي يرادف الإيمان وينفع

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٣٦٩/٧).

(٢) التمهيد (٢٤٧/٩).

(٣) هم أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري الذين هم على مذهبه قبل أن يرجع إلى أهل السنة
والجماعة، لا يثبتون من الصفات إلا سبعة ويؤلون بقية الصفات، وقد ترك الإمام أبو الحسن
هذا المذهب وعاد إلى منهج أهل السنة والجماعة وألف كتابه الإبانة.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ص ٩٤، ورسالة أهل الشجر لأبي الحسن الأشعري،
تحقيق: عبد الله شاكر.

(٤) شرح المقاصد (١٩٠/٢) تأليف سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٨٤هـ) - ط.
عبد المجيد خان - ١٢٧٧هـ.

وقال الشارح: «الجمهور على أن الإسلام والإيمان واحد؛ إذ معنى آمنت بما جاء به النبي
عليه السلام صدقته، ومعنى أسلمت له سلمته، ولا يظهر بينهما كثير فرق لرجوعهما إلى
معنى الاعتراف والانقياد والإذعان والقبول» (١٩٠/٢).

(٥) الحجرات: ١٤.

(٦) آل عمران: ١٩.

(٧) الجامع الصحيح (١٨/١).

عند الله، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

ويطلق ويراد به الحقيقة اللغوية، وهو مجرد الانقياد والتسليم^(٣).

٢ - ومن ذهب إلى أنهما لفظتان لمعنى واحد الإمام ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ)، حيث عقد أربعة فصول في كتابه «صحيح ابن حبان» أكد فيها أن الإيمان والإسلام سواء، وساق العديد من الأدلة على ذلك. ورد على من قال إن بينهما فرقاً^(٤).

٣ - وذهب إلى الترادف الإمام ابن منده (ت ٣٩٥هـ)؛ إذ عقد فصلين في كتابه «الإيمان»: الأول ذكر فيه الأخبار الدالة على الفرق بين الإيمان والإسلام، ومن قال بهذا القول من أئمة أهل الآثار^(٥)، وأعقبه الثاني الذي ذكر فيه «الأخبار الدالة والبيان الواضح من الكتاب أن الإيمان والإسلام اسمان لمعنى واحد، وأن الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام الذي جعله الله ديناً وارتضاه لعباده ودعاهم إليه، وهو ضد الكفر الذي سخطه ولم يرضه لعباده»^(٦).

أورد رحمه الله العديد من الآيات القرآنية ثم قال: «فدل ذلك على أن من آمن فهو مسلم، وأن من استحق أحد الاسمين استحق الآخر إذا عمل

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) الذاريات: ٣٦.

(٣) فتح الباري (١/١٠٠).

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١/٣٢١-٣٢٩).

(٥) (١/٣١١).

(٦) (١/٣٢١).

بالتطاعات التي آمن بها»^(١).

٤ - ويمثلهم قال الإمام ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)^(٢) «إن الإيمان والإسلام لفظتان بمعنى واحد»^(٣).

وقال في موضع آخر: «فإذا أريد بالإسلام المعنى الذي هو خلاف الكفر، وخلاف الفسق، فهو والإيمان شيء واحد، كما قال تعالى: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾»^(٤).

وقد يكون الإسلام بمعنى الاستسلام أي أنه استسلم للملة خوف القتل، وهو غير معتقد لها، فإذا أريد بالإسلام هذا المعنى فهو غير الإيمان، وهو الذي أراد الله تعالى بقوله: ﴿لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(٥) (٦).

٥ - وقال الإمام البيهقي (ت ٤٥٨هـ) «إن الأحاديث في تسمية شرائع الإسلام

(١) الإيمان (١/٣٢٢).

(٢) هو الإمام الأوحى البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي البيزدي، الفقيه الحافظ، المتكلم الأديب الوزير، الظاهري، وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة؛ فأثرت فيه تأثيراً، صاحب التصانيف منها كتابه العظيم المحلى، وله كتاب الفصل، وغيرها كثير.

(٣) الدررة ص ٣٥٩، تحقيق: د. أحمد ناصر الحمد ود. سعيد عبد الرحمن القرقي، نشر مطبعة المدني - ط. أولى - ١٤٠٨هـ.

(٤) الحجرات: ١٤.

(٥) الحجرات: ١٧.

(٦) الفصل في الملل والنحل (٣/٢٧٠)، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، نشر دار عكاظ - ط. الأولى - ١٤٠٢هـ.

إيماناً، وأن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد، إذا كان الإسلام حقيقة، ولم يكن بمعنى الاستسلام، وأن الإيمان يزيد وينقص؛ سوى ما ذكرنا كثيرة^(١).

٦ - وأختم بما قاله الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)^(٢) من « أن الذي عليه جماعة أهل الفقه والنظر: أن الإيمان والإسلام سواء، بدليل ما ذكرنا من كتاب الله عز وجل قوله: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿ (٣) .

وعلى القول بأن الإيمان هو الإسلام جمهور أصحابنا وغيرهم من الشافعيين والمالكيين، وهو قول داود^(٤) وأصحابه، وأكثر أهل السنة والنظر

(١) الاعتقاد على مذهب أهل السنة والجماعة ص ٩٨، نشر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط. الأولى - ١٤٠٤هـ.

(٢) هو الإمام العلامة حافظ المغرب، شيخ الإسلام، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة من أجلها التمهيد الكافي في مذهب مالك، والانتقاء، وغيرها كثير. مات سنة (٤٦٣هـ). طبقات الحفاظ ص ٤٣١ - ٤٣٢، سير أعلام النبلاء (١٨/١٥٣ - ١٦٣).

(٣) الذاريات: ٣٥ - ٣٦.

(٤) داود بن علي بن خلف، الإمام البحر الحافظ العلامة، عالم الوقت، أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر. قال إن القرآن محدث فقام عليه خلق من أئمة الحديث وأنكروا قوله ويدعوه.

قال عنه الذهبي بعد أن ذكر بعض مسائله المخالفة: وفي الجملة فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وله دين متين. مات سنة (٢٧٠هـ).

طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٨٤ - ٢٩٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/٩٧ - ١٠٨).

المتبعين للسلف والأثر»^(١).

أدلة من قال بترادف الإيمان والإسلام كما ذكرها ابن نصر :
الدليل الأول :

استدل من قال باتحاد الإيمان والإسلام باللغة فقالوا : إن «الإيمان في اللغة هو التصديق، والإسلام في اللغة هو الخضوع .

فأصل الإيمان هو التصديق بالله وما جاء من عنده، وإياه أراد النبي ﷺ بقوله : « الإيمان أن تؤمن بالله » ، وعنه يكون الخضوع لله ، لأنه إذا صدق بالله خضع له ، وإذا خضع أطاع ، فالخضوع عن التصديق ، وهو أصل الإسلام ، ومعنى التصديق هو المعرفة بالله ، والاعتراف له بالربوبية بوعدده ووعيدته وواجب حقه ، وتحقيق ما صدق به من القول والعمل .

والتحقيق في اللغة تصديق الأصل ، فمن التصديق بالله يكون الخضوع لله ، وعن الخضوع تكون الطاعات ، فأول ما يكون عن خضوع القلب لله السذي أوجه التصديق من عمل الجوارح والإقرار باللسان ؛ لأنه لما صدق بأن الله ربه خضع لذلك بالعبودية مخلصاً ، ثم ابتدأ الخضوع باللسان ، فأقر بالعبودية مخلصاً ، كما قال الله عز وجل لإبراهيم : ﴿ أَسْلَمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢) ، أي أخلصت بالخضوع لك^(٣) .

واستدلوا على أن الخضوع لله يكون عن التصديق به بالأدلة التالية :

١ - استدلوا بقصة إبليس حيث عرف الله وصدق به ، ولكنه لم يخضع له

(١) التمهيد (٩/٢٥٠) .

(٢) البقرة : ١٣١ .

(٣) الصلاة (٢/٦٩٥-٦٩٦) .

ويطع، فقالوا: «والدليل على ذلك ما وصف الله عن إبليس بقوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾^(١)، وقوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

فأخبرنا أنه قد عرف أن الله قد خلقه، ولم يخضع لأمره، فيسجد لآدم كما أمره، فلم ينفعه معرفته، إذ زابله الخضوع، ولم تكن معرفته إيماناً؛ إذ لم يكن معها خضوع بالطاعة، فسلبه الله اسم الإيمان والإسلام إذ لم يخضع له فيطيعه بالسجود، فأبى وعاند، ولو عرف الله بالمعرفة التي هي إيمان لخضع لجلاله، وانقاد لطاعته، ولم يرد عليه أمره»^(٣).

٢- استدلووا على ذلك أيضاً بشهادة «الله على قلوب بعض اليهود أنهم يعرفون النبي ﷺ وما أنزل إليهم كما يعرفون أبناءهم، فلا أحد أصدق شهادة على ما في قلوبهم من الله؛ إذ يقول لنبيه: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾^(٤)، وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(٥)، وقال: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

فشهد على قلوبهم بأنها عارفة عالمة بالنبي ﷺ، قال: وما أنزل إليه أنه الحق من عند الله، ثم (أكفرهم)^(٧) مع ذلك، ولم يوجب لهم اسم الإيمان بمعرفتهم وعلمهم بالحق؛ إذ لم يقارن معرفتهم التصديق والخضوع لله،

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) ص: ٨٢.

(٣) الصلاة (٦٩٦/٢).

(٤) البقرة: ٨٩.

(٥) البقرة: ١٤٦.

(٦) البقرة: ١٤٦.

(٧) في المطبوع (أكفرتم)، ولعل الصواب (أكفرهم)، والله أعلم.

ولرسوله بالتصديق له والطاعة؛ لأن من صدق خضع قلبه، ومن خضع قلبه أقر وصدق بلسانه، وأطاع بجوارحه»^(١).

٣ - وقالوا إن مما يدل على « أن أصل الإسلام هو الخضوع في اللغة قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾^(٢)، أي خضع له، فالؤمن خضع بالطوع والتسدين، والكافر خضع بالاضطرار، وليس ذلك الخضوع لله إيماناً، إلا أنه يدل على أن الإسلام هو الخضوع، وعلى ذلك أضيفت الأعمال إلى الإسلام»^(٣).

٤ - واستدلوا أيضاً بقول « النبي ﷺ حين سأله جبريل: «ما الإيمان؟ فقال: « أن تؤمن بالله » يعني أن تصدق، وقال: «ما الإسلام؟ قال: « شهادة أن لا إله إلا الله »، فأخبر أن الإسلام خضوع بالإقرار للإخلاص لله بالربوبية والوحدانية، ولم يكن ذلك إلا عن خضوع القلب بالتصديق، فكل خضوع عن خضوع القلب فهو إسلام، وكل خضوع من القلب فهو من الإيمان؛ لأن التصديق كلما ازداد صاحبه تصديقاً و يقيناً وبصيرة ازداد إجلالاً لله وهيبة، فإذا ازداد إجلالاً وهيبة ازداد خضوعاً وطمأنينة قلب إلى كل ما قال الله تبارك وتعالى، حتى كأنه ثم يعاينه.

ألم تسمع مقال الله عز وجل لإبراهيم: ﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنِ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾^(٤)، فأخبر أنه قد صدق، وأراد أن يزداد تصديقاً وبصيرة و يقيناً ليزداد قلبه طمأنينة، فلما عاين ذلك ازداد يقيناً وطمأنينة من غير

(١) الصلاة (٢/٦٩٦-٦٩٧).

(٢) آل عمران: ٨٣.

(٣) الصلاة (٢/٦٩٧).

(٤) البقرة: ٢٦٠.

شك كان منه بأن الله يحيي الموتى، وكذلك قال النبي ﷺ: «ليس الخبر كالمعاينة»^(١) «(٢)».

٥ - واستدلوا بما أخبر الله به «المؤمنين عن القيامة، فصدقوا ولم يشكوا، فإذا عاينوها كانوا بها أعظم إيماناً و يقيناً، ولم يكن يدخلهم الشك في دنياهم قبل ذلك، ولكن لما عاينوا الأمر عظم في قلوبهم أكثر مما كانوا يصدقون به في الجملة، حتى ذهلت عقول الرسل فمن دونهم.

وإن ذلك لموجود في فطرنا، يأتينا الصادق بالخبر بأن حبيب أحدنا قد مات، فنصدقه، ونستشير منه الحزن، ثم نتابع الأخبار عليه، فكلما أخبره مخبر ازداد يقيناً وتصديقاً من غير شك منه في الخبر الأول، فإذا عاينه امتلأ قلبه يقيناً بأنه قد مات، ثم أثار من قلبه من الحزن ما لم يكن من قبل، حتى كأنه كان شاكاً في خبر المخبرين، فكذلك يزداد العبد بصيرة و يقيناً وتصديقاً من غير أن يكون دخل في أصل تصديقه شك، وعن ذلك يكون الإجلال والهيبة، وعن الإجلال والهيبة يزداد خضوعاً بالطاعة، ومسارعة إلى طلب رضا المولى»^(٣).

الدليل الثاني :

أن الدين الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ورضيه للناس هو الإسلام و ضده الكفر، وقد أمر الله الناس بالإيمان بهذا الدين والدخول فيه، فالإيمان والإسلام سواء لم يفرق الله بينهما، حتى إنه سبحانه مدح الإسلام

(١) رواه أحمد (٢١٥/١)، والتبريزي في مشكاة المصابيح (٣/١٥٩٩) ح (٥٧٣٨)،

وانظر: مجمع الزوائد (١/١٥٣)، وكنز العمال (١٦/٤٤١١٠)، وقال الألباني: صحيح.

انظر: صحيح الجامع (٥/٨٧).

(٢) الصلاة (٢/٦٩٧-٦٩٨).

(٣) الصلاة (٢/٦٩٨-٦٩٩).

بمثل ما مدح الإيمان، ولو كان بينهما فرق لما ساوى الله في مدحهما.

ذكر ابن نصر عنهم أنهم قالوا: «الإيمان الذي دعا الله العباد إليه وافترضه عليهم هو الإسلام، الذي جعله ديناً، وارتضاه لعباده، ودعاهم إليه، وهو ضد الكفر الذي سخطه، فقال: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ (١).

وقال: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢).

وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ (٣).

وقال: ﴿أَقَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ (٤).

فمدح الله الإسلام بمثل ما مدح به الإيمان، وجعله اسم ثناء وتركية، فأخبر أن من أسلم فهو على نور من ربه وهدى، وأخبر أنه دينه الذي ارتضاه، فقد أحبه وامتدحه، ألا ترى أن أنبياء الله ورسله، رغبوا فيه إليه، وسألوه إياه، فقال إبراهيم خليل الرحمن وإسماعيل ذبيحه: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ (٥).

وقال يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٦)، وقال: ﴿وَوَصَّيْ

بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ (٧).

(١) الزمر: ٧.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) الأنعام: ١٢٥.

(٤) الزمر: ٢٢.

(٥) البقرة: ١٢٨.

(٦) يوسف: ١٠١.

(٧) البقرة: ١٣٢.

وقال: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (١).
 وقال في موضع آخر: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ
 إِبْرَاهِيمَ﴾، إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٦) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ
 فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ (٢).

فحكّم الله بأن من أسلم، فقد اهتدى، ومن آمن فقد اهتدى، فقد سوى
 بينهما» (٣).

الدليل الثالث :

ومما استدلوا به على اتحاد الإيمان والإسلام آية الحجرات .

يقول ابن نصر: «قال الله عز وجل: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا
 عَلَيَّ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٤)، فدل
 ذلك على أن الإسلام هو الإيمان .

١ - روى بسنده عن قتادة في قوله: ﴿لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ
 عَلَيْكُمْ﴾ (٥)، قال: منوا على النبي ﷺ حين جاءوا فقالوا: إنا أسلمنا
 بغير قتال، لم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، فقال الله لنبيه:

(١) آل عمران: ٢٠

(٢) البقرة: ١٣٦-١٣٧.

(٣) الصلاة (٢/٥٢٩-٥٣١).

(٤) الحجرات: ١٧.

(٥) الحجرات: ١٧.

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾^(١).

٢ - وروى بسنده عن مقاتل بن حيان^(٢) ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ﴾^(٣) ، أنهم أعراب بني أسد بن خزيمه قالوا: يا رسول الله، أتيناك بغير قتال، وتركنا العشائر والأموال؛ كل قبيلة من الأعراب قاتلتك حتى دخلوا في الإسلام كرهاً، فلنا عليك حق، فأنزل الله ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾^(٤) ، فله بذلك المن عليكم ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، وفيهم أنزلت ﴿ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾^(٥) ^(٦).

الدليل الرابع :

ثم استدلل ابن نصر بعد آيات الكتاب العزيز بما ورد عن سيد المرسلين محمد ﷺ ، فقد ثبت عنه عليه السلام أنه وصف الإيمان بما وصف به الإسلام، ولم يفرق بينهما.

(١) الحجرات: ١٧ .

والأثر رواه الطبري في تفسيره (١٤٥/٢٦) سورة الحجرات، والسيوطي في الدر المنثور (٥٨٣/٧).

(٢) هو مقاتل بن حيان النبطي أبو بسطام البلخي الخزاز مولى بكر بن وائل، صدوق فاضل، أخطأ الأزدي في زعمه أن وكيعاً كذبه، وإنما كذب الذي بعده. مات قبل الخمسين ومائة تقريباً.

التقريب (ص/٥٤٤) (٦٨٦٧)، التهذيب (١٠/٢٤٨-٢٤٩) (٥٠٢).

(٣) الحجرات: ١٧ .

(٤) الحجرات: ١٧ .

(٥) محمد: ٣٣ .

(٦) الصلاة (٢/٥٣٢-٥٣٣).

يقول رحمه الله: «والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله ﷺ دالة على أن الإيمان والإسلام لا يفترقان؛ لأنه دل على الإيمان بما دل على الإسلام.

قال في حديث عمر لجبريل حين سأله عن الإسلام: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»^(١)، وما ذكر مع الشهادتين من الفرائض.

وقال ابن عمر وجريير بن عبد الله عن النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»^(٢).

ثم قال في حديث ابن عباس لوفد عبد القيس: «أتدرون ما الإيمان» فذكر الحديث^(٣).

وقال في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون»^(٤)، فسمى الإسلام بما سمي به الإيمان، وسمى الإيمان بما سمي به الإسلام^(٥).

وقال رحمه الله أيضاً: «ومما يزيد ذلك بياناً قوله: «لا يؤمن من لا يامن جاره بوائقه»^(٦)، وقال في حديث آخر: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»^(٧).

والبوائق لا تكون إلا باللسان واليد، فسمى الإيمان بما سمي به الإسلام،

(١) تقدم تخريج حديث جبريل ص ١١٦.

(٢) رواه البخاري (١٢/١) ح (٨) - كتاب الإيمان - باب الإيمان وقول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، ومسلم (٤٥/١) ح (١٦) - كتاب الإيمان - باب أركان الإسلام ودعائه.

(٣) تقدم تخريج حديث وفد عبد القيس ص ٢٢٨.

(٤) تقدم تخريجه ص ١٨٧.

(٥) الصلاة (٢/٧١٤-٧١٥).

(٦) تقدم تخريجه ص ٢٤٣.

(٧) رواه البخاري (١٣/١) ح (١٠) - كتاب الإيمان - باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، ومسلم (٦٥/١) ح (٤١) - كتاب الإيمان - باب تفاضل الإسلام.

لأن من أمن جاره بوائقه، فقد سلم من لسانه ويده، ومن لا يسلم جاره من لسانه ويده لا يأمن بوائقه.

وقال: «المؤمن من آمنه الناس على أنفسهم وأموالهم، فمن سلم الناس من لسانه ويده آمنوه على أموالهم وأنفسهم»^(١).

فدل النبي ﷺ بستته على أن الإيمان والإسلام لا يفترقان، وأن المسلم هو المؤمن، فليس لأحد أن يفرق بين اسمين دل النبي ﷺ عليهما بمعنى واحد، يجعلهما معنيين مختلفين، ومن فرق بينهما، فقد عارض سنة النبي ﷺ بالرد، إلا أن أحدهما أصل للآخر، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أصل الإيمان هو التصديق، وعنه يكون الخضوع؛ فلا يكون مصدقاً إلا خاضعاً، ولا خاضعاً إلا مصدقاً، وعنهما تكون الأعمال التي وصف النبي ﷺ الإسلام، وتسمى من قام بها بالإيمان والإسلام»^(٢).

واستدل رحمه الله بما رواه بسنده عن ابن عباس في قوله: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾^(٣)، قال: كان على الإسلام وهو الإيمان بالله، ولم يكن في زمانه في قومه أحد على الإسلام غيره؛ فلذلك قال الله عز وجل: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾^(٤) (٥).

(١) جزء من حديث رواه الترمذي (١٨/٥) ح (٢٦٢٧) - كتاب الإيمان - باب في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (١٠٥/٨) - كتاب الإيمان - باب صفة المؤمن، وأحمد في المسند (٢١/٦).

(٢) الصلاة (٧١٤/٢ - ٧١٦).

(٣) النحل: ١٢٠.

(٤) النحل: ١٢٠.

والأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٧٦/٥).

(٥) الصلاة (٧١٦/٢).

الدليل الخامس :

استدل ابن نصر على اتحاد الإيمان والإسلام بأن دين الله واحد وهو الإسلام الذي وعد الله عليه الثواب، واجمعت الأمة على أن من دان الله بالإيمان يقبل منه كما يقبل منه الإسلام.

وكذلك فإن الله قد سمى بعض شرائعه ديناً من أتى بها قد أتى بالدين القيم، ومن أضعها أضع الدين القيم الذي هو الإسلام، وهذه الشرائع كالصلاة ونحوها قول وعمل، كما نجد أن الإيمان قول وعمل؛ فلا فرق إذاً بين الإيمان والإسلام.

ويقول رحمه الله: «وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وقال: ﴿وَرَضِيَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾^(٣)، الذي ارتضاه واصطفاه هو الإسلام، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٤).

فدل ذلك أن الإيمان المقبول الذي وعد الله عليه الثواب هو الإسلام، لأنه لو كان غير الإسلام لكان من دان الله بالإيمان غير مقبول منه إياه؛ لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٥).

فلما اجتمعت الأمة على أن من دان الله بالإيمان فجائز أن يقبل منه، ثبت بذلك أن الإيمان هو الإسلام، وهو الدين المرتضى، وثبت بذلك أن الصلاة والزكاة وسائر ما يدان الله به إسلام وإيمان، لأنها لو لم تكن إيماناً وإسلاماً؛ لم

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) البقرة: ١٣٢.

(٤) آل عمران: ٨٥.

(٥) آل عمران: ٨٥.

يجز أن يقبل ممن دان الله بهما، لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (١) .

فلما كانت الصلاة والزكاة وسائر الفرائض مقبولة من المسلمين إذا دانوا الله بها عند جميع الأمة ثبت أنها كلها من الإسلام والإيمان لا غيره، لأنها لو كانت غير الإسلام، لم تجز أن تقبل من أحد دان الله بها لقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (٢) (٣) .

الدليل السادس :

استدل ابن نصر على اتحاد الإيمان والإسلام بأن الله أمر عباده بأن يعبدوه ويخلصوا له الدين، وهذا الدين هو الإسلام .

يقول رحمه الله: « وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ (٤) ، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٥) .

فسمى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ديناً قيماً، وسمى الدين إسلاماً، فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم - الذي أحبر الله أنه عنده الدين وهو الإسلام - بعضاً .

وقد جامعنا هذه الطائفة التي فرقت بين الإيمان والإسلام على أن الإيمان

(١) آل عمران: ٨٥ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

(٣) الصلاة (١/٣٤٤-٣٤٥) .

(٤) البينة: ٥ .

(٥) آل عمران: ١٩ .

قول وعمل وأن الصلاة والزكاة من الإيمان، وقد سماهما الله ديناً، وأخبر أن الدين عند الله الإسلام، فقد سمي الله الإسلام بما سمي به الإيمان، وسمى الإيمان بما سمي به الإسلام.

وبمثل ذلك جاءت الأخبار عن النبي ﷺ، فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار، وأن العمل ليس منه، فقد خالف الكتاب والسنة، ولا فرق بينه وبين المرجئة؛ إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل^(١) «^(٢)».

الدليل السابع :

استدل ابن نصر على ترادف الإيمان والإسلام بأن الله بين في كتابه وبين نبيه محمد ﷺ أن الإيمان والإسلام لا يفترقان، حيث يقول: « فقد بين الله في كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ أن الإسلام والإيمان لا يفترقان، فمن صدق الله فقد آمن به، ومن آمن بالله فقد خضع لله وقد أسلم لله، ومن صام وصلى، وقام بفرائض الله، وانتهى عما نهى الله عنه، فقد استكمل الإيمان والإسلام المفترض عليه.

ومن ترك من ذلك شيئاً؛ فلن يزول عنه اسم الإيمان ولا الإسلام، إلا أنه أنقص من غيره في الإسلام والإيمان من غير نقصان من الإقرار بأن الله وما قال حق لا باطل، وصدق لا كذب، ولكن ينقص من الإيمان الذي هو تعظيم للقدر، خضوع للهيبه والجلال، والطاعة للمصدق به، وهو الله عز وجل، فمن ذلك يكون النقصان، لا من إقرارهم بأن الله حق وما قاله صدق^(٣) .

(١) في الأصل (بما)، والتصحيح من الإيمان لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٣٧٧/٧).

(٢) الصلاة (٢/٥٣٣-٥٣٤).

(٣) الصلاة (٢/٥٣٤-٥٣٥).

الدليل الثامن :

استدل ابن نصر على اتحاد الإيمان والإسلام بموافقة الطائفة التي فرقت بين الإيمان والإسلام على عدم زوال اسم الإسلام عمن ارتكب كبيرة؛ لأنهم يروون عن النبي ﷺ أن الله يأمر بإخراج من في قلبه إيمان؛ فلا فرق إذا بين الإيمان والإسلام؛ لأن في قلبه إيماناً ولا يزول عنه أيضاً اسم الإسلام.

يقول رحمه الله إن مما «يدلك على تحقيق قولنا أن من فرق بين الإيمان والإسلام قد جامعنا أن من أتى الكبائر التي استوجب النار بركوبها لن يزول عنه اسم الإسلام، وشر من الكبائر وأعظمهم ركوباً لها من أدخله الله النار، فهم يروون الحديث عن النبي ﷺ ويشتونه أن الله يقول: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان، ومثقال برة، ومثقال شعيرة»^(١).

فقد أخبر الله تبارك وتعالى أن في قلوبهم إيماناً، أخرجوا بها من النار، وهم أشر أهل التوحيد الذين لا يزول - في قولنا وفي قول من خالفنا - عنهم اسم الإسلام، ولا جائز أن يكون من في قلبه إيمان يستوجب به الخروج من النار ودخول الجنة ليس بمؤمن بالله؛ إذ لا جائز أن يفعل الإيمان الذي يثاب عليه بقلبه من ليس بمؤمن، كما لا جائز أن يفعل الكفر بقلبه من ليس بكافر»^(٢).



(١) رواه البخاري (١٦/١) ح (٢٢) - كتاب الإيمان - باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال،

ومسلم (١٧٢/١) ح (١٨٤) - كتاب الإيمان - باب إثبات الشفاعة... إلخ.

(٢) الصلاة (٥٣٥/٢).

المبحث الخامس

رد الإمام ابن نصر على

من قال بتغاير الإيمان والإسلام

بعدما ذكر ابن نصر الأدلة التي استدل بها هو ومن قال باتحاد الإيمان والإسلام، شرع في الرد على المخالفين القائلين بأن الإيمان غير الإسلام، وإليك هذه الردود:

الرد الأول:

إن من فرق بين الإيمان والإسلام احتج بحديث النبي ﷺ في الزاني أنه يخرج من الإيمان، ويتنحى عنه الإيمان جانباً، فرد رحمه الله على من احتج بهذا بما يلي:

١ - قال رحمه الله إنا قد «روينا عن ابن عباس أنه قال: ينزع منه نور الإيمان، ونور الإيمان ليس هو كل الإيمان.

فإنما أراد بقوله: «ينزع منه الإيمان» بعض الإيمان، لا كل الإيمان، حتى لا يبقى فيه شيء من الإيمان، فلو كان كذلك لكان كافراً؛ إذ زال عنه اسم الإيمان بأسره، فلما قال النبي ﷺ عن الله عز وجل: «أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان»^(١)؛ لأن من دخل النار فقد لقي الله بالكبائر، وقد أخبر النبي ﷺ أن في قلوبهم أجزاء من الإيمان؛ استحقوا بذلك اسم

(١) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٧٤.

الإيمان، ووجب لهم عليه الثواب، لولا ذلك ما دخلوا الجنة، لأنه لا يدخل الجنة من البالغين العاقلين من ليس بمؤمن؛ لأن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ (١)، وقال ﷺ: « لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة» (٢)، وفي بعض الحديث: «لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة» (٣)، وليس ذلك بمتناقض ولا مختلف؛ لأن معناهما واحد، ولما أخبر النبي ﷺ أن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال خردلة من إيمان فيدخله الجنة؛ علمنا أنه لم يدخله الجنة إلا وهو مسلم مؤمن» (٤).

٢- رد ابن نصر على قولهم بنزع الإيمان عن ارتكب الكبيرة بأنه قد ثبت أن الله افترض الفرائض وحد الحدود بين المسلمين على اسم الإيمان لا على الإسلام، ومن قال بالفرق بين الإيمان والإسلام لزمه أن يسقط هذه الفرائض والحدود عنهم إذا ارتكبوا الكبائر لأنهم ليسوا بمؤمنين، وفي هذا يقول ابن نصر إن « مما يدل على بطلان قول من خالفنا ففرق بين الإيمان والإسلام . . أنا وجدنا الله عز وجل افترض الفرائض، وأحل الحلال وحرم الحرام، ووضع الأحكام والحدود بين المسلمين على اسم الإيمان لا على اسم الإسلام، فزعم هؤلاء أن من أتى كبيرة فهو خارج من الإيمان وليس بمؤمن، ثم حكموا عليه وله بأحكام المؤمنين، ولو كان الأمر كما قالوا فيمن أتى كبيرة، للزم إسقاط

(١) الحديد: ٢١.

(٢) رواه الترمذي (٢٢٢/٣) ح (٨٧١) - كتاب الحج - باب ما جاء في كراهية الطواف عرباناً، وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (٧٩/١).

(٣) رواه البخاري (٢٤٣٦/٦) ح (٦٢٣٢) - كتاب القدر - باب العمل بالخواتيم، ومسلم

(١/١٠٥ - ١٠٦) ح (١١١) - كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه . . الخ.

(٤) الصلاة (٢/٥٣٥ - ٥٣٦).

عامّة الفرائض والأحكام والحدود التي أوجبها على المؤمنين عن من أتى كبيرة؛ لأن اسم الإيمان قد زال عنه، وفي ذلك خروج من أحكام الكتاب، ومما أجمعت عليه الأمة^(١).

فإن قالوا (أي من فرق بين الإيمان والإسلام): إنما أجرينا عليه أحكام المؤمنين لأنه مسلم عندنا، وإن لم يكن مؤمناً.

فأجاب ابن نصر على قولهم هذا بأن الله أوجب «الفرائض والحلال والحرام على المؤمنين باسم الإيمان، لا باسم الإسلام، قال الله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ ﴾^(٢).

وقال: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾^(٣).

وقال: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾^(٤).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى

ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٥).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾^(٦).

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ

مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(٧).

(١) الصلاة (٢/٥٣٦-٥٣٧).

(٢) المائدة: ٦.

(٣) النساء: ١٠٣.

(٤) إبراهيم: ٣١.

(٥) الجمعة: ٩.

(٦) البقرة: ١٨٣.

(٧) البقرة: ٢٦٧.

- وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ (١).
- وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ (٢).
- وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (٣).
- وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ (٤).
- وقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ و ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ (٥).
- وقال: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦).
- وقال: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٧).
- فإنما أمرهم بأن يتوبوا من ذنوب أحدثوها ليست بكفر ولا شرك، ولو كانت الذنوب أخرجتهم من الإيمان لما سماهم الله مؤمنين، ولكن سماهم مؤمنين، وافترض عليهم التوبة من الذنوب، فمن زعم أن من أتى كبيرة زال عنه اسم الإيمان؛ لزمه أن يسقط عنه هذه الفرائض كلها؛ لأن الله إنما أوجبها على المؤمنين باسم الإيمان (٨).

(١) الأنفال: ٦٥.

(٢) آل عمران: ١٣٠.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) المائدة: ٩٥.

(٥) النور: ٣٠.

(٦) النور: ٣.

(٧) النور: ٣١.

(٨) الصلاة (٢/٥٣٧-٥٣٩).

وستأتي تكملة رد الإمام ابن نصر على من قال بخروج مرتكب الكبيرة من الإيمان في فصل مستقل إن شاء الله .

الرد الثاني :

إن الذين فرقوا بين الإيمان والإسلام احتجوا بأن الله جعل اسم المؤمن اسم ثناء وتزكية وأوجب عليه الجنة، فرد عليهم ابن نصر بأن اسم المؤمن قد يطلق على وجهين، والمؤمن الذي وعد الجنة هو الذي عمل الصالحات، كما يظهر من خلال آيات الكتاب العزيز .

يقول رحمه الله إن «اسم المؤمن قد يطلق على وجهين :

١ - اسم بالخروج من ملل الكفر والدخول في الإسلام، وبه تجب الفرائض التي أوجبها الله على المؤمنين، ويجري عليه الأحكام والحدود التي جعلها الله بين المؤمنين .

٢ - واسم يلزم بكمال الإيمان وهو اسم ثناء وتزكية، يجب به دخول الجنة والفوز من النار .

فالمؤمنون الذين خاطبهم الله بالفرائض، والحلال والحرام، والأحكام والحدود، الذين لزمهم الاسم بالدخول في الإسلام بالإقرار والتصديق، والخروج من ملل الكفر .

والمؤمنون الذين زكاهم وأثنى عليهم ووعدهم الجنة، هم الذين أكملوا إيمانهم باجتنب كل المعاصي واجتنب الكبائر؛ دل على ذلك في آيات كثيرة نعت فيها المؤمنين، ثم وعدهم الجنة على تلك النعوت :

قال الله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ﴿١﴾ ، ثم قال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ ﴿٢﴾ ، يريد هؤلاء الذين نعتهم بهذه النعوت .

وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٥﴾ ، فوصفهم بالأعمال الصالحة ، ثم أوجب لهم الجنة .

وقال : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٧﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ ﴿٨﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩﴾ ، فأوجب لهم الجنة بعدما وصفهم بالأعمال التي بها يكمل الإيمان .

وقال : ﴿ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ ﴿١٠﴾ مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿١١﴾ .

وقال : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴾ ﴿١٢﴾

يروى عن الحسن في قوله : ﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ ﴾ : قد

أكمل إيمانه .

(١) التوبة : ٧١ .

(٢) التوبة : ٧٢ .

(٣) الأنفال : ٢-٤ .

(٤) المؤمنون : ١-١١ .

(٥) الكهف : ٢-٣ .

(٦) طه : ٧٥ .

فكل آية وعد الله المؤمنين فيها الجنة وبشرهم بها، فإنما أراد المؤمنين الذين عملوا الصالحات استدلالاً بهذه الآيات، ولو لم يكن ذلك كذلك للزمن أن نثبت الشهادة بالجنة لكل من لزمه اسم الإيمان، وجرت عليه الأحكام التي أجزاها الله على المؤمنين، على أي حال مات من تضييع الفرائض وارتكاب المحارم، بعد أن لا يكفر بالله^(١).

الرد الثالث :

رد الإمام ابن نصر على من فرق بين الإيمان والإسلام وجعلوا هناك فرقاً بين قول الرجل : أنا مؤمن، وبين قوله : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، فقالوا: « لا يجوز أن يقول : أنا مؤمن حتى يستثني، فإنه إن قال : أنا مؤمن بلا استثناء لزمه أن يشهد أنه في الجنة، ولكنه يقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله^(٢) .

فرد عليهم بأن «لم نجد بين قوله : « أنا مؤمن»، وبين قوله : « آمنت بالله» فرقاً في المعنى، سواء عليه قال : « آمنت بالله»، أو « أنا مؤمن بالله»؛ لأن معنى آمنت فعلت الإيمان، و« أنا مؤمن» أنا فاعل الإيمان؛ فهو مؤمن^(٣).

ورد على قولهم إنه «من قال : « أنا مؤمن» لزمه أن يقول : «إني في الجنة»؛ لأن الله وعد المؤمنين بالجنة^(٤)، بأنه كذلك «من قال : « آمنت بالله ورسله» لزمه أن يقول : «إني في الجنة»؛ لأن الله وعد الذين آمنوا بالله ورسله الجنة، كما وعد المؤمنين الجنة، فقال الله عز وجل : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ

(١) الصلاة (٢/٥٦٧-٥٦٩).

(٢) الصلاة (٢/٥٦٩).

(٣) الصلاة (٢/٥٦٩).

(٤) الصلاة (٢/٥٦٩).

وَالْأَرْضِ أَعَدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿١﴾

وقال: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (٢)

وقال: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ (٣)

وقال: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (٤)

وقال في موضع آخر: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ
رَبِّهِمْ﴾ (٥)

فبشر الذين آمنوا كما بشر المؤمنين، ووعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله كما
وعد المؤمنين، لا فرق بين الأمرين في كتاب ولا سنة ولا لغة ولا معقول.
ورد رحمه الله على قولهم: «فإن الله لم يرد بإيجابه الجنة للذين آمنوا بالله
ورسوله كل من لزمه هذا الاسم» (٦) بأنه «قد أطلق الله لهم الوعد لهم على هذا
الاسم، فمن ثبت له هذا الاسم بوجه من الوجوه لزمكم أن توجبوا له الجنة
على ظاهر دعواكم في المؤمنين» (٧)

(١) الحديد: ٢١.

(٢) الحديد: ١٢.

(٣) التحريم: ٨.

(٤) الأحزاب: ٤٧.

(٥) يونس: ٢.

(٦) الصلاة (٢/٥٧٠).

(٧) الصلاة (٢/٥٧٠-٥٧١).

ورد على قولهم: «إنما عنى الله من لم يأت بكبيرة من الذين آمنوا بالله ورسله»^(١)، بأنه «كذلك عنى بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، و﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٣)، بورعهم عن الكبائر، وقيامهم بواجب حق الله، فأكمل لهم الإيمان بذلك، فوجب لهم الجنة»^(٤).

الرد الرابع :

رد الإمام ابن نصر على احتجاجهم: «بأن الله وصف النبي ﷺ بالرفقة والرحمة للمؤمنين، ثم قال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾^(٥).

فإن الله عز وجل أوجب على الزانين الحد، وأمر بإقامته عليهما، ونهاهم أن يأخذهم بهما رافة، فيعطلوا عنهما الحد الذي أوجبه الله عليهما، رافة منهم بهما؛ فالرفقة على وجهين:

رافة تدعو إلى تعطيل الحد وهي المنهي عنها، ورافة تدعو إلى إقامة الحد عليهما، شفقة عليهما من عذاب الآخرة، فهذه غير منهي عنها، فالنبي ﷺ قد كان بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، وكانت رافته بهم لا تحمله على تعطيل الحدود عنهم، فالرفقة التي تدعو إلى تعطيل الحد منهي عن النبي ﷺ، والرافة التي وجبت للمؤمنين بالإيمان هو موصوف بها، ألا تراه كان يقيم الحدود عليهم مع ظهور شدة ذلك ومشقته عليه، ولولا رحمته ورافته لما شق عليه»^(٦).

(١) الصلاة (٢/٥٧١).

(٢) الأحزاب: ٤٧.

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) الصلاة (٢/٥٧١).

(٥) النور: ٢.

(٦) الصلاة (٢/٥٧١-٥٧٢).

ثم روى بسنده عن أبي ماجد^(١) قال: «قال عبد الله: إن الله عفو يحب العفو، ولا ينبغي لوال أن يؤتى بحد إلا أقامه، ثم أنشأ يحدث قال: إن أول رجل جيء به رسول الله ﷺ في المسلمين - أو قال: في الإسلام - لرجل أتى به رسول الله ﷺ فقيل: سرق هذا، قال: فقال: «انهبوا به فاقطعوه». قال: وكأنما سف في وجه رسول الله ﷺ رماد، فقال له بعض جلسائه: هذا قد شق عليك يا رسول الله؟ قال: وما يمنعني أن تكونوا أعوان الشيطان، إنه لا ينبغي لوال أن يؤتى بحد إلا أقامه، والله عفو يحب العفو، ثم قرأ: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(٢).

وقال رحمه الله بعد هذا الحديث: «أفلا ترى إلى مشقة هذا على رسول الله ﷺ حتى ظهر ذلك في لونه، ولولا رأفته به ورحمته إياه لما شق مشقة ذلك عليه، وقد كان النبي ﷺ رءوفاً رحيماً، ولم يكن يرحمهم الرحمة التي تدعوه إلى تعطيل الحدود؛ وذلك الذي نهى عنه»^(٣).

الرد الخامس:

رد الإمام ابن نصر على ما احتجوا به مما روي عن بعض الصحابة والتابعين

(١) هو علي بن ماجد السهمي، مجهول من الثالثة، روى عن عمر بن الخطاب، وروايته عنه مرسلة.

التقريب (ص/ ٦٧٠) (٨٣٣٥)، التهذيب (٧/ ٣٢٨) (٦٠٩).

(٢) الصلاة (٢/ ٥٧٢).

والحديث رواه أحمد في مسنده (١/ ٤١٩، ٤٣٨)، ورواه عبد الرزاق في مصنفه (٧/ ٣٧٠ - ٣٧٢) - باب ضرب الحدود... إلخ، والطبراني في معجمه الكبير (٩/ ١١٤ - ١١٥) ح (٨٥٧٢)، والبيهقي في سننه (٨/ ٣٣١) في كتاب الأشربة والحد عليها، والحديث ضعيف لأن في سننه أبا ماجد، وهو مجهول.

(٣) الصلاة (٢/ ٥٧٣).

أنه ينزع منه الإيمان وينتحي عنه .

فقال إن الإيمان الذي ينزع منه هو «الإيمان الذي هو عمل القلب والبدن زيادة على التصديق والإقرار، بل غير جائز أن يكونوا أرادوا الإيمان بأسره؛ لأن في ذلك إبطال الأحكام وحدوده عنهم على ما بينا، ولو زال عنهم الإيمان بأسره لوجب استتابتهم أو القتل؛ لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»^(١)، ومن ترك الإيمان بأسره فقد بدل دينه، وذلك يوجب مخالفة الكتاب والخروج من قول العلماء.

فمعناه عندنا في هذا القول موافق لقول ابن عباس: «ينزع منه نور الإيمان»، إلا أنه حين يزني ويسرق ويشرب الخمر؛ فلن يفعل ذلك إلا من قلة خوفه من الله. ولو كان مطيعاً مجلاً، ولعقابه معظماً، لخاف الله أن يركب معاصيه، أو يأتي ما يوجب غضبه، فإذا أتى ذلك كان تاركاً للخوف والورع اللذين هما من الإيمان، فجائز أن يكونوا عنوا به منه هذا الإيمان الذي هو زيادة على الإقرار، ولا جائز أن يظن بهم غير ذلك، ومن نسبهم إلى غير ذلك فقد نسبهم إلى أنهم خالفوا أحكام الله في كتابه وخرجوا من قول جميع العلماء^(٢).

الرد السادس :

إن من فرق بين الإيمان والإسلام احتج بما روي عن الحسن وابن سيرين أنهما كانا يقولان: «مسلم»، ويهايان «مؤمن».

فرد عليهم ابن نصر بأن «هذا حديث لم يروه عن حماد بن زيد غير

(١) الحديث سيأتي تخريجه عند بيان حكم المرتد ص ٤٦١.

(٢) الصلاة (٢/٥٧٣ - ٥٧٤).

المؤمل^(١)، وإذا انفرد بحديث وجب أن «يتوقف»^(٢) ويتثبت فيه؛ لأنه كان سيئ الحفظ، كثير الغلط»^(٣).

ثم روى بسنده عن أبي موسى^(٤) قال: «سمعت الحسن يقول: الإسلام، وما الإسلام، السر والعلانية فيه مستوية، وأن تسلم قلبك لله، ويسلم منك كل مسلم وذو عهد».

فهل يوصف الإيمان بأكثر مما وصف به الحسن الإسلام، مع أخبار سوى هذا قد رويت عنه تحقق هذا»^(٥).

الرد السابع:

إن من فرق بين الإيمان والإسلام استدلال بما روى أبو جعفر أنه دور دوازة وأخرى في وسطها صغيرة، فرد عليهم ابن نصر بأن «فضيل بن يسار»^(٦) الراوي لهذا الحديث كان رافضياً كذاباً، وليس مما يحتج به، ولا ممن يعتد

(١) لم أعرف من هو.

(٢) في المطبوع توقف، والصحيح من التهذيب ترجمة المؤمل (١٠/٣٤٠).

(٣) الصلاة (٢/٥٧٤).

(٤) هو إسرائيل بن موسى أبو موسى البصري، نزيل الهند، ثقة من السادسة، ذكره ابن حبان في الثقات.

التقريب (ص/١٠٤) (٤٠٠)، التهذيب (١/٢٢٩) (٤٩٥).

(٥) الصلاة (٢/٥٧٤-٥٧٥).

(٦) فضيل بن يسار، روى عن أبي جعفر بن علي بن حسين. روى عنه جرير بن حازم وعباد بن عباد المهلبى. الجرح والتعديل (٧/٧٦) (٤٢٩).

وقال الحافظ ابن حجر: «الفضيل بن يسار عن أبي جعفر محمد بن علي قوله في الإيمان، وعنه جرير بن حازم: قال محمد بن نصر المروزي، ثنا أحمد بن منصور ثنا موسى أن إسماعيل قال: كان فضيل بن يسار رجلاً سوء» لسان الميزان (٤/٤٥٤).

بحديثه، ولا نعلمه روي عنه حديث غير هذا»^(١).

ثم أكد رحمه الله كلامه هذا بما رواه بسنده عن إسماعيل التبوذكي^(٢) قال: «كان فضيل بن يسار هذا الذي روى عنه جرير بن حازم^(٣) رجل سوء، كان يقول: عمر بن عبد العزيز خير من أبي بكر وعمر، وكان يقول: إن نبياً خيراً من عمر بن عبد العزيز»^(٤).

الرد الثامن:

وفي ختام رده على من فرق بين الإيمان والإسلام بين رحمه الله أن الذي يصح عنده في معنى «قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، وما روي عنه من الأخبار مما يشبه هذا أن معنى ذلك كله أن من فعل تلك الأفعال لا يكون مؤمناً مستكمل الإيمان، لأنه قد ترك بعض الإيمان. نفى عنه الإيمان يريد به الإيمان الكامل، ولا جائز أن يكون معناه غير ذا... لأن في إزالة الإيمان بأسره عنه، حتى لا يبقى فيه منه شيء إزالة لاسم الإيمان عنه، وفي إزالة اسم الإيمان عنه إسقاط الفرائض والأحكام التي أوجبها الله تبارك

(١) الصلاة (٢/٥٧٥).

(٢) هو موسى بن إسماعيل المقرئ مولاهم، أبو سلمة التبوذكي البصري مشهور بكنيته وباسمه، ثقة ثبت، من صغار التاسعة، ولا التفات إلى قول ابن خراش: تكلم الناس فيه. مات سنة (٢٢٣هـ).

التقريب (ص/٥٤٩) (٦٩٤٣)، التهذيب (١٠/٢٩٦-٢٩٨) (٥٨٥).

(٣) هو جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدي ثم العتكي، وقيل: الجهمي، ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعيف، وله أوهام إذا حدث من حفظه، من السادسة. مات سنة (١٧٥هـ) بعدما اختلط، لكن لم يحدث في حال اختلاطه.

التقريب (ص/١٣٨) (٩١١)، التهذيب (٢/٦٠-٦٢) (١١١).

(٤) الصلاة (٢/٥٧٥).

وتعالى وإسقاط الحدود عنه .

وفي اتفاق أهل العلم على وجوب الفرائض التي أوجبها الله على المؤمنين وإحلال الحلال وتحريم الحرام عليه، وإقامة الحدود عليه؛ دليل على أن الإيمان لم يزل كله عنه، ولا اسمه، ولولا ذلك لوجب استتابته وقتله، وسقطت عنه الحدود .

وإذا زال عنه الإيمان وهو من المدركين العاقلين فهو كافر، لأنه ليس بين الإيمان والكفر منزلة ثالثة^(١) .



المبحث السادس

رد العلماء على ابن نصر في قوله

بأنحداد الإيمان والإسلام وبيان القول الراجع

تقدم ذكر أقوال أهل العلم في مسمى الإيمان والإسلام، وهل هما مترادفان أم لا؟

ولما كان الإمام ابن نصر يذهب إلى ترادف الإيمان والإسلام مؤيداً رأيه بعدد وافر من الأدلة، انبرى عدد من العلماء في الرد عليه.

وقد اعتنى شيخ الإسلام ابن تيمية بأقوال الإمام ابن نصر، فأيد رحمه الله ما وافق الحق ووجه بعض الأدلة إلى وجهتها الصحيحة، وبين مراد ابن نصر منها، ورد على ما خالف القول الراجع من أقوال أهل السنة والجماعة.

وإليك بيان ردود شيخ الإسلام ابن تيمية ومن معه من العلماء على ابن نصر.

الرد الأول :

إن أول ما استدلل به ابن نصر في قوله بترادف الإيمان والإسلام اللغة فقال: «الإيمان في اللغة: هو التصديق، والإسلام في اللغة: هو الخضوع.. لأنه إذا صدق بالله خضع له، وإذا خضع أطاع، فالخضوع عن التصديق، وهو أصل الإسلام»^(١).

(١) الصلاة (٢/٦٩٥).

فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية وقال إن «من أنفع الأمور في معرفة دلالة الألفاظ مطلقاً، وخصوصاً ألفاظ الكتاب والسنة، وبه تزول شبهات كثيرة كثر فيها نزاع الناس»^(١).

وقال رحمه الله أيضاً: «ومما ينبغي أن يعلم أن الألفاظ الموجودة في القرآن والحديث إذا عرف تفسيرها وما أريد بها من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولا غيرهم . . . واسم الإيمان والإسلام والنفاق والكفر هي أعظم من هذا كله، فالنبي ﷺ قد بين المراد بهذه الألفاظ بياناً لا يحتاج معه إلى الاستدلال على ذلك بالاشتقاق، وشواهد استعمال العرب، ونحو ذلك.

فلهذا يجب الرجوع في مسميات هذه الأسماء إلى بيان الله ورسوله؛ فإنه شاف كاف، بل معاني هذه الأسماء معلومة من حيث الجملة للخاصة والعامّة»^(٢).

الرد الثاني :

إن من أعظم أدلة من قال بترادف الإيمان والإسلام كابن نصر وغيره آية الحجرات، قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣).

قال ابن نصر: «فدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان»^(٤)، ثم روى

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (١٦٩/٧).

(٢) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٢٨٦-٢٨٧).

(٣) الحجرات: ١٧.

(٤) الصلاة (٥٣١/٢).

بسند عن سفيان عن مجاهد: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾^(١)، قال: «استسلمنا خوف السبي والقتل»^(٢).

فرد شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: «ولكن هذا منقطع، سفيان لم يدرك مجاهداً»^(٣).

وقال أيضاً: «الذين قالوا: إن هذا الإسلام هو كإسلام المنافقين لا يثابون عليه قالوا: لأن الله نفى عنهم الإيمان، ومن نفى عنه الإيمان فهو كافر».

وقال هؤلاء: الإسلام هو الإيمان، وكل مسلم مؤمن وكل مؤمن مسلم، ومن جعل الفساق مسلمين غير مؤمنين، لزمه أن لا يجعلهم داخلين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾^(٤)، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾^(٥)، وأمثال ذلك؛ فإنهم إنما دعوا باسم الإيمان، لا باسم الإسلام، فمن لم يكن مؤمناً لم يدخل في ذلك»^(٦).

فأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الكلام فقال: «الذين قالوا من السلف: إنهم خرجوا من الإيمان إلى الإسلام لم يقولوا: إنه لم يبق معهم من الإيمان شيء، بل هذا قول الخوارج والمعتزلة».

(١) الحجرات: ١٤.

(٢) الصلاة (٥٥٤/٢).

والأثر خرجه الطبري في تفسيره (٩٠/٢٦).

(٣) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٢٤٠/٧).

(٤) المائدة: ٦.

(٥) الجمعة: ٩.

(٦) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٢٤٠/٧).

وأهل السنة الذين قالوا هذا، يقولون: الفساق يخرجون من النار بالشفاعة، وأن معهم إيماناً يخرجون به من النار، لكن لا يطلق عليهم اسم الإيمان؛ لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة، وهؤلاء ليسوا من أهله، وهم يدخلون في الخطاب بالإيمان؛ لأن الخطاب بذلك هو لمن دخل في الإيمان وإن لم يستكمله، فإنه إنما خوطب ليفعل تمام الإيمان، فكيف يكون قد أتمه قبل الخطاب؟ وإلا كنا قد تبينا أن هذا المأمور من الإيمان قبل الخطاب، وإنما صار من الإيمان بعد أن أمروا به، فالخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١)، غير قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، ونظائرها؛ فإن الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أولاً يدخل فيه من أظهر الإيمان وإن كان منافقاً في الباطن يدخل فيه في الظاهر، فكيف لا يدخل فيه من لم يكن منافقاً، وإن لم يكن من المؤمنين حقاً؟

وحقيقته أن من لم يكن من المؤمنين حقاً؛ يقال فيه: إنه مسلم، ومعه إيمان يمنع الخلود في النار، وهذا متفق عليه بين أهل السنة، لكن هل يطلق اسم الإيمان؟ هذا هو الذي تنازعوا فيه، فقليل يقال: مسلم، ولا يقال: مؤمن، وقيل: بل يقال: مؤمن.

والتحقيق أن يقال: إنه مؤمن ناقص الإيمان، مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، ولا يعطى اسم الإيمان المطلق، فإن الكتاب والسنة نفيًا عنه الاسم المطلق، واسم الإيمان يتناوله فيما أمر الله به ورسوله؛ لأن ذلك إيجاب عليه

(١) الجمعة: ٩.

(٢) الحجرات: ١٥.

وتحريم عليه، وهو لازم له كما يلزمه غيره، وإنما الكلام في اسم المدح المطلق^(١).

وقال رحمه الله في الإيمان الأوسط: «الذين أثبت لهم القرآن والسنة الإسلام دون الإيمان، هل هم المنافقون الكفار في الباطن؟ أم يدخل فيهم قوم فيهم بعض الإيمان؟»

هذا مما تنازع فيه أهل العلم على اختلاف أصنافهم، فقالت طائفة من أهل الحديث والكلام وغيرهم: بل هم المنافقون الذين استسلموا وانقادوا في الظاهر ولم يدخل إلى قلوبهم شيء من الإيمان.

وأصحاب هذا القول، قد يقولون: الإسلام المقبول هو الإيمان، ولكن هؤلاء أسلموا ظاهراً لا باطناً، فلم يكونوا مسلمين في الباطن، ولم يكونوا مؤمنين، وقالوا: إن الله سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٢).

بيانه كل مسلم مؤمن، فما ليس من الإسلام فليس مقبولاً يوجب أن يكون الإيمان منه.

وهؤلاء يقولون: كل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن، إذا كان مسلماً في الباطن، وأما الكافر المنافق في الباطن فإنه خارج عن المؤمنين المستحقين للثواب باتفاق المسلمين.

ولا يسمون بمؤمنين عند أحد من سلف الأمة وأئمتها ولا عند أحد من

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٢٤٠-٢٤١).

(٢) آل عمران: ٨٥.

طوائف المسلمين، إلا عند طائفة من المرجئة، وهم الكرامية^(١)، الذين قالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق في الظاهر، فإذا فعل ذلك كان مؤمناً، وإن كان مكذباً في الباطن، وسلموا أنه معذب مخلد في الآخرة، فنازعوا في اسمه لا في حكمه.

ومن الناس من يحكي عنهم جعلوهم من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، ومع هذا فسميتهم له مؤمناً: بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفرد بها الكرامية دون سائر مقالاتهم^(٢).

ثم بين شيخ الإسلام ابن تيمية معني الآية وحقق القول في هذه المسألة فقال: «قال الجمهور من السلف والخلف: بل هؤلاء الذين وصفوا بالإسلام دون الإيمان قد لا يكونون كفاراً في الباطن، بل معهم بعض الإسلام المقبول. وهؤلاء يقولون الإسلام أوسع من الإيمان، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً، ويقولون: في قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين

(١) فرقة من الفرق المبتدعة عدها أبو الحسن الأشعري من فرق المرجئة. مقالات الإسلاميين (١/٢٢٣)، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية. الإيمان (٧/١٩٥).

وترى أن الإيمان شيء واحد لا تعدد فيه وهو الإقرار باللسان أسنهما محمد بن كرام السجستاني (ت ٢٥٥هـ)، قال عنه الذهبي: «السجستاني المبتدع، شيخ الكرامية، كان زهداً عابداً ربانياً، كثير الأصحاب، ولكنه يروي الواهيات كما قال ابن حبان، خذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أواهاها... كان يقول: الإيمان هو نطق اللسان بالتوحيد، مجرد عن غقد قلب، وعمل جوارح... وقد سجن ابن كرام ثم نفيهم وكان ناسكاً عابداً قليل العلم» سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣-٥٢٤).

(٢) الإيمان الأوسط، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٤٧٥-٤٧٦).

يشربها وهو مؤمن»^(١) : إنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام، ودوروا للإسلام دارة، ودوروا للإيمان دارة أصغر منها في جوفها، وقالوا: إذا زنى خرج من الإيمان إلى الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلى الكفر.

ودليل ذلك أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤)﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥) قُلْ أَنْتَعْلَمُونَ اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٦) يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا بِإِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ ، فقد قال تعالى: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٣).

وهذا الحرف أي «لما» ينفي ما قرب وجوده وانتظر وجوده ولم يوجد بعد، فيقول لمن ينتظر غائباً أي «لما»، ويقول قد جاء لما يجيء بعد.

فلما قالوا: ﴿آمَنَّا﴾، قيل: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ بعد، بل الإيمان مرجو منتظر منهم، ثم قال: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ﴾، أي: لا ينقصكم من أعمالكم المثبتة شيئاً، أي في هذه الحال، فإنهم لو أرادوا طاعة الله ورسوله بعد دخول الإيمان في قلوبهم لم يكن في ذلك فائدة لهم ولا لغيرهم، إذ كان من المعلوم أن المؤمنين يثابون على طاعة الله ورسوله، وهم كانوا مقرين به، فإذا

(١) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٣١.

(٢) الحجرات: ١٤-١٧.

(٣) الحجرات: ١٤.

قيل لهم المطيع يثاب، والمراد به المؤمن الذي يعرف أنه مؤمن؛ لم يكن فيه فائدة جديدة.

وأيضاً فالخطاب لهؤلاء المخاطبين قد أخبر عنهم لما يدخل في قلوبهم، وقيل لهم: ﴿إِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا﴾، فلو لم يكونوا في هذه الحال مثابين على طاعة الله ورسوله لكان خلاف مدلول الخطاب، فبين ذلك أنه وصف المؤمنين الذين أخرج هؤلاء منهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١).

وهذا نعت محقق الإيمان، لا نعت من معه مثقال ذرة من إيمان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) أولئك هم المؤمنون حقا (٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٥)، ومنه قوله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، وأمثال ذلك.

ودل البيان على أن الإيمان المنفي عن هؤلاء الأعراب: هو هذا الإيمان الذي نفي عن فساق أهل القبلة الذين لا يخلدون في النار، بل قد يكون مع أحدهم مثقال ذرة من إيمان، ونفي هذا الإيمان لا يقتضي ثبوت الكفر الذي يخلد صاحبه في النار.

(١) الحجرات: ١٥.

(٢) الأنفال: ٢-٤.

(٣) النور: ٦٢.

وبتحقيق هذا المقام يزول الاشتباه في هذا الموضوع ، ويعلم أن في المسلمين قسماً ليس هو منافقاً محضاً في الدرك الأسفل من النار، وليس هو من المؤمنين الذين قيل فيهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (١) ، ولا من الذين قيل فيهم: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (٢) .

فلا هم منافقون ، ولا هم من هؤلاء الصادقين المؤمنين حقاً ، ولا من الذين يدخلون الجنة بلا عقاب ، بل له طاعات ومعاص ، وحسنات وسيئات ، ومعه من الإيمان ما لا يخلد معه في النار ، وله من الكبائر ما يستوجب دخول النار ، وهذا القسم قد يسميه بعض الناس الفاسق الملي ، وهذا مما تنازع الناس في اسمه وحكمه ، والخلاف فيه أول خلاف ظهر في الإسلام في مسائل أصول الدين» (٣) .

وقال رحمه الله في موضع آخر: «وعلى هذا فقولهُ للأعراب: ﴿ ثُمَّ تَوَمَّنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ (٤) نفي حقيقة دخول الإيمان في قلوبهم ، وذلك لا يمنع أن يكون معهم شعبة منه ، كما نفاه عن الزاني ، والسارق ، ومن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ومن لا يأمن جاره بوائقه . . فحينئذ نقول : من قال من السلف : أسلمنا أي استسلمنا خوف السيف ، وقول من قال : هو الإسلام ، الجميع صحيح ؛ فإن هذا إنما أراد الدخول في الإسلام والإسلام الظاهر يدخل فيه المنافقون ، فيدخل فيه من

(١) الحجرات : ١٥ .

(٢) الأنفال : ٤ .

(٣) الإيمان الأوسط ، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٤٧٦-٤٧٩) .

(٤) الحجرات : ١٤ .

كان في قلبه إيمان ونفاق، وقد علم أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، بخلاف المنافق المحض الذي قلبه كله أسود، فهذا الذي يكون في الدرك الأسفل من النار^(١).

ثم أشار رحمه الله إلى أن قول محمد بن نصر بترادف الإيمان والإسلام قول ضعيف وقال رحمه الله إن هناك قولين منطرين «قول من يقول: الإسلام مجرد الكلمة، والأعمال الظاهرة ليست داخلة في مسمى الإسلام، وقول من يقول: مسمى الإسلام والإيمان واحد، وكلاهما قول ضعيف مخالف لحديث جبريل وسائر أحاديث النبي ﷺ، ولهذا لما نصر محمد بن نصر القول الثاني؛ لم يكن معه حجة على صحته، ولكن احتج بما يبطل به القول الأول، فاحتج بقوله في قصة الأعراب: ﴿بَلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، قال: فدل ذلك على أن الإسلام هو الإيمان.

فيقال: بل يدل على نقيض ذلك، لأن القوم لم يقولوا أسلمنا، بل قالوا أمنا، والله أمرهم أن يقولوا أسلمنا، ثم ذكر تسميتهم بالإسلام فقال: ﴿بَلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣) في قولكم أمنا، ولو كان الإسلام هو الإيمان لم يحتج أن يقول: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فإنهم صادقون في قولهم: ﴿أَسْلَمْنَا﴾ مع أنهم لم يقولوا، ولكن الله قال: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾^(٤).

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٣٠٥/٧).

(٢) الحجرات: ١٧

(٣) الحجرات: ١٧

(٤) الحجرات: ١٧

أي يمينون عليك ما فعلوه من الإسلام، فالله تعالى سمي فعلهم إسلاماً، وليس في ذلك ما يدل على أنهم سموه إسلاماً، وإنما قالوا: آمنا، ثم أخبر أن المنة تقع على الهداية إلى الإيمان، فأما الإسلام الذي لا إيمان معه، فكان الناس يفعلونه خوفاً من السيف، فلا منة لهم بفعله، وإذا لم يمين الله عليهم بالإيمان كان ذلك كإسلام المنافقين فلا يقبله الله منهم.

فأما إذا كانوا صادقين في قولهم: آمنا، فالله هو المان عليهم بهذا الإيمان وما يدخل فيه من الإسلام، وهو سبحانه نفى عنهم الإيمان أولاً، وهنا علق منة الله به على صدقهم؛ فدل على جواز صدقهم^(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي إن هؤلاء الأعراب «ليسوا بمؤمنين كاملي الإيمان لا أنهم منافقون، كما نفى الإيمان عن القاتل والزاني والسارق ومن لا أمانة له.

ويؤيد هذا سياق الآية؛ فإن السورة من أولها إلى هنا في النهي عن المعاصي، وأحكام بعض العصاة، ونحو ذلك، وليس فيها ذكر المنافقين، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَأَنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً﴾^(٢)، ولو كانوا منافقين ما نفعتهم الطاعة، ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾^(٣) الآية، يعني - والله أعلم - أن المؤمنين الكاملين الإيمان، هم هؤلاء، لا أنتم، بل أنتم منفي عنكم الإيمان الكامل.

ويؤيد هذا أنه أمرهم، أو أذن لهم، أن يقولوا: أسلمنا، والمنافق لا يقال له

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٣٧٥-٣٧٦).

(٢) الحجرات: ١٤.

(٣) الحجرات: ١٥.

ذلك، ولو كانوا منافقين لنفى عنهم الإسلام كما نفى عنهم الإيمان، ونهاهم أن يمينوا بإسلامهم، فأثبت لهم إسلاماً، ونهاهم أن يمينوا به على رسوله، ولو لم يكن إسلاماً صحيحاً، لقال: لم تسلموا بل أنتم كاذبون، كما كذبهم في قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾^(١)، والله أعلم بالصواب^(٢).

الرد الثالث :

إن مما استدل به ابن نصر على قوله بترادف الإيمان والإسلام: «أن الله مدح الإسلام بما مدح به الإيمان»^(٣).

فبين شيخ الإسلام ابن تيمية أن مراد ابن نصر من هذا الكلام هو: «أن المسلم المدوح هو المؤمن المدوح، وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان، وأن كل مؤمن فهو مسلم، وكل مسلم فلا بد أن يكون معه إيمان، وهذا صحيح وهو متفق عليه.

ومقصوده أيضاً: أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان وهذا فيه نزاع لفظي.

ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر، وهذا لا يعرف عن أحد من السلف.

وإن قيل: هما متلازمان، فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا، وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام المشهورين أنه قال: مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان، كما

(١) المنافقون: ١.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٠-٤٩١).

(٣) الصلاة (٢/٥٣٠).

نصره، بل ولا عرفت أن أحداً قال ذلك من السلف، ثم أهل السنة يقولون: الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة معهم بعض ذلك، وإنما النزاع في إطلاق الاسم، فالتقول متواترة عن السلف بأن الإيمان قول وعمل، ولم ينقل عنهم شيء من ذلك في الاسم.

ولكن لما كان الجمهور الأعظم يقولون: إن الإسلام هو الدين كله، ليس هو الكلمة فقط خلاف ظاهر ما نقل عن الزهري^(١)، فكانوا يقولون: إن الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من الأفعال المأمور بها هي من الإسلام كما هي من الإيمان، ظن أنهم يجعلونها شيئاً واحداً، وليس كذلك، فإن الإيمان مستلزم للإسلام باتفاقهم، وليس إذا كان الإسلام داخلاً فيه يلزم أن يكون هو إياه.

وأما الإسلام فليس معه دليل على أنه يستلزم الإيمان عند الإطلاق، ولكن هل يستلزم الإيمان الواجب أو كمال الإيمان؟ فيه نزاع، وليس معه دليل على أنه مستلزم للإيمان، ولكن الأنبياء الذين وصفهم الله بالإيمان ولو لم يذكر عنهم؛ فنحن نعلم قطعاً أن الأنبياء كلهم مؤمنون، وكذلك السابقون الأولون كانوا مسلمين مؤمنين، ولو قدر أن الإسلام يستلزم الإيمان الواجب فغاية ما يقال: إنهما متلازمان فكل مسلم مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وهذا صحيح، إذا أريد أن كل مسلم يدخل الجنة معه الإيمان الواجب، وهو متفق عليه إذا أريد أن كل مسلم يثاب على عبادته، فلا بد أن يكون معه أصل الإيمان، فما

(١) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب كنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ المتفق على جلالته وإتقانه، أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام، من رؤوس الطبقة الرابعة. مات سنة (١٢٥هـ).

سير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥)، التهذيب (٩/٣٩٥-٣٩٩) (٧٣٤).

من مسلم إلا وهو مؤمن، وإن لم يكن هو الإيمان الذي نفاه النبي ﷺ عن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وعمن يفعل الكبائر، وعن الأعراب وغيرهم .
 فإذا قيل: إن الإسلام والإيمان التام متلازمان، لم يلزم أن يكون أحدهما هو الآخر، كالروح والبدن، فلا يوجد عندنا روح إلا مع البدن، ولا يوجد بدن حي إلا مع الروح، وليس أحدهما الآخر. فالإيمان كالروح، فإنه قائم بالروح ومتصل بالبدن، والإسلام كالبدن، ولا يكون البدن حياً إلا مع الروح، بمعنى أنهما متلازمان، لا أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر، وإسلام المنافقين كبدن الميت جسد بلا روح، فما من بدن حي إلا وفيه روح، ولكن الأرواح متنوعة كما قال النبي ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^(١).

وليس كل من صلى ببدنه يكون قلبه منوراً بذكر الله والخشوع وفهم القرآن، وإن كانت صلواته يثاب عليها ويسقط عنه الفرض في أحكام الدنيا، فهكذا الإسلام الظاهر بمنزلة الصلاة الظاهرة، والإيمان بمنزلة ما يكون في القلب حين الصلاة من المعرفة بالله والخشوع وتدبر القرآن، فكل من خشع قلبه، خشعت جوارحه، ولا ينعكس.

ولهذا قيل: فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، ولهذا قيل: إياكم وخشوع النفاق، وهو أن يكون الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع، فإذا صلح القلب صلح الجسد كله، وليس إذا كان الجسد في عبادة يكون القلب قائماً بحقائقها»^(٢).

(١) رواه البخاري (١٢١٣/٣) ح (٣١٥٨) - كتاب الأنبياء - باب الأرواح جنود مجندة، ومسلم

(٤/٢٠٣١) ح (٢٦٣٨) - كتاب البر والصلة والآداب - باب الأرواح جنود مجندة.

(٢) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٣٦٥-٣٦٨).

الرد الرابع :

استدل ابن نصر بعدة آيات من كتاب الله تعالى على ترادف الإيمان والإسلام، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢).

وذكر أنها تدل على أن الإيمان والإسلام سواء^(٣)، فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأن هذه الآيات «تدل على وجوب الإسلام، وأنه دين الله، وأن الله يحبه ويرضاه، وأنه ليس له دين غيره، وهذا كله حق، لكن ليس في هذا ما يدل على أنه هو الإيمان.

بل يدل على أنه بمجرد الإسلام يكون الرجل من أهل الجنة، كما ذكره في حجة القول الأول، وأن الله وعد المؤمنين بالجنة في غير آية، ولم يذكر هذا الوعد باسم الإسلام.

وحينئذ فمدحه وإيجابه ومحبة الله له تدل على دخوله في الإيمان، وأنه بعض منه، وهذا متفق عليه بين أهل السنة كلهم، يقولون: كل مؤمن مسلم وكل من أتى بالإيمان الواجب فقد أتى بالإسلام الواجب، لكن النزاع في العكس.

وهكذا كما أن الصلاة يحبها الله ويأمر بها ويوجبها ويشني عليها وعلى أهلها في غير موضع، ثم لم يدل على أن مسمى الصلاة مسمى الإيمان، بل إن الصلاة تدخل في مسمى الإيمان، فكل مؤمن مصل، ولا يلزم أن يكون

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) الصلاة (١/٣٤٤-٣٤٥).

كل من صلى وأتى الكباثر مؤمناً»^(١).

ثم قال شيخ الإسلام بعد هذا الرد أن جميع ما ذكره ابن نصر: «من الحجة عن النبي ﷺ؛ فإن فيها التفريق بين مسمى الإيمان والإسلام إذا ذكرا جميعاً، كما في حديث جبريل وغيره.

وفيها أيضاً أن اسم الإيمان إذا أطلق دخل فيه الإسلام»^(٢).

الرد الخامس :

واستدل ابن نصر على قوله بترادف الإيمان والإسلام أيضاً بأن «الله سمي الإيمان بما سمي به الإسلام، وسمى الإسلام بما سمي به الإيمان»^(٣).

فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الأمر ليس كذلك «فإن الله ورسوله قد فسر الإيمان بأنه الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وبين أيضاً أن العمل بما أمر به يدخل في الإيمان، ولم يسم الله الإيمان بملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت إسلاماً، بل إنما سمي الإسلام والاستسلام له بقلبه وقصده وإخلاص الدين والعمل بما أمر به، كالصلاة والزكاة خالصاً لوجهه، فهذا هو الذي سماه الله إسلاماً وجعله ديناً وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٤)، ولم يدخل فيما خص به الإيمان، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، بل ولا أعمال القلوب، مثل حب الله ورسوله، ونحو ذلك، فإن هذه جعلها من الإيمان، والمسلم المؤمن يتصف بها، وليس

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٣٦٨/٧).

(٢) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٣٦٩/٧).

(٣) الصلاة (٥٣٣/٢).

(٤) آل عمران: ٨٥.

إذا اتصف بها المسلم المؤمن يلزم أن تكون من الإسلام.

والإسلام فرض والإيمان فرض، بل هي من الإيمان، والإسلام داخل فيه، فمن أتى بالإيمان الذي أمر به، فلا بد أن يكون قد أتى بالإسلام المتناول لجميع الأعمال الواجبة.

ومن أتى بما يسمى إسلاماً لم يلزم أن يكون قد أتى بالإيمان إلا بدليل منفصل، كما علم أن من أثنى الله عليه بالإسلام من الأنبياء وأتباعهم إلى الحواريين، كلهم كانوا مؤمنين كما كانوا مسلمين، كما قال الحواريون: ﴿آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ﴾^(٢).

ولهذا أمرنا الله بهذا وبهذا في خطاب واحد كما قال: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣) فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤).

وقال في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤).

(١) المائدة: ١١١.

(٢) المائدة: ١١١.

(٣) البقرة: ١٣٦.

(٤) آل عمران: ٨٥.

وهذا يقتضي أن كل من دان بغير دين الإسلام فعمله مردود، وهو خاسر في الآخرة، فيقتضي وجوب دين الإسلام وبطلان ما سواه، لا يقتضي أن مسمى الدين هو مسمى الإسلام، بل أمرنا أن نقول: «أما بالله»، وأمرنا أن نقول: «ونحن له مسلمون»، فأمرنا باثنين؛ فكيف نجعلهما واحداً؟^(١)

الرد السادس :

إن مما استدلل به ابن نصر على ترادف الإيمان والإسلام أن الله سبحانه وتعالى بين «في كتابه وسنة رسوله أن الإسلام والإيمان لا يفترقان، فمن صدق بالله فقد آمن به، ومن آمن بالله فقد خضع له، وقد أسلم له، ومن صام وصلى وقام بفرائض الله وانتهى عما نهى الله عنه فقد استكمل الإيمان والإسلام المفترض عليه، ومن ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الإيمان ولا الإسلام، إلا أنه أنقص من غيره في الإسلام والإيمان، من غير نقصان من الإقرار بأن الله حق، وما قال حق لا باطل؛ وصدق لا كذب، ولكن ينقص من الإيمان الذي هو تعظيم الله، وخضوع للهية والجلال، والطاعة للمصدق به وهو الله، فمن ذلك يكون النقصان لا من إقرارهم بأن الله حق وما قال صدق»^(٢).

فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بأن «ما ذكره يدل على أن من أتى بالإيمان الواجب فقد أتى بالإسلام، وهذا حق، ولكن ليس فيه ما يدل على أن من أتى بالإسلام الواجب فقد أتى بالإيمان.

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٤٠٩-٤١١).

(٢) الصلاة (٢/٥٣٤-٥٣٥).

فقوله: «من آمن بالله فقد خضع له وقد استسلم له» حق، لكن أي شيء في هذا يدل على أن من أسلم لله وخضع له فقد آمن به وبملائكته وبكتبه ورسله والبعث بعد الموت.

وقوله: «إن الله ورسوله قد بين أن الإسلام والإيمان لا يفترقان»، إن أراد أن الله أوجبهما جميعاً ونهى عن التفريق بينهما؛ فهذا حق، وإن أراد أن الله جعل مسمى هذا مسمى هذا، فنصوص الكتاب والسنة تخالف ذلك، وما ذكر قط نصاً واحداً يدل على اتفاق المسلمين.

وكذلك قوله: «من فعل ما أمر به وانتهى عما نهى عنه فقد استكمل الإيمان والإسلام»؛ فهذا صحيح، إذا فعل ما أمر به باطناً وظاهراً، ويكون قد استكمل الإيمان والإسلام الواجب عليه، ولا يلزم أن يكون إيمانه وإسلامه مساوياً للإيمان والإسلام الذي فعله أولو العزم من الرسل كالخليل إبراهيم، ومحمد خاتم النبيين، عليهما السلام، بل كان معه من الإيمان والإسلام ما لا يقدر عليه غيره ممن ليس كذلك ولم يؤمر به.

وقوله: «من ترك من ذلك شيئاً فلن يزول عنه اسم الإسلام والإيمان، إلا أنه أنقص من غيره في ذلك».

فيقال: إن أريد بذلك أنه بقي معه شيء من الإسلام والإيمان فهذا حق كما دلت عليه النصوص، خلافاً للخوارج والمعتزلة^(١).

وإن أراد أن يطلق عليه بلا تقييد مؤمن ومسلم في سياق الثناء والوعد بالجنة، فهذا خلاف الكتاب والسنة، ولو كان لدخلوا في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ

(١) سيأتي التعريف بها عند رد ابن نصر عليها.

المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار» (١) ، وأمثال ذلك مما وعدوا فيه بالجنة بلا عذاب .

وأيضاً فصاحب الشرع قد نفى عنهم الاسم في غير موضع ، بل قال : «قتال المؤمن كفر» (٢) ، وقال : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» (٣) .

وإذا احتج بقوله : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا ﴾ (٤) ، ونحو ذلك .

قيل : كل هؤلاء إنما سموا به مع التقييد بأنهم فعلوا هذه الأمور ، ليذكر بما يؤمرون به هم وما يؤمر به غيرهم .

وكذلك قوله : «لا يكون التقصان من إقراره بأن الله حق وما قاله صدق» .

فيقال : بل التقصان يكون في الإيمان الذي في القلوب من معرفتهم ومن علمهم ، فلا تكون معرفتهم وتصديقهم بالله وأسمائه وصفاته ، وما قاله من أمر ونهي ووعد ووعيد ، كمعرفة غيرهم وتصديقه ، لا من جهة الإجمال والتفصيل ، ولا من جهة القوة والضعف ، ولا من جهة الذكر والغفلة ، وهذه الأمور كلها داخلية في الإيمان بالله ، وبما أرسل به رسوله .

وكيف يكون الإيمان بالله وأسمائه وصفاته متمثالاً في القلوب؟

(١) التوبة : ٧٢ .

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٧٦/١) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٨٢/٦) .

(٣) رواه البخاري (٢٥٩٣/٦) ح (٦٦٦٦) - كتاب الفتن - باب قول النبي ﷺ لا ترجعوا بعدي كفاراً... إلخ ، ومسلم (٨١/١) ح (٨٢-٨١) - كتاب الإيمان - باب معنى قول النبي لا ترجعوا بعدي كفاراً... إلخ .

(٤) الحجرات : ٩ .

أم كيف يكون الإيمان بأنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه غفور رحيم، عزيز حكيم، شديد العقاب، ليس هو من الإيمان به؟ فلا يمكن مسلماً أن يقول: إن الإيمان بذلك ليس من الإيمان به، ولا يدعي تماثل الناس فيه.

وأما ما ذكره من أن الإسلام ينقص كما ينقص الإيمان، فهذا أيضاً حق كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، فإن من نقص من الصلاة والزكاة والصوم أو الحج شيئاً، فقد نقص من إسلامه بحسب ذلك، ومن قال: إن الإسلام هو الكلمة فقط، وأراد بذلك أنه لا يزيد ولا ينقص فقوله خطأ، ورد الذين جعلوا الإسلام والإيمان سواء إنما يتوجه إلى هؤلاء؛ فإن قولهم في الإسلام يشبه قول المرجئة^(١) في الإيمان.

ولهذا صار الناس في الإيمان والإسلام على ثلاثة أقوال:

فالمرجئة يقولون: الإسلام أفضل، فإنه يدخل فيه الإيمان.

وآخرون يقولون: الإيمان والإسلام سواء، وهم المعتزلة والخوارج، وطائفة من أهل الحديث والسنة، وحكاه محمد بن نصر عن جمهورهم وليس كذلك.

والقول الثالث: إن الإيمان أكمل وأفضل، وهذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة في غير موضع، وهو المأثور عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان^(٢).

(١) سيأتي التعريف بالمرجئة عند رد ابن نصر عليهم.

(٢) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٤١٢ - ٤١٤).

الرد السابع :

استدل ابن نصر على قوله بترادف الإيمان والإسلام بـ «قول الله تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١) . وقال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٢) ؛ فسمى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة ديناً قيماً ، وسمى الدين إسلاماً ، فمن لم يؤد الزكاة فقد ترك من الدين القيم - الذي أخبر الله أنه عنده الدين وهو الإسلام - بعضاً ، وقد جامعنا هذه الطائفة التي فرقت بين الإسلام والإيمان ، على أن الإيمان قول وعمل . . . فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة ، ولا فرق بينه وبين المرجئة ، إذ زعمت أن الإيمان إقرار^(٣) بلا عمل^(٤) .

فرد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : «أما قوله إن الله جعل الصلاة والزكاة من الدين ، والدين عنده هو الإسلام ، فهذا كلام حسن موافق لحديث جبريل ، ورده على من جعل العمل خارجاً من الإسلام كلام حسن ، وأما قوله : إن الله سمي الإيمان بما سمي به الإسلام ، وسمى الإسلام بما سمي الإيمان ، فليس كذلك ، فإن الله إنما قال : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٥) ، ولم يقل قط إن الدين عند الله الإيمان ، ولكن هذا الدين من الإيمان ، وليس إذا كان منه يكون هو إياه ؛ فإن الإيمان أصله معرفة القلب وتصديقه .

وقوله : «والعمل تابع لهذا العلم والتصديق ملازم له ، ولا يكون العبد

(١) البينة : ٥ .

(٢) آل عمران : ١٩ .

(٣) في المطبوع (بما) ، والمثبت من الإيمان لابن تيمية (٧/ ٣٧٧) .

(٤) الصلاة (٢/ ٥٣٣ - ٥٣٤) .

(٥) آل عمران : ١٩ .

مؤمناً إلا بهما»، وأما الإسلام فهو عمل محض مع قول، والعلم والتصديق ليس جزءاً مسماه، لكن يلزمه جنس التصديق، فلا يكون عمل إلا بعلم، لكن لا يستلزم الإيمان المفصل الذي بينه الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(١)، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).
وسائر النصوص التي تنفي الإيمان عن من لم يتصف بما ذكره.

فإن كثيراً من المسلمين مسلم باطناً وظاهراً ومعه تصديق مجمل، ولم يتصف بهذا الإيمان، والله تعالى قال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٤)، ولم يقل: ومن يتبع غير الإسلام علماً ومعرفة وتصديقاً وإيماناً.

فإن الإسلام من جنس الدين والعمل والطاعة والانقياد والخضوع، فمن ابتغى غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، والإيمان طمأنينة ويقين، أصله علم وتصديق ومعرفة، والدين تابع له، يقال: آمنت بالله وأسلمت لله، قال موسى: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^(٥)، فلو كان مسماهما واحداً كان هذا تكريراً، وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ

(١) الحجرات: ١٥.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) آل عمران: ٨٥.

(٤) المائدة: ٣.

(٥) يونس: ٨٤.

وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿١﴾ ، كما قال : والصادقين والصابرين والخاشعين ، فالمؤمن متصف بهذا كله ، لكن هذه الأسماء لا تطابق الإيمان في العموم والخصوص .

وكان النبي ﷺ يقول : «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت» كما ثبت في الصحيحين أنه كان يقول ذلك إذا قام من الليل^(٢) ، وثبت في صحيح مسلم وغيره أنه كان يقول في سجوده : «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت»، وفي الركوع يقول : « لك ركعت، ولك أسلمت، وبك آمنت»^(٣) .

ولما بين النبي ﷺ خاصة كل منهما قال : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم»^(٤) ، ومعلوم أن السلامة من ظلم الإنسان غير كونه مأموناً على الدم والمال فإن هذا أعلى ، والمأمون يسلم الناس من ظلمه وليس من سلموا من ظلمه يكون مأموناً عندهم^(٥) .

أما قول ابن نصر : «فمن زعم أن الإسلام هو الإقرار وأن العمل ليس منه فقد خالف الكتاب والسنة»^(٦) ، فقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : «هذا

(١) الأحزاب : ٣٥ .

(٢) رواه البخاري (٣٦٧/١) ح (١٠٦٩) - كتاب أبواب التهجد - باب التهجد بالليل . . . إلخ ،

ومسلم (٢٠٨٦/٤) ح (٢٧١٧) - كتاب الذكر والدعاء - باب التعوذ من شر ما عمل . . . إلخ .

(٣) رواهما مسلم (٥٣٤/١ - ٥٣٦) ح (٧٧١) - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء

في صلاة الليل وقيامه ، والترمذي (٤٥٢/٥) ح (٣٤٢١) - كتاب الدعوات - باب (٣٢) .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٦٩ .

(٥) الإيمان ، ضمن مجموع الفتاوى (٣٧٧/٧ - ٣٧٩) .

(٦) الصلاة (٥٣٣/٢) .

صحيح، فإن النصوص كلها تدل على أن الأعمال من الإسلام»^(١).

لكن اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية على قول ابن نصر السابق بأنه: «لا فرق بينه وبين المرجئة؛ إذ زعمت أن الإيمان إقرار بلا عمل»^(٢)، فاعترض عليه وقال: «بل بينهما فرق، وذلك أن هؤلاء الذين قالوا من أهل السنة كالزهري ومن وافقه يقولون: الأعمال داخلة في الإيمان، والإسلام عندهم جزء من الإيمان، والإيمان عندهم أكمل، وهذا موافق للكتاب والسنة، ويقولون: الناس يتفاضلون في الإيمان، وهذا موافق للكتاب والسنة، والمرجئة يقولون: الإيمان بعض الإسلام، والإسلام أفضل، ويقولون: إيمان الناس متساو؛ فإيمان الصحابة وأفجر الناس سواء، ويقولون: لا يكون مع أحد بعض الإيمان دون بعض، وهذا مخالف للكتاب والسنة»^(٣).

الرد الثامن:

استدل من قال بالترادف باتحاد الحكم بين المؤمن والمسلم وقالوا: «ما حكم من آمن ولم يسلم، أو أسلم ولم يؤمن في الدنيا والآخرة؟ فمن أثبت لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر ظهر بطلان قوله»^(٤).

فرد شارح الطحاوية على القائلين بهذا بقوله: «ويقال له في مقابل تشنيعه: أنت تقول: المسلم هو المؤمن، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٥)، فجعلهما غيرين.

(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٣٧٩/٧).

(٢) الصلاة (٥٣٣-٥٣٤).

(٣) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٣٧٩/٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٤٩٣/٢).

(٥) الأحزاب: ٣٥.

وقد قيل لرسول الله ﷺ: «مالك عن فلان والله إنني لأراه مؤمناً، قال: أو مسلم»^(١). قالها ثلاثاً. فأثبت له اسم الإسلام، وتوقف في اسم الإيمان، فمن قال: هما سواء، كان مخالفاً، والواجب رد موارد النزاع إلى الله ورسوله، وقد يتراءى في بعض النصوص معارضة ولا معارضة بحمد الله تعالى، ولكن الشأن في التوفيق، وبالله التوفيق»^(٢).

ورد رحمه الله على من احتج بقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين»^(٣) على ترادف الإيمان والإسلام^(٤)، فقال: «فلا حجة فيه؛ لأن البيت المخرج كانوا موصوفين بالإسلام والإيمان، ولا يلزم من الاتصاف بهما ترادفهما»^(٥).

القول الراجح:

بعد بيان أقوال وأدلة من قال باتحاد الإيمان والإسلام، ومن قال بتغايرهما، يظهر - والله أعلم - أن القول الراجح هو: القول بالتغاير في اجتماعهما.

لأنه يجب علينا «رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله، والرد إلى الله ورسوله في مسألة الإسلام والإيمان يوجب أن كلاً من الاسمين وإن كان مسماه واجباً، لا يستحق أحد الجنة إلا بأن يكون مؤمناً مسلماً، فالحق في ذلك ما بينه النبي في حديث جبريل، فجعل الدين وأهله ثلاث طبقات: أولها الإسلام،

(١) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٢٧.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٣).

(٣) الذاريات: ٣٥-٣٦.

(٤) انظر: الدرر لابن حزم ص ٣٦١.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٩٣).

وأوسطها الإيمان، وأعلىها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى التي تليها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأما المسلم فلا يجب أن يكون مؤمناً، وهكذا جاء القرآن فجعل الأمة على هذه الأصناف الثلاثة^(١).

والقائلون باتحاد الإيمان والإسلام يلزمهم أن يقعوا في أحد أمرين «فإما أن يقولوا: اللفظ مترادف فيكون هذا تكريراً محضاً، ثم مدلول هذا اللفظ عين مدلول الآخر، وإما أن يقولوا: بل أحد اللفظين يدل على صفة غير الصفة الأخرى، كما في أسماء الله وأسماء كتابه، لكن هذا لا يقتضي الأمر بهما جميعاً، ولكن يقتضي أن يذكر تارة بهذا الوصف وتارة بهذا الوصف»^(٢).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والذي يظهر من مجموع الأدلة أن لكل منهما حقيقة شرعية، كما أن لكل منهما حقيقة لغوية، لكن كل منهما مستلزم للآخر بمعنى التكميل»^(٣).



(١) الإيمان، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٣٥٧-٣٥٨).

(٢) المرجع السابق (٧/٤١١).

(٣) فتح الباري (١/١٤١).

الفصل الرابع

كـونُ الإيـمانِ قولاً وعملاً يزيدُ وينقصُ

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : اختلاف الناس في مسمى الإيمان،
مع بعض أقوال أهل السنة في ذلك.

المبحث الثاني : قول الإمام ابن نصر في كون
الإيمان قول وعمل وأن له حقيقة.

المبحث الثالث : الأدلة من الكتاب والسنة على أن
الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

المبحث الرابع : كون الإيمان يزيد وينقص وهل له
غاية؟

المبحث الأول

اختلاف الناس في مسمى الإيمان

مع بعض أقوال أهل السنة في ذلك

وقع الخلاف بين هذه الأمة في مسمى الإيمان، وعلى ماذا يطلق، وهل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان؟ على عدة أقوال:

- ١ - الإيمان قول وعمل واعتقاد، وهو مذهب أهل السنة والجماعة.
- ٢ - الإيمان قول واعتقاد، دون العمل، وهو مذهب الإمام أبي حنيفة ومن وافقه.

قال الإمام أبو حنيفة: «الإيمان هو الإقرار والتصديق»^(١).

وقال أيضاً: «الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالجنان، والإقرار وحده لا يكون إيماناً»^(٢).

٣ - الإيمان إقرار باللسان، وهو قول الكرامية، وهو باطل؛ لأن على قولهم هذا يكون المنافقون من أهل الإيمان^(٣).

٤ - الإيمان هو المعرفة بالقلب، وهو قول الجهمية، وهو باطل أيضاً؛ لأن

(١) الفقه الأكبر ص ٣٠٤، مع شرحه للفقاري - ط. دائرة الكتب العلمية.

(٢) شرح الوصية ص ٢، لملا حسن الإسكندر - ط. دائرة المعارف العثمانية.

(٣) انظر: مسائل الإيمان لأبي يعلى ص ١٥٩، والإيمان لابن تيمية (٧/١٤١)، والفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣/٨٨).

الكفار على قولهم هذا يكونون مؤمنين^(١).

والأقوال الثلاثة الأخيرة أخرجت العمل عن مسمى الإيمان، ولم تر أن الإيمان يزيد وينقص.

ومن تأمل كتاب الله عز وجل وسنة الرسول الكريم ﷺ وأقوال سلف هذه الأمة يجد أن الإيمان لا يكون إلا بالعمل وأداء الفرائض، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَثَابٌ﴾^(٢). فجعل الله سبحانه الجنة جزاء لمن آمن وعمل الصالحات.

وسأورد بعض أقوال جهابذة هذه الأمة الدالة على دخول العمل في مسمى الإيمان وأنه يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وأفعال الخير، وينقص بالمعاصي والآثام.

وقد أجمع أهل العلم على أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص، وقد حكى الإجماع عنهم غير واحد من السلف، منهم:

١ - الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)^(٣).

٢ - الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ)^(٤).

(١) انظر: مسائل الإيمان لأبي يعلى ص ١٦١، والإيمان لابن تيمية (١/٧)، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/٢١٤)، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢١١، والملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٢) الرعد: ٢٩.

(٣) الإيمان لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى (٧/٣٠٩)، والنص بالإجماع غير موجود في كتاب الإيمان لأبي عبيد.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإلكاني (٦/٨٨٦-٨٨٧).

٣ - الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) (١).

٤ - الإمام اللالكائي (ت ٤١٨هـ) (٢).

٥ - الإمام ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) (٣).

٦ - الإمام البغوي (ت ٥١٦هـ) (٤).

فقد نقلوا إجماع السلف على أن الإيمان قول وعمل وأنه يزيد وينقص،
ومن تكلم من العلماء في هذه المسألة وبسط القول فيها :

١ - الإمام مالك رحمه الله (ت ١٧٩هـ) الذي يقول إن «الإيمان قول وعمل،
يزيد وينقص» (٥).

٢ - وقال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): «الإيمان قول وعمل، يزيد
وينقص» (٦).

وقال: «الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب، ألا ترى قول الله عز وجل:
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (٧)، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس،
فسمى الصلاة إيماناً، وهي قول وعمل وعقد» (٨).

(١) فتح الباري (١/٦١).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٨٣٢).

(٣) التمهيد (٩/٢٣٨).

(٤) شرح السنة (١/٣٨).

(٥) الحلية لأبي نعيم الأصبهاني (٦/٣٢٧)، نشر دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان - ط .
١٤٠٩هـ.

(٦) مناقب الشافعي لليهقي (١/٣٨٧)، تحقيق: أحمد صقر، نشر دار التراث - مصر - ط . الأولى .

(٧) البقرة: ١٤٣.

(٨) الانتقاء لابن عبد البر ص ٨١، نشر دار الكتب العلمية.

٣ - وقال الإمام أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ): «فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا مما اقتصصنا في كتابنا هذا، أن الإيمان بالنية والقول جميعاً، وأنه درجات بعضها فوق بعض . . . وكلما ازداد لله طاعة وتقوى ازداد به إيماناً»^(١).

٤ - وقال الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) عندما سئل عن الأرجاء فقال: «نحن نقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، إذا زنى وشرب الخمر نقص إيمانه»^(٢).

٥ - وقال الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ): «لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص»^(٣).

٦ - وقال أبو محمد البربهاري (ت ٣٢٩هـ)^(٤) اعلم «بأن الإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء»^(٥).

٧ - وكون الإيمان قولاً وعملاً هو اعتقاد أئمة الحديث، كما حكى عنهم أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ) أنهم يقولون: «إن الإيمان قول وعمل

(١) الإيمان لأبي عبيد ص ٦٦.

(٢) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (١/٣٠٧).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١/٦١).

(٤) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه، شيخ الحنابلة، القدوة الإمام، كان قوياً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، له شرح كتاب السنة.

انظر: طبقات الحنابلة (٢/١٨ - ٤٥)، سير أعلام النبلاء (٥/٩٠ - ٩٣).

(٥) كتاب شرح السنة ص ٢٧، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، نشر دار ابن القيم - ط. الأولى -

ومعرفة»^(١).

٨- وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني^(٢) (ت ٤٤٩ هـ) إن «مذهب أهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ومعرفة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية»^(٣).

٩- ونقل ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) الإجماع فقال: «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان»^(٤).

١٠- وحكى البغوي (ت ٥١٦ هـ) الاتفاق على هذا فقال: «اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان... وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء»^(٥).

١١- وقال أبو القاسم الأصبهاني (ت ٥٣٥ هـ): «قال علماء السلف... والإيمان قول وعمل ونية، يزيد وينقص؛ زيادته البر والتقوى، ونقصانه الفسوق والفجور»^(٦).

(١) اعتقاد أئمة الحديث ص ٦٣.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عائذ أبو عثمان الصابوني، الحافظ الواعظ المفسر، كان شيخ خراسان في زمانه، له عدة مصنفات.

انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤/ ٢٧١-٢٩٢)، شذرات الذهب (٣/ ٢٨١-٢٨٣).

(٣) اعتقاد السلف أصحاب الحديث ص ٦٧، تحقيق: بدر البدر، نشر الدار السلفية - ط. الأولى - ١٤٠٢ هـ.

(٤) التمهيد (٩/ ٢٣٨).

(٥) شرح السنة (١/ ٣٨-٣٩).

(٦) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٦٢-٢٦٤).

١٢ - وقال الإمام موفق الدين بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)^(١) : «والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان»^(٢).

١٣ - وأختم بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) حيث ذكر أن «من أصول أهل السنة والجماعة، أن الدين قول وعمل : قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»^{(٣) (٤)}.



(١) هو الإمام الشيخ القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمد بن قدامة الصالحي الحنبلي، كان إماماً عالماً في العلم والعمل، وعنده فقه وأدب ومعرفة بالشعر وأخبار الناس، له مصنفات عدة من أشهرها: المغني، والكافي، ومسألة العلو حقه د. أحمد عطية الغامدي.

سير أعلام النبلاء (٢٢/١٦٥-١٧٣)، شذرات الذهب (٥/٨٨-٩٢).

(٢) لمعة الاعتقاد ص ٣٣، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة دار البيان - ط. الثانية - ١٣٩١هـ.

(٣) العقيدة الواسطية ص ٢٥.

(٤) انظر أيضاً:

١ - السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد (٢/٧٦٠) فما بعدها.

٢ - الإبانة للأشعري ص ٦٥.

٣ - الشريعة للأجري ص ١١٩.

٤ - الإبانة الصغرى لابن بطة ص ١٧٧.

٥ - الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٧٦٠) فما بعدها.

٦ - الاعتقاد لليهقي ص ٩٥.

المبحث الثاني

قول الإمام ابن نصر في أن الإيمان قول وعمل وأن له حقيقة

يذهب الإمام ابن نصر إلى مثل ما ذهب إليه السلف الصالح من أن الإيمان قول وعمل فيقول: «إن الإيمان قول وعمل، وإن الصلاة والزكاة من الإيمان»^(١).

ويذكر رحمه الله أن الله شهد بالإيمان لمن أقام الصلاة خالصة لوجهه الكريم وابتغاء ما عنده في الدار الآخرة، حيث يقول: «وشهد الله بالإيمان لمن أقام الصلاة لربه، فقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾»^(٢).

وروى بسنده عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «إذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان، قال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾»^(٣)،^(٤).

(١) الصلاة (٢/٥٣٣).

(٢) التوبة: ١٨.

(٣) التوبة: ١٨.

(٤) الصلاة (١/٣٤٠).

وقال رحمه الله: إن الله سمى الصلاة إيماناً بعد أن شهد لأهلها بالإيمان .
يقول رحمه الله: «وسماها الله إيماناً وإسلاماً ودينياً فقال: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ (١)» .

ثم روى بسنده عن ابن عباس قال: لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا:
كيف بمن مات من إخواننا قبل ذلك؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ
إِيمَانَكُمْ﴾ (٢) (٣) .

فيتضح من خلال هذه النصوص أن ابن نصر يرى أن العمل جزء الإيمان
وأن الإيمان مكون من قول وعمل، وأن الله سبحانه وصف المؤمنين بالأعمال
وألزمهم حقيقة الإيمان بعد قيامهم بالأعمال من صلاة وزكاة وحج وغيرها،
وأن إيمان العبد لا يكمل إلا بأداء ما أمر الله به .

يقول رحمه الله: «وصف الله عز وجل المؤمنين بالأعمال، ثم ألزمهم

= الصلاة، وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في صحيحه (٣/١١٠) ح (١٧١٨)
- كتاب الصلاة - باب فضل الصلوات الخمس، وابن خزيمة في صحيحه (٢/٣٧٩) ح
(١٥٠٢) - كتاب الإمامة في الصلاة - باب الشهادة بالإيمان . . الخ، وابن ماجه (١/٢٦٣)
ح (٨٠٢) - كتاب المساجد والجماعات - باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، ورواه أحمد
في المسند (٣/٧٦) . والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف الجامع الصغير (١/١٨٤)
ح (١٦٠٨) .

(١) البقرة: ١٤٣ .

(٢) البقرة: ١٤٣ .

(٣) الصلاة (١/٣٤١) .

والحديث رواه الترمذي (٥/١٩٢) ح (٢٩٦٤) - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة
البقرة، ورواه أبو داود (٤/٤٠٨) ح (٤٦٨٠) - كتاب السنة - باب الدلالة على زيادة
الإيمان ونقصانه، والحاكم في المستدرک (٢/٢٦٩) - كتاب التفسير - سورة البقرة، وقال:
هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

حقيقة الإيمان ووصفهم بها بعد قيامهم بالأعمال من الصلاة والزكاة وغيرها، فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١﴾ ، ثم قال: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (١) ، فوصفهم بحقيقة الإيمان بعد قيامهم بالأعمال التي ذكرها (٢) .

وذكر ابن نصر أن الله نعت عباده بحقيقة الإيمان إذا امتثلوا له وأخبتوا: «في مواضع من كتابه منها: قوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ (٣) .

وقوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴾ (٤) .
وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ (٥) .
فهذه الآيات التي شرحت الإيمان وأبانت سبله التي وصف الله أهلها بها (٦) .

وحذر ابن نصر بعد ذلك من رد خبر المولى سبحانه وإطلاق حقيقة الإيمان على من لا يستحقها ولا يقيم لشعائر الله وزناً حيث يقول: «فليس لأحد أن يعارض خبر الله بالرد، ويقلب وصفه ويبدله؛ فيقول: إن المؤمنين الذين إذا ذكر الله لم توجل قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته لم تزدهم إيماناً، ولا يتكلمون

(١) الأنفال: ٢-٤ .

(٢) الصلاة: (١/٣٥٦-٣٥٧) .

(٣) الأنفال: ٢-٤ .

(٤) المؤمنون: ١-١٠ .

(٥) التوبة: ١١١ .

(٦) الصلاة: (٢/٥٧٧) .

على ربهم، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة؛ أولئك هم المؤمنون حقاً، فيبدل وصف الله، ويقلب حكمه، فثبت أول الآية وثبت آخرها بالحقيقة لمن آمن بالله، ويلغي ما بين أولها وآخرها من العمل، فيسمي المؤمن مؤمناً حقاً بإلغاء ما بين أول الآية وآخرها من العمل، فيكون قد عارض حكم الله بالرد.

ولو كان كل مؤمن حقاً لما كان لقول الله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(١) بعد الأعمال التي وصفهم بها معنى؛ إذ كان من عمل تلك الأعمال ومن لم يعملها مؤمناً حقاً، ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال: هذا إنسان حقاً لأنه لا يكون إنساناً باطلاً، ويجوز أن يقال: هذا إنسان حقاً ليميز بينه وبين الإنسان الباطل، الذي ليس بإنسان حقاً.

وكذلك لا يجوز أن يقال مؤمن حقاً، لو كان ليس للإيمان خصوص وعموم، كما أن ليس للإنسان خصوص وعموم، كما يقول القائل: [«فلان»^(٢) رجل حقاً لا يريد] أنه ذكر حقاً، ليس بأنثى، لأنه لا جائز أن يكون ذكراً باطلاً، ولكنه يريد بقوله: رجلاً حقاً: أي كاملاً في قوته وبصره وحسن تدبيره، فجاز ذلك على هذا المعنى^(٣).

واستنتج ابن نصر من هذا الكلام أنه ليس كل مؤمن مؤمناً حقاً؛ لأن كلمة حقاً تمثل عنده كمال الإيمان حيث يقول: «فكذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٤) إبانة عن استكمال الإيمان، وفي ذلك دلالة على أن من المؤمنين من ليس بمؤمن حقاً من طريق الكمال، إلا أنه لا يكون مؤمناً باطلاً،

(١) الأنفال: ٤.

(٢) في المطبوع (فلا)، والتصحيح من النسخة التي حققها د. الريش.

(٣) الصلاة (١/٣٥٧).

(٤) الأنفال: ٤.

إذ لم يكن مؤمناً حقاً؛ لأنه لا يجوز أن يكون مؤمناً باطلاً، فلما لم يجر أن يكون مؤمناً باطلاً ثبت أن قول الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(١) خصوصية خص هؤلاء بها، دون سائر المؤمنين^(٢).

ثم ضرب ابن نصر الأمثلة التالية ليؤكد على أن لفظ «حقاً» خصوصية خص الله بها المؤمنين لأنهم قاموا بأمره، وأدوا ما شرعه لهم بإخلاص، يقول رحمه الله: «كما يقول القائل: هذا رجل عربي، لأن من الرجال من ليس بعربي، ولو كان كل رجل عربياً، ولا يكون رجل غير عربي، لكان قول القائل: هذا رجل عربي لا معنى له، وذلك كما يقول القائل: هذا رجل بصير؛ لأن في الناس من ليس ببصير، ولو كانوا كلهم بصراء ما كان لقولك: هذا رجل بصير معنى، ولكان قولك كقول القائل: هذا إنسان آدمي بشري، ولا معنى لهذا التكرار إلا العي.

ولو قلت: هذا إنسان قوي، لجاز في اللغة والمعقول، إذ كان في الناس من هو ضعيف ليس بالقوي، ولولا أن في المؤمنين من ليس بمؤمن كامل من قبل الحقيقة والكمال لما قال الله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ يدحهم بذلك دون غيرهم من المؤمنين، إلا ولا جائز أن يكون مؤمناً باطلاً، ولو جاز أن يكون مؤمناً من باطل لجاز أن يقال: مؤمن حقاً يريد أنه مقرر ليعلم عباده أنه ليس كمن آمن باطلاً، فإذا لم يجر أن يكون مؤمناً باطلاً لم يكن لقوله حقاً معنى إلا حقيقة الكمال والتمام؛ لأنه قد يكون مؤمن مقصر عن الحقيقة، وآخر قد بلغ الحقيقة فلذلك قال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾، ولو لم يكن

(١) الأنفال: ٤.

(٢) الصلاة (١/٣٥٧-٣٥٨).

كذلك لم يكن لخصوصية الرب قوماً وصفهم بالحقيقة دون غيرهم معنى يصح، وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل العقل والبصر باللغة من المسلمين فكيف بالله تبارك وتعالى»^(١).

واستدل ابن نصر على أن بعض المؤمنين لم يصلوا إلى حقيقة الإيمان المنشودة التي أثنى الله على أصحابها بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ بالحديث التالي الذي يقول قبله:

«ومما يدل ويحقق ما ذكرنا أن من الرجال من قد يجوز أن يسمى بالإيمان ويوصف به، ولما لم يبلغ حقيقة استكمالها: الخبر المروي عن النبي ﷺ - الذي رواه ابن نصر بسنده - عن أنس بن مالك قال:

«بينما رسول الله ﷺ يمشي إذا استقبله شاب من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: كيف أصبحت يا حارث^(٢)؟ قال: أصبحت مؤمناً بالله حقاً، قال: انظر ما تقول، إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولك؟ قال: يا رسول الله، عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهارى، وكأني بعرش ربي بارزاً، وكأني أنظر إلى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وكأني أنظر إلى أهل النار كيف يتعاورون فيها، قال: أبصرت فالزم، عبد نور الله الإيمان في قلبه.

قال: يا رسول الله، ادع لي بالشهادة، فدعا رسول الله ﷺ له بالشهادة، فنودي يوماً في الخيل فكان أول فارس ركب وأول فارس استشهد، فبلغ أمه فجاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، أخبرني عن ابني؟ إن يك

(١) الصلاة (١/٣٥٨-٣٥٩).

(٢) هو الحارث بن مالك الأنصاري، صحابي جليل.

انظر: الإصابة لابن حجر (١/٢٨٩)، (١٤٧٨).

في الجنة، لم أبك ولم أحزن، وإن يك غير ذلك بكيته ما عشت في الدنيا، قال: يا أم حارث^(١)، إنها ليست بجنة واحدة، ولكنها جنة في جنان، فالحارث في الفردوس الأعلى. فرجعت وهي تضحك وتقول: بخ بخ^(٢) لك يا حارث^(٣).

ثم قال ابن نصر بعد إيراده لهذا الحديث: «أفلا ترى أن النبي ﷺ أنكسر قوله: أصبحت مؤمناً حقاً، حتى سأله عن حقيقة إيمانه ما هي؟

فلما أخبره بالعلامات التي تدل على حقائق الإيمان واستكمالها أجاز ذلك له حينئذ، وقال: «عبد نور الله الإيمان في قلبه»، فحقيقة الإيمان واستكمالها لا يجوز إلا بأداء الأعمال المفترضة واجتناب المحارم^(٤).

ثم بين رحمه الله أن المعرفة والإقرار لا تكون إيماناً مطلقاً، ولو كان هذا إيماناً لكان المنافقون مؤمنين، وكان اليهود من أهل الملة لأنهم معترفون بالله وأن ما جاء به الرسول ﷺ هو الحق، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

يقول رحمه الله: «أن الإيمان ليس هو عندنا المعرفة وحدها ولا القول

(١) هي الربيع بنت النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارية، أخت أنس بن النضر وعمه أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وهي من بني عدي بن النجار. الإصابة (٤/٢٩٤) (٤١٦).

(٢) بخ بخ: هي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء وتكرر للمبالغة، ومعناها تعظيم الأمر وتضخيمه. النهاية (١/٦٣).

(٣) الصلاة (١/٣٥٩ - ٣٦٠).

والحديث رواه ابن المبارك في كتاب الزهد ص ١٠٦، ح (٣١٤)، وابن أبي شعبة في الإيمان ص ٣٨ ح (١١٥)، وقال الألباني: والحديث معضل، وفي مصنفه (١١/٤٢)، ح (١٠٤٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير (٣/٣٠٢)، وابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٤)، والسيوطي في الدر المنثور (٤/١٣).

(٤) الصلاة (١/٣٦١).

وحده، لأننا قد وجدنا المنافقين يقرون بالسنتهم وهم كافرون، ووجدنا اليهود قد عرفوا الله ورسوله بقلوبهم وهم كافرون، فلما كانت المعرفة في عينها إذا انفردت لا إيمان، وكان القول إذا انفرد لا إيمان، فإذا ضمما لم يكونا إيماناً إلا بشرطة نيته.

لأنه ليس من شيئين ينفردان خارجين من بعض الأجناس، ثم يجتمعان فيدخلان في غير جنسهما، إلا أن يزيد فيهما معنى، وهو أن يجوز معرفة ليست بمعرفة تسبق على كتاب سمع كمعرفة اليهود، لا معرفة بيان أوجبها الاضطراب؛ فإبليس عاين ما لم يجد للشك فيه مساعاً يعرف، ثم أبي السجود... فبذلك ثبت أن الإيمان يوجب الإجلال لله، والتعظيم له والخوف منه، والتسارع إليه بالطاعة، على قدر ما يوجب في القلب في عظيم المعرفة، وقدر المعروف»^(١).

وقال ابن نصر إن الذين قالوا إن القول باللسان أصل للإيمان: «فقد أوجبوا للمنافقين أصل الإيمان؛ إذ يشهدوا للنبي ﷺ أنه رسول الله، وقد أكذبهم الله وأخبر أنهم كاذبون، ثم أخبر عن الأعراب الذين قالوا آمنة فقال: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا﴾^(٢)، فأخبر أن قولهم ذلك ليس بإيمان، ثم أخبر أن الإيمان أوله على القلب فقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

فقد دل القرآن على إكفار من أقر بلسانه وقلبه منكر»^(٥).



(١) الصلاة: (٢/٧٧٤-٧٧٦).

(٢) الحجرات: ١٤

(٣) الحجرات: ١٤

(٤) البقرة: ٨.

(٥) الصلاة: (٢/٧٧٦).

المبحث الثالث

الأدلة من الكتاب والسنة

على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان

بعدما ذكر ابن نصر أن الإيمان مركب من قول وعمل، وأن العبد لا ينال حقيقة الإيمان إلا بعدما يعمل الصالحات، ذكرهنا الأدلة من الكتاب والسنة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان.

أولاً : من القرآن الكريم :

أولاً :

استدل ابن نصر : « بما قص الله جل وعز من نيا إبليس ، حين عصى ربه في سجدة أمر أن يسجدها لآدم ، فأبأها ثم قال : ﴿ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(١) .

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) .

فهل جحد إبليس ربه؟ وهو يقول : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا تُغْوِينَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ^(٣) ، ويقول : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ

(١) الأعراف: ١٢.

(٢) البقرة: ٣٤.

(٣) الحجر: ٣٩.

يَعْتُونَ ﴿١﴾

إيماناً منه بالبعث ، وإيماناً بنفاذ قدرته في إنظاره إياه إلى يوم البعث؟ أو هل جحد أحداً من أنبيائه وأنكر شيئاً من سلطانه وهو يحلف بعزته؟ وهل كان كفره إلا بترك سجدة واحدة أمره بها فأبأها»^(٢) .

ثانياً :

واستدل ابن نصر: «بما قص الله علينا من نبأ ابني آدم: ﴿ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٣) . هل كان ذلك إلا بركوبه ما حرم عليه من قتل أخيه وهل جحد ربه وكيف يجحدوه وهو يقرب له القربان؟»^(٤) .

ثالثاً :

استدل بقوله: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٥) . ولم يقل: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا أَقْرَأُوا بِهَا فَقَطْ ﴾^(٦) .

(١) الحجر: ٣٦ .

(٢) الصلاة (١/٣٩٤-٣٩٥) .

(٣) المائدة: ٢٧-٣٠ .

(٤) الصلاة (١/٣٩٥) .

(٥) السجدة: ١٥-١٧ .

(٦) الصلاة (١/٣٩٥) .

رابعاً :

استدل بقول «الله عزوجل : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾»^(١) «(٢)» .

ثم ذكر ابن نصر أن حق التلاوة تكون باتباع ما في القرآن الكريم والعمل بما فيه ، وذلك من خلال ذكره لهذه الآثار .

١ - روى بسنده عن ابن عباس في قوله : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال : «يتبعونه حق اتباعه»^(٣) .

٢ - وروى بسنده عن مجاهد : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال : «يتبعونه حق اتباعه»^(٤) .

٣ - وروى بسنده عن مجاهد قال : «يعملون به حق عمله ، أولئك يؤمنون به»^(٥) .

٤ - وروى بسنده عن ابن عباس في قوله : ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال : «يحلون حلاله ويحرمون حرامه ، ولا يحرفون مواضعه»^(٦) .

٥ - وروى بسنده عن مجاهد : ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ قال : «يتبعونه حق

(١) البقرة: ١٢١ .

(٢) الصلاة (١/٣٩٥) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/٥١٩) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٢) .

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١/٥٢٠) ، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٣) .

(٥) رواه الطبري في تفسيره (١/٥٢٠) .

(٦) رواه الحاكم في مستدرکه (٢/٢٦٦) - كتاب التفسير - سورة البقرة ، والطبري في تفسيره

(١/٥١٩) ، والسيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٢) .

اتباعه»^(١).

٦ - وروى بسنده عن قتادة^(٢) : ﴿ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أَوْلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ :

«هؤلاء أصحاب محمد ﷺ آمنوا بكتاب الله وصدقوا به، أحلوا حلاله وحرموا حرامه، وعملوا بما فيه.

ذكر لنا أن ابن مسعود كان يقول : والله إن حق تلاوته أن تحل حلاله وتحرم حرامه، وأن تقرأ كما أنزل الله، ولا تحرفه عن مواضعه»^(٣).

٧ - وروى بسنده عن الحسن ﴿ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ قال : «يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل إلى عالمه»^{(٤) (٥)}.

ثانياً : من السنة الشريفة :

بعدما ذكر ابن نصر الآيات الدالة على أن العمل يدخل في مسمى الإيمان؛ ذكر الأحاديث الثابتة عن خير البرية التي تدل على أن العمل جزء من الإيمان، وأن المعرفة والإقرار لا تفيد العبد بدون العمل.

يقول ابن نصر : «فإن قيل : فهل مع ما ذكرت، من سنة ثابتة تبين من أن العمل داخل في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله؟ قيل : نعم، عامة السنن

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/٥٢٠)، والسيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٣).

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قزادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس أبو الخطاب السدوسي البصري، ثقة ثبت، وهو رأس الطبقة الرابعة. مات سنة بضعة عشر ومائة للهجرة.

سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩-٢٨٣) (١٣٢).

التهذيب (٨/٣١٥-٣١٩) (٦٣٧).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/٥٢٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٣).

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١/٥٢٠)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٣).

(٥) الصلاة (١/٣٩٥-٣٩٨).

والآثار تنطق بذلك منها ما^(١) يلي :

أولاً :

روى ابن نصر بسنده عن أبي جمرة^(٢) قال : «كنت قاعداً مع ابن عباس على سريره فقال : إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده ، ثم قال : هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس»^(٣) .

وروى بسنده عن أبي جمرة قال : قلت لابن عباس : إن جدة لي تنبذ نبيذاً حلواً في جرة ، قال : قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقال : «مرحباً بالوفد غير الخزايا ولا الندامي ، قالوا : يا رسول الله ، إن بيننا وبينك المشركين من مضر ، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم ، فحدثنا بمجمل من الأمر ، إن عملنا بها دخلنا الجنة ، وندعو بها من وراءنا ، قال : أمركم بالإيمان بالله وحده ، وقال : هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تعطوا من الغنائم الخمس ، وأنهاكم عما ينتبذ في الحنتم والدباء والنقير والمزفت»^(٤) .

(١) الصلاة (١/٣٩٩) .

(٢) هو نصر بن عمران بن عصام ، وقيل : ابن عاصم ، بن واسع أبو جمرة ، الضبيعي البصري ، نزيل خراسان ، مشهور بكنيته ، ثقة ثبت ، من الثالثة . مات سنة (١٢٨هـ) .
التهديب (١٠/٣٨٥) (٧٨٤) ، التقريب (ص/٥٦١) (٧١٢٢) .

(٣) تقدم تخريج هذا الحديث ص ٢٢٤ .

(٤) الصلاة (١/٤٠٠-٤٠١) .

ثم قال ابن نصر بعد ذكره لحديث وفد عبد القيس: «فهذا رسول رب العالمين، الذي جاء بالإيمان، ودعا إليه، سأله الوفد عن أمر يدخلهم الجنة، وينجيهم من النار، فأمرهم بالإيمان بالله، ثم قال لهم مخافة أن يحملوا ذلك على غير وجهه: أتدرون ما الإيمان بالله؟

ثم فسره لهم فجعله توحيداً، والإقرار برسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإيتاء الخمس من الغنائم، فهذا مما يبين لك أن الإيمان بالله إنما هو توحيداً وعبادته»^(١).

ثانياً:

روى بسنده عن أبي قلابة^(٢) عن رجل من أهل الشام عن أبيه أن النبي ﷺ قال له: «أسلم تسلم.

قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله ويسلم المسلمون من لسانك ويدك.

قال: فأبي الإسلام أفضل؟ قال: الإيمان.

قال: وما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، وبالبعث بعد الموت.

= والحديث رواه البخاري (٤/١٥٨٨) ح (٤١١٠) - كتاب المغازي - باب وفد عبد القيس، ومسلم (١/٤٧) ح (١٧) - كتاب الإيمان - باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.
(١) الصلاة (١/٤٠١).

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو، أو عامر، الجرمي، أبو قلابة البصري، أحد الأعلام الثقة، فاضل كثير الإرسال. قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء. مات سنة (١٠٤هـ)، وقيل بعدها.

التقريب (ص/٣٠٤) (٣٣٣٣)، التهذيب (٥/١٩٧-١٩٩) (٣٨٨).

قال: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: الهجرة.

قال: وما الهجرة؟ قال: أن تهجر السوء.

قال: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: الجهاد.

قال: وما الجهاد؟ قال: أن تجاهد - أو قال: تقاتل - الكفار إذا لقيتهم، ولا

تغل، ولا تجبن.

ثم قال رسول الله ﷺ بأصبعيه: ثم عملان هما أفضل الأعمال، إلا من عمل بمثلهما - قالها ثلاثاً - : حجة مبرورة أو عمرة^(١).

ثم قال ابن نصر بعد إيراد هذا الحديث: «أو لست ترى أن النبي ﷺ قال له: «أسلم تسلم»، فجعل دعاءه إلى الإسلام كلمة واحدة جامعة، أي أنك إذا أسلمت سلمت من كل سوء، فلما سأله: ما الإسلام؟ قال: «أن تسلم قلبك لله وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك»؛ فزاده تفسيراً وبياناً.

فلما قال له: أي الإسلام أفضل؟ قال: «الإيمان»، فجعل الإيمان من الإسلام، فلما قال له: وما الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله»، وسكت له عن ذكر العمل فكأن الرجل علم أن العمل قد دخل في ذلك؛ فقال له: فأبي الإيمان أفضل؟ قال: «الهجرة»، فجعلها كلمة واحدة جامعة، فلما قال له: فما الهجرة؟ قال: «أن تهجر السوء»؛ فزاده تفسيراً وبياناً، فلما قال له: فأبي الهجرة أفضل؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»، وقد

(١) الصلاة (١/٤٠١-٤٠٢).

والحديث ذكره ابن حجر في المطالب العالية (٣/٥٣)، ح (٢٨٥٧) - كتاب الإيمان والتوحيد - باب تعريف الإسلام والإيمان، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٠٧).

قال له قبل ذلك: «الهجرة أن تهجر السوء»، أي أنك إذا هجرت السوء رغبت في الخير ومن خير ما أنت راغب فيه: الجهاد في سبيل الله، ثم الحج والعمرة من الإيمان، وقد بدأ قبل ذلك فأخبره أن الإيمان إنما هو أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله.

ففي ذلك بيان ما قلنا: إن الإيمان بكتاب الله إنما هو اتباع ما فيه، فقد أمر فيه بالهجرة، والحج والعمرة، والجهاد، واجتناب السوء^(١).

ثالثاً:

استدل ابن نصر على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان بما رواه بسنده عن البراء بن عازب قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال: «أتدرون أي عرى الإيمان أوثق؟ قالوا: الصلاة، قال: إن الصلاة لحسنة وما هي به.

قالوا الزكاة، قال: إن الزكاة لحسنة وما هي به.

قالوا: الحج، قال: إن الحج لحسن وما هو به.

قالوا: الجهاد، قال: إن الجهاد لحسن وما هو به.

فلما رأهم يذكرون شرائع الإسلام ولا يصيبون قال لهم: أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله^(٢).

ثم قال ابن نصر بعد إيراده لهذا الحديث: «فجعل ﷺ الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد من الإيمان، وجعل أوثق عرى الإيمان الحب في الله

(١) الصلاة (١/٤٠٢-٤٠٣).

(٢) الصلاة (١/٤٠٢-٤٠٣)، والحديث تقدم تخريجه ص ٢٠٦.

والبغض في الله، وذلك أن الله أمر بهما ووكدهما في كتابه»^(١).

رابعاً :

ومما استدل به ابن نصر على دخول الأعمال في مسمى الإيمان أن الله أوجب الجنة لمن قام بالأعمال الصالحة، واستدل بعدة آيات من كتاب الله، حيث يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ ﴾ إلى قوله: ﴿ لَهُمْ دَرَجَاتٌ ﴾^(٢).

فذكر الرجل، وإقام الصلاة، والإيمان بالله، والإنفاق لله، والتوكل عليه، وأوجب لهم الجنة بذلك.

وقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝ (١٥) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٣). فأوجب لهم الجنة بالأعمال التي ذكرها»^(٤).

خامساً :

وذكر ابن نصر أن التطوع كذلك من الإيمان حيث يقول: «ومن الدليل على أن التطوع من الإيمان قوله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»^(٥)»^(٦).

ورد على من قال إن النوافل ليست من الإيمان في شيء فقال: «وأما

(١) الصلاة (١/٤٠٤).

(٢) الأنفال: ٢-٤.

(٣) المؤمنون: ١-١١.

(٤) الصلاة (٢/٧٠٩-٧١٠).

(٥) الحديث تقدم تخريجه ص ١٧٥.

(٦) الصلاة (٢/٨٦٣).

تشنيع من شنع فقال: لو كان النوافل من الإيمان لما أصاب أحد الإيمان، فيقال له: أما الإيمان المفترض فقد أصابه أولياء الله تعالى، وأما الذي هو تطوع فقد أصاب كثيراً منه الأقوياء من أولياء الله تعالى من الرسل وغيرهم، ومن قصر عما لا يجب عليه لم يستحق الذم ولم يسم منقوصاً، ولكن يسمى كاملاً قد أدى ما وجب عليه، وزاد أضعاف ذلك، وإن كان غيره قد فضله»^(١).

وسياتي الرد على من أخرج العمل عن مسمى الإيمان عند الرد على المرجئة إن شاء الله تعالى.



(١) الصلاة (٢/٨٦٧).

البحث الرابع

كون الإيمان يزيد وينقص

وهل له غاية؟

نتيجة للخلاف السابق في تحديد مسمى الإيمان، وهل الأعمال داخلة في مسمى الإيمان أم لا؟ وقع الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه، فمن قال إن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان قال بالزيادة والنقصان، ومن قال إنها لا تدخل، لم يقل بزيادة الإيمان ونقصانه.

ونصوص الكتاب والسنة دالة على أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وفعل الخيرات، وينقص بالمعصية وعمل المنكرات.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(١).

وقال: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(٢).

وقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٣).

وقال: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾^(٤).

(١) الأنفال: ٢.

(٢) الأحزاب: ٢٢.

(٣) التوبة: ١٢٤.

(٤) المدثر: ٣١.

وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾^(١).

وقال عليه السلام: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الإيمان»^(٢).

وزيادة الإيمان ونقصانه هو قول جمهور السلف من الصحابة والتابعين من بعدهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمأثور عن الصحابة وأئمة التابعين وجمهور السلف، وهو مذهب أهل الحديث، وهو المنسوب إلى أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»^(٣).

قال علي رضي الله عنه: «الإيمان يبدأ لمظة يبيض في القلب، كلما ازداد إيماناً ازدادت بياضاً حتى يبيض القلب كله»^(٤).

وقال معاذ بن جبل لرجل: «اجلس بنا نؤمن ساعة. يعني: نذكر الله»^(٥).

وقال عمير بن حبيب الخطمي^(٦)، وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) الفتح: ٤.

(٢) رواه مسلم (٦٩/١)، ح (٤٩) - كتاب الإيمان - باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان... إلخ، والترمذي (٤٠٧/٤ - ٤٠٨) ح (٢١٧٢) - كتاب الفتن - باب (١١)، والنسائي (١١١/٨ - ١١٢) - كتاب الإيمان - باب تفاضل أهل الإيمان، وأحمد في مسنده (٢٠/٣).

(٣) الإيمان الأوسط، ضمن مجموع الفتاوى (٥٠٥/٧).

(٤) الإيمان لابن أبي شيبة ص ٥ - ٦.

(٥) الإيمان لأبي عبيد ص ٧٢.

(٦) هو عمير بن حبيب بن خماشة بن جوير بن عبيد بن عنان بن عامر بن خزيمة الأنصاري الخطمي. قال البخاري: بايع تحت الشجرة. الإصابة (٣/٣١) (٦٠٣١).

الكرام: «الإيمان يزيد وينقص، فقيل: وما زيادته ونقصانه؟ قال: إذا ذكرنا الله عزوجل وحمدناه، وسبحناه؛ فذلك زيادته، وإذا أغفلنا وضيعنا ونسينا؛ فذلك نقصانه»^(١).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لأصحابه: «هلموا نزداد إيماناً؛ فيذكرون الله عزوجل»^(٢).

وكان ابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهما يقولان: «الإيمان يزيد وينقص»^(٣).

وقد تقدم كلام العلماء على زيادة الإيمان ونقصانه مع قولهم بأنه قول وعمل، إلا أنني سأذكر هنا ما لم أذكره هناك زيادة في البيان، وإظهاراً للحق الذي عليه سلف هذه الأمة. فمن هؤلاء العلماء الذين قالوا بزيادة الإيمان ونقصانه:

١ - «قال أبو حاتم وأبو زرعة رحمهما الله تعالى: أدركنا العلماء في جميع الأمصار... فكان من مذهبهم أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»^(٤).

٢ - وقال أبو الحسن الأشعري^(٥) (ت ٣٢٤هـ): «وأن الإيمان قول وعمل يزيد

(١) الإيمان لابن أبي شيبة ص ٧، والشريعة للأجري ص ١١٢.

(٢) الشريعة للأجري ص ١١٢.

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٨٤٥).

(٤) عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة ص ١٤٩.

(٥) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر البصري، صاحب التصانيف، كان بداية أمره على مذهب الاعتزال، ثم تركه وسلك طريق ابن كلاب، ثم تركه إلى مذهب السلف، وألف مقالات الإسلاميين والإبانة.

سير أعلام النبلاء (١٥/٨٥)، شذرات الذهب (٢/٣٠٣).

وينقص»^(١).

٣ - وقال ابن بطلال (ت ٤٤٩ هـ)^(٢) : «مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»^(٣).

٤ - وقال النووي (ت ٦٧٦ هـ) : «إن الطاعات تسمى إيماناً ودينياً، وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه، ومن نقص عبادته نقص دينه»^(٤).

٥ - وقال السفاريني (١١٨٨ هـ) : «الحق كما قاله الإمام النووي وجماعة محققون من علماء الكلام أن الزيادة والنقصان تدخل الإيمان»^(٥).

ويذهب الإمام ابن نصر إلى ما ذهب إليه السلف الصالح من أن الإيمان يزيد وينقص، وأن من صفات المؤمنين التصديق بما جاءهم عن ربهم وبما قاله وأمرهم به نبيهم محمد ﷺ، يقول رحمه الله : «فقد أخبر الله المؤمنين عن القيامة، فصدقوا ولم يشكوا، فإذا عاينوها كانوا بها أعظم إيماناً و يقيناً، ولم يكن يدخلهم الشك في دنياهم قبل ذلك، ولكن لما عاينوا الأمر عظم في قلوبهم أكثر ما كانوا يصدقون به في الجملة حتى ذهلت عقول الرسل فمن دونهم.

(١) الإبانة عن أصول الديانة ص ٥٩.

(٢) هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال البكري، القرطبي ثم البلسني، يعترف بابن اللجام، من كبار المالكية، شرح صحيح البخاري، وله مصنفات أخرى.

سير أعلام النبلاء (١٨/٤٧ - ٤٨)، شذرات الذهب (٣/٢٨٣).

(٣) عمدة القاري (١/١٠٧ - ١٠٨).

(٤) شرح صحيح مسلم (٢/٦٨)، نشر دار الفكر - ط. بدون.

(٥) لواعج الأنوار البهية (١/٤٣١).

وإن ذلك لموجود في فطرنا، يأتينا الصادق بالخبر بأن حبيب أحدنا قد مات فنصدقه ونستشير منه الحزن، ثم نتابع الأخبار عليه، فكلما أخبره مخبر ازداد يقيناً وتصديقاً من غير شك منه في الخبر الأول، فإذا عاينه امتلاً قلبه بأنه قد مات، ثم أثار من قلبه من الحزن ما لم يكن من قبل، حتى كأنه كان شاكاً في خبر المخبرين.

فكذلك يزداد العبد بصيرة ويقيناً وتصديقاً من غير أن يكون دخل في أصل تصديقه شك، وعن ذلك يكون الإجلال والهيبة، وعن الإجلال والهيبة يزداد خضوعاً بالطاعة ومسارعة إلى طلب رضا المولى^(١).

ويذكر ابن نصر أن العبد يزداد إيمانه إذا عمل الصالحات، وكلما ازداد في الصالحات زاد إيمانه.

يقول رحمه الله: «وكذلك من آمن بالنبي ﷺ وبالفرائض التي أنزلها الله تبارك وتعالى، أو ينزلها جملة في أول ما بعث النبي ﷺ؛ كان مؤمناً، ثم أنزل الله الفرائض وفسرها النبي ﷺ فعرفها وعرف تفسيرها، فمن آمن بها زاد إيماناً إلى إيمانه الأول.

وكذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(٢).

وذلك أن الإيمان الأول بجمل الفرائض التي نزلت (وتنزل)^(٣) كان هو الإيمان ما لم يكلفوا الإيمان بتفسير الفرائض، التي نزلت والتي تنزل، فإذا

(١) الصلاة (٢/٦٩٨-٦٩٩).

(٢) التوبة: ١٢٤.

(٣) في المطبوع (وينزل)، ولعله تنزل، والله أعلم.

نزلت الفرائض وفسرت لهم وجب عليهم الإيمان بتفسيرها، كما وجب عليهم الإيمان بجملتها، وصار الإيمان بتفسيرها مضموماً إلى الإيمان الأول، فصار إيمانهم أكمل^(١).

ويذكر ابن نصر أن العبد إذا قال كلمة التوحيد من قلب صادق ازداد إيماناً، وإذا أشغل قلبه بالمعاصي نقص إيمانه بمقدار انشغال قلبه.

يقول رحمه الله: «إن العبد إذا قال لا إله إلا الله من قلب صادق فقد أقر، ومعنى أقر: اعترف، فإذا كان هذا إيماناً، فكلما وحد الله أبدأ إلى أن يموت بلسانه فهو معترف عن قلب صادق، فهو في كل يوم وفي كل ساعة يوحد فيها يزداد إيماناً، وكل وقت يشتغل قلبه بالمعاصي فلا ينشرح للقول بالاعتراف ولا يعظم في قلبه الرب تبارك وتعالى فيفزع إلى توحيده؛ فهو أنقص منه في الحالة الأولى التي عظم بقلبه المعترف به، حتى حمل ذلك على القول بلسانه، من غير أن يكون نقصاً بتصديقه بقلبه أن الله حق لا باطل، ولكنه نقص من تركه الاعتراف الذي هو عليه واجب كالشهاد والذكر في الصلاة الذي كان يأتي به في اليوم مراراً كثيرة من تعظيم الله بقلبه»^(٢).

ويذكر ابن نصر سبب زيادة الإيمان عند التلفظ بكلمة التوحيد فيقول: «وقد قال النبي ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله»^(٣).

فسمى الشهادة إيماناً، فمتى ما وجدت الشهادة من قلب مخلص مصدق

(١) الصلاة (٢/ ٧٧١-٧٧٢).

(٢) الصلاة (٢/ ٧٨٢-٧٨٣).

(٣) الحديث تقدم تخريجه ص ١٨٧.

فهي إيمان، وقائلها مزداد إيماناً إلى إيمانه»^(١).

ثم روى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «جددوا إيمانكم.

قالوا: كيف نجدد إيماننا يا رسول الله؟ قال: تقولوا: لا إله إلا الله»^(٢).

ثم قال ابن نصر بعد إيراده لهذا الحديث: «ففي هذا دلالة على أن المؤمن متى قال: لا إله إلا الله مخلصاً متقرباً بذلك إلى الله، كان ذلك منه إيماناً.

وتحقيق ذلك الأخبار التي رويناها عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ أن بعضهم كان يقول لبعض: «اجلس بنا نؤمن ساعة، يعني نذكر الله»^(٣)»^(٤).

ثم روى بسنده عن المغيرة بن الحكيম الصنعاني قال: «ذكر لي أن التلبية إنما جعلت يجدد بها الإيمان ويثبت بها الإسلام»^(٥).

هل للإيمان غاية :

يتفاوت الناس في القيام بالأعمال التي كلفهم الله بها والأعمال التي حثهم على أدائها واستكمالها؛ فمقل ومستكثر، فأفضلهم أولو العزم من الرسل ثم الذين من بعدهم، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا

(١) الصلاة (٢/٧٨٦-٧٨٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/٣٥٩)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٣٥٧)، والحاكم في المستدرک (٤/٢٥٦)، والمنذري في الترغيب (٢/٤١٥)، والهيشمي في مجمع الزوائد (١/٥٢). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/٣٠٠)،

ح (٨٩٦).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في الإيمان ص ٣٥، ح (١٠٥)، وأبو عبيد في الإيمان ص ٧٢، ح (٢٠)، وقال الألباني: صحيح على شرط الشيخين.

(٤) الصلاة (٢/٧٨٧-٧٨٨).

(٥) الصلاة (٢/٧٨٨).

مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ﴿١﴾

قال شارح الطحاوية: «فإن أكمل الناس توحيداً الأنبياء صلوات الله عليهم، والمرسلون منهم أكمل في ذلك، وأولو العزم من الرسل أكملهم توحيداً، وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ أجمعين، وأكملهم الخليلان محمد وإبراهيم صلوات الله عليهما وسلامه، فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علماً، ومعرفة، وحالاً، ودعوة للخلق وجهاداً»^(٢).

وفي هذه المسألة يقول ابن نصر: «ومن تدبر الإيمان علم أنه لا غاية له، وإن كان المفترض منه له غاية، لأن الذي آمن العباد به لا غاية عندهم في الكمال والإجلال والهيبة، فلو آمنوا به كما يحق له، لعرفوه كما يحق له، ولو عرفوه كما يحق له، لساووه بالعلم بنفسه، وغير جائز أن يساويه ما يعلم بنفسه، فإذا كانوا لا يساوونه بالعلم بنفسه، فقد ثبت أن معرفتهم ليست لها غاية.

فكذلك الإيمان ليس له غاية، لأن المعرفة أصل الإيمان، ولكن الله مسن رأفته ورحمته لهم افتراض عليهم من الإيمان ما لا يجهدهم، ولا يستفرغ طاقتهم، ولو شاء لافترض عليهم أكثر من ذلك.

ولو افترضه عليهم لكان إيماناً مفترضاً، ولو تقطع عباده ما بلغوا غاية المعرفة به، ألم تسمع إلى قول سلمان لحجر: «لو تقطعت أعضاء ما بلغت

(١) فاطر: ٣٢.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/٥٣-٥٤).

الإيمان»^(١) . وصدق لأنه ليس للمعروف غاية عند العارفين فيكون لمعرفةهم به غاية»^(٢) .

ويؤكد رحمه الله تفاوت الناس في الإيمان فيقول: «إن الناس متفاوتون في الإيمان غير مستويين، إذ كان الله عزوجل قد افترض على الأولين من الإيمان مالم يفترض على الآخرين، وافترض على الآخرين مالم يفترض على الأولين . . . من معرفة الرسل بأعيانهم وأسمائهم، وحدود الفرائض التي افترضت عليهم وتفسيرها، فكل من أدى ما كلف من الإيمان والفرض عليه فهو مستكمل لما افترض عليه من الإيمان، وإن كان غيره أكثر إيماناً (وأكثر)^(٣) منه، كلف من الإيمان مالم يكلف هو»^(٤) .

وقدر رحمه الله على من قال إن الإيمان متساو في قلوب العباد لا يزيد ولا ينقص بأن من «زعم أن ما كان في قلوبهم من الإيمان متساوياً في الوزن، فقد عارض قول النبي ﷺ بالرد، ومن قال: الذي في قلبه مثقال ذرة ليس بمؤمن ولا مسلم، فقد رد على الله ورسوله؛ إذ يقول الرسول ﷺ: « لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة»^(٥)، فقد حرم الله الجنة على الكافرين، وقد جزأ النبي ﷺ ما في قلوبهم من الإيمان بالقلّة والكثرة، ثم أخبر أن أقلهم إيماناً قد

(١) لم أجد من خرج هذا الأثر، ولم أعرف من هو سلمان وحجر.

(٢) الصلاة (٢/٨٠٧-٨٠٨).

(٣) كذا في المطبوع، ولعلها زائدة، والله أعلم.

(٤) الصلاة (٢/٧٧٢-٧٧٣).

(٥) رواه مسلم (١/١٠٧-١٠٨)، ح (١١٤) - كتاب الإيمان - باب غلظ تحريم الغلول،

والترمذي (٤/١١٨)، ح (١٥٧٤) - كتاب السير - باب ما جاء في الغلول، وقال: حديث

حسن صحيح غريب، والطبراني في المعجم الكبير (٢/٢٤).

أدخل الجنة، فثبت له بذلك اسم الإيمان، فإذا كان أقلهم إيماناً يستحق الاسم والآخرون أكثر منه إيماناً، دل ذلك أن له أصلاً وفرعاً يستحق الاسم من يأتي بأصله»^(١).



(١) الصلاة (٢/٧١٢-٧١٣).

الفصل الخامس حكم مرتكب الكبيرة

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : سبب ضلال الفرق في الحكم على
مرتكب الكبيرة.

المبحث الثاني : أقسام المعاصي.

المبحث الثالث : مذهب أهل السنة والجماعة في
مرتكب الكبيرة.

المبحث الرابع : مذهب الإمام ابن نصر في
مرتكب الكبيرة

المبحث الخامس : كيف يقال ليس بمؤمن واسم
الإيمان لازم له؟

المبحث الأول

سبب ضلال الفرق في

الحكم على مرتكب الكبيرة

تقدم أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة مركب من قول وعمل، وأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن له أصلاً لا يتم إيمان العبد إلا به، وله فروع وشعب من استكملها فقد استكمل الإيمان، ومن فرط فيها نقص إيمانه بقدر ما ترك منها.

والكفر أيضاً له أصل وفروع، فأصل الكفر المخرج من الملة هو: ما نقض أصل الإيمان، وفروعه: ما لا ينقض أصل الإيمان ويزيله.

يقول ابن القيم: «الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر... والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان»^(١).

فالعبد لا ينال شرف اسم الإيمان بمجرد قيامه بعمل من الأعمال التي هي من شعب الإيمان، ولا يطلق عليه الكفر بمجرد المعصية يفعلها، وهذا ما يشير إليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث يقول: «لكن ليس كل من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق حتى تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً حتى يقوم به أصل

(١) الصلاة وحكم تاركها ص ٥٣.

الإيمان وحقيقته»^(١).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أن مرتكب الكبيرة من أهل التوحيد لا يكفر ولا يخلد في النار، بل هو مؤمن بإيمانه، عاص لله فاسق في الدنيا بكبيرته، وفي الآخرة يبقى تحت مشيئة الله، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وإن عذبه فلا يخلد في نار جهنم.

والحكم على مرتكب الكبيرة موضوع زلت وضلت فيه بعض الفرق؛ بسبب عدم فهمها لكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، فالصحابه الكرام رضوان الله عليهم لم يكن أحد منهم يكفر مرتكب الكبيرة؛ ذلك أن هذا الحكم خاص بالله ورسول الله ﷺ، حتى ظهرت بدعة الخوارج بكفر مرتكب الكبيرة^(٢) بسبب إنكارهم للتحكيم.

ثم ظهرت بدعة المعتزلة وقالوا: إنه في منزلة بين المنزلتين^(٣)، أي لا مؤمن ولا كافر، وقالت كلتا الطائفتين إنه خالد في نار جهنم.

وسبب ضلالهم أنهم لا يرون أن للمعاصي تأثيراً على الإيمان، أما أهل السنة والجماعة فيرون أن المعاصي توهم الإيمان وتنقصه، ولكن لا تنقله عن

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم (١/٢٠٨)، تحقيق: د. ناصر عبد الكريم العقل - ط. الأولى ١٤٠٤هـ.

(٢) يقول أبو الحسن الأشعري في عقيدة الخوارج: «وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر، إلا النجذات فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً، إلا النجذات أصحاب نجدة». مقالات الإسلاميين (١/١٦٨).

(٣) ويقول أبو الحسن أيضاً عن عقيدة المعتزلة: «وكانت المعتزلة قبله - أي قبل الجبائي - إلا الأصم تنكر أن يكون الفاسق مؤمناً، وتقول: إن الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر، وتسميه منزلة بين المنزلتين». مقالات الإسلاميين (١/٢٣١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر مكتبة النهضة - ط. الثانية - ١٣٨٩هـ.

الملة؛ لذلك فهم وسط بين فرق الضلال.

يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: «إنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب إشارة إلى بدعة الخوارج المكفرة بمطلق الذنوب، فأما أصل الإيمان الذي هو الإقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً وانقياداً له؛ فهذا أصل الإيمان الذي لم يأت به فليس بمؤمن . . . فعلم أن الإيمان يقبل التبعض، والتجزئة، وأن قليله يخرج الله به من النار من دخلها، ليس هو كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل السنة: إنه لا يقبل التبعض والتجزئة، بل هو شيء واحد؛ إما أن يحصل كله، أو لا يحصل منه شيء»^(١).



(١) مجموع الفتاوى (١٢/٤٧٤-٤٧٥)، وانظر: الواسطية ص ٢٥.

المبحث الثاني أقسام المعاصي

تدل آيات الكتاب العزيز وسنة سيد المرسلين محمد ﷺ على أن الذنوب والمعاصي تنقسم إلى أقسام:

منها ما يخرج عن الملة وهو الشرك الذي لا يغفر الله لصاحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

ومنها ما دون ذلك، ولا يخرج مرتكبها من الملة.

وأخبر الله سبحانه أنه حيب إلينا الإيمان ورضيه لنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ولا يرضاها سبحانه لعباده، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (٢).

يقول ابن كثير في هذه الآية: «أي وبغض إليكم الكفر والفسوق وهي الذنوب الكبار، والعصيان وهي جميع المعاصي، وهذا تدرج لكمال النعمة» (٣).

ويقول صاحب تهذيب الفروق في الآية: «فجعلها رتباً ثلاثة: الكفر رتبة

(١) النساء: ٤٨.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/٢١٢).

أولى، والفسوق ثانية، والعصيان ثالثة، يلي الفسوق وهو الصغائر، فجمعت الآية بين الكفر والكبائر والصغائر، وسمى بعض المعاصي فسوقاً دون بعض^(١).
 ويفصل ابن نصر القول في هذه الآية فيقول: «لما كانت المعاصي كفراً وبعضها ليس بكفر، فرق بينهما، فجعلها ثلاثة أنواع:

نوع منها كفر، ونوع فسق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كرهها كلها إلى المؤمنين، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان وليس شيء منها خارجاً منه، لم يفرق بينها فيقول: حُبَّ الإِيمَانِ والفرائض وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: ﴿حُبَّ إِيكُمُ الإِيمَانِ﴾، فدخل في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حُبَّ إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تدين؛ لأن الله أخبر أنه حُبَّ ذلك إليهم وزينه في قلوبهم لقوله: ﴿حُبَّ إِيكُمُ الإِيمَانِ﴾، ويكرهون جميع المعاصي ومنها الفسوق وسائر المعاصي كراهة تدين؛ لأن الله أخبر أنه كره ذلك إليهم لقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٢).

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»^(٣)؛ لأن الله حُبَّ إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات»^(٤).

(١) تهذيب الفروق والقواعد السنوية (١/١٣٣-١٣٤) للشيخ محمد علي حسين، مفتي المالكية، طبع مع الفروق للقرافي - ط. دار إحياء الكتب العربية.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) جزء من حديث رواه الترمذي (٤/٤٠٤)، ح (٢١٦٥) - كتاب الفتن - باب ما جاء في لزوم الجماعة، وأحمد في المسند (١/٢٦)، والحاكم (١/١١٤)، والحديث رواه ابن أبي شعبة في الإيمان ص ٢٥، ح (٧٨). وقال الألباني: قد صح مرفوعاً من حديث عمر.

(٤) الصلاة (١/٣٦٢-٣٦٣).

وقال جمهور العلماء إن المعاصي التي ما دون الشرك تنقسم إلى قسمين: صغائر وكبائر، يقول النووي رحمه الله: «وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر، وهو مروى أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها»^(١).

وقال ابن حجر الهيتمي^(٢): «وقال جمهور العلماء إن المعاصي تنقسم إلى صغائر وكبائر»^(٣).

لكن أنكر بعض أهل العلم كون بعض الذنوب صغائر، يقول ابن حجر الهيتمي: «اعلم أن جماعة من الأئمة أنكروا أن في الذنوب صغيرة، وقالوا بل سائر المعاصي كبائر، منهم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني^(٤)، والقاضي

(١) شرح مسلم للنووي (٨٥/٢).

(٢) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر شهاب الدين أبو العباس الهيتمي السعدي الأنصاري الشافعي، له مصنفات عدة منها: تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية، والزواجر من ارتكاب الكبائر. مات سنة (٩٧٤هـ).

شذرات الذهب (٣٧٠/٨).

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٥/١) لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الشافعي الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، نشر دار المعرفة - بيروت - ١٤٠٢هـ.

(٤) هو الإمام العلامة الأوحى، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفرائيني، الأصولي الشافعي، الملقب ركن الدين، أحد المجتهدين في عصره، وصاحب المصنفات الباهرة، حكى أبو القاسم القشيري عنه أنه كان ينكر كرامات الأولياء ولا يجوزها، له مصنفات منها: الجامع في أصول الدين، والرد على الملحدين. مات سنة (٤١٨هـ)، وقيل: (٤١٩هـ).

طبقات الشافعية (٢٥٦/٤)، سير أعلام النبلاء (٢٠٩/٣).

أبو بكر الباقلاني^(١)، وإمام الحرمين^(٢) في الإرشاد، وابن القشيري^(٣) في المرشد، بل حكاه ابن فورك^(٤) عن الأشاعرة، واختاره في تفسيره فقال: معاصي الله تعالى عندنا كلها كبائر، وإنما يقال لبعضها صغيرة وكبيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها^(٥).

وقد عرف علماء الإسلام الكبيرة، واختلفت عباراتهم في تعريفها اختلافاً كبيراً.

فروى الطبري بسنده عن ابن عباس أنه قال: «كل ما نهى الله عنه فهو

(١) هو محمد بن الطيب بن محمد القاضي أبو بكر الباقلاني البصري المالكي، الأشعري الأصولي المتكلم، صاحب المصنفات الكثيرة في الكلام وغيره، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه. قال الشيخ ابن تيمية عنه: «هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده». مات سنة (٤٠٣هـ).

سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠-١٩٣)، شذرات الذهب (٣/ ١٦٨).

(٢) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، الملقب بضياء الدين المعروف بإمام الحرمين، صاحب التصانيف، كان معتزلياً ورجع إلى مذهب السلف، وقال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام». مات سنة (٤٧٨هـ).

سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٦٨-٤٧٧)، طبقات الشافعية للسبكي (٥/ ١٦٥).

(٣) هو الشيخ الإمام المفسر العلامة أبو نصر عبد الرحيم ابن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري النيسابوري النحوي المتكلم، كان أحد الأذكياء، لازم إمام الحرمين، ساد وعظم قدره. مات سنة (٥١٤هـ).

طبقات الشافعية (٧/ ١٥٩-١٦٦)، سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٢٤-٤٢٦).

(٤) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، من فقهاء الشافعية، واعظ عالم بأصول الدين وبالكلام على طريقة الأشاعرة، كان أشعرياً أخذ عن أبي الحسن الباهلي صاحب الأشعري.

طبقات الشافعية (٤/ ١٢٧-١٣٥)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٢١٤-٢١٦).

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٥).

كبيرة»^(١) .

وقال ابن عباس أيضاً: «الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار فهو كبيرة»، وكذا قال سعيد بن جبير والحسن البصري^(٢) .

وروى الطبري بسنده عن الضحاك^(٣) قال: «الكبائر كل موجبة أوجب الله لأهلها النار، وكل عمل يقام به الحد من الكبائر»^(٤) .

وحد الإمام أحمد الكبائر: «بما يوجب حداً في الدنيا ووعيداً في الآخرة»^(٥) .

وقال العز بن عبد السلام^(٦): «إذا أردت معرفة الفرق بين الكبائر والصغائر فاعرض مفسدة الذنب على مفسد الكبائر المتصوص عليها، فإن نقصت عن أقل مفسد الكبائر فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفسد

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (٤٠/٥)، نشر مكتبة مصطفى الحلبي - ط. الثالثة - ١٣٨٨هـ .

(٢) جامع البيان (٤٢/٥)، وتفسير القرآن العظيم (٤٦٠/١) .

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالموجود لحديثه، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير .

سير أعلام النبلاء (٤/٩٥٨ - ٦٠٠)، شذرات الذهب (١/١٢٤) .

(٤) جامع البيان (٤٢/٥)، وانظر: تفسير القرآن العظيم (٤٦٠/١) .

(٥) العدة في أصول الفقه (٣/٩٤٦) لأبي يعلى الفراء، تحقيق: أحمد بن علي المبارك، نشر مؤسسة الرسالة الأولى - ١٤٠٠هـ .

(٦) هو عبد العزيز بن عبد السلام السلمي بن أبي القاسم أبو محمد، الإمام العلامة وحيد عصره سلطان العلماء، السلمي الدمشقي ثم المصري الشافعي، برع في الفقه والأصول والعربية، وجمع بين فنون العلم من التفسير والحديث والفقه، وبلغ رتبة الاجتهاد ورحل إليه الطلبة من سائر البلاد وصنف التصانيف . مات سنة (٦٦٠هـ) .

طبقات الشافعية (٨/٢٠٩)، شذرات الذهب (٥/٣٠١) .

الكبائر أو أربت عليها فهي من الكبائر»^(١).

وقال القرطبي (ت ٦٧١هـ) في تعريف الكبيرة إنها «كل ذنب عظم الشرع التوعد عليه بالعقاب وشدده، أو عظم ضرره في الوجود كما ذكرنا؛ فهو كبيرة وما عداه صغيرة»^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): «وقد اختلف علماء الأصول والفروع في حد الكبيرة، فمن قائل: هي ما عليه حد في الشرع، ومنهم من قال: هي ما عليه وعيد مخصوص من الكتاب والسنة، وقيل غير ذلك»^(٣).



(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢٣/١) للعز بن عبد السلام، تعليق: طه عبد الرؤوف

سعد، نشر دار أم القرى - مصر - ط. بدون.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/١٦٠-١٦١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٤٦١).

المبحث الثالث

مذهب أهل السنة والجماعة

في مرتكب الكبيرة

لمعرفة مذهب أهل السنة والجماعة في الحكم على مرتكب الكبيرة، لا بد أن نذكر شيئاً من أقوال أئمة السلف الصالح في ذلك، فقد ذكروا القول الفصل في هذه المسألة وردوا على الخوارج والمعتزلة لتخليدهم مرتكب الكبيرة في النار، وردوا على المرجئة القائلين لا يضر مع الإيمان ذنب.

فبينوا القول الصحيح في هذه المسألة لمن أراد اتباعه، وقالوا: إن مات على كبيرة فإن أمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، وإن عذبه فلا يخلد في النار لدلالة النصوص من الكتاب والسنة على ذلك.

ومن تكلم من العلماء في هذه المسألة الإمام أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ)؛ حيث يقول: «إن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً، ولا توجب كفراً، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه، الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه»^(١).

وعقد الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) باباً في كتابه الجامع الصحيح أكد فيه أن المعاصي لا يكفر مرتكبها، يقول رحمه الله: «المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك؛ لقول النبي ﷺ: «إنك امرؤ فيك جاهلية»^(٢)،

(١) الإيمان ص ٨٩.

(٢) رواه البخاري (٢٠/١)، ح (٣٠) - كتاب الإيمان - باب المعاصي من أمر الجاهلية، ومسلم =

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (١) «(٢)»

وقال أبو جعفر الطحاوي^(٣): «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب ما لم يستحلها»^(٤).

ومثله يقول الإمام الأشعري (ت ٣٢٤هـ) في كتابه الإبانة الذي رجع فيه إلى عقيدة السلف الصالح: «وندين بأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب يرتكبه كالزنا والسرقه وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج وزعمت أنهم كافرون».

ونقول: «إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر، مثل الزنا والسرقه وما أشبهها، مستحلاً لها غير معتقد لتحريمها؛ كان كافراً»^(٥).

وهذا هو معتقد أئمة الحديث كما يقول أبو بكر الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ)، فهم يقولون: «أن أحداً من أهل التوحيد ومن يصلي إلى قبلة المسلمين، لو ارتكب ذنباً أو ذنوباً كثيرة، صفائر أو كبائر، مع الإقامة على التوحيد لله، والإقرار بما التزمه وقبله عن الله؛ فإنه لا يكفر به ويرجون له المغفرة، قال

= (٣/١٢٨٢ - ١٢٨٣) - كتاب الأيمان والنذور - باب إطعام المملوك مما يأكل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) الجامع الصحيح (١/٢٠).

(٣) هو الإمام العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفتيها، أبو جعفر أحمد بن محمد ابن سلامة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي، صاحب التصانيف، كان ثقة ثبتاً فقيهاً، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة. (ت ٣٢١هـ).

سير أعلام النبلاء (١٥/٢٧)، طبقات الحفاظ (ص/٣٣٩) (٧٦٧).

(٤) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ١٥.

(٥) الإبانة عن أصول الديانة ص ٥٧، تقديم الشيخ حماد الأنصاري، نشر الجامعة الإسلامية -

ط. الثانية - ١٤٠٥هـ.

تعالى: ﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (١) « (٢) » .

وقال ابن بطة (ت ٣٨٧هـ): « إن الرجل: « لا يخرج منه من الإسلام إلا الشرك بالله، أو برد فريضة من فرائض الله عزوجل جاحداً بها، فإن تركها تهاوناً وكسلاً كان في مشيئة الله عزوجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » (٣) .

ويقول أبو إسماعيل الصابوني (ت ٤٤٩هـ) في عقيدة السلف أصحاب الحديث: « ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة صغائر كانت أو كبائر؛ فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص؛ فإن أمره إلى الله عزوجل، إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالماً غانماً، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يظلمه فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار » (٤) .

واعتبر الإمام ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) أن اسم الإيمان لا يسقط إلا بالكفر، وأجمعت الأمة على أن مرتكب الكبيرة مؤمن لا كافر .

يقول رحمه الله: « إن اسم الإيمان لا يسقط إلا بالكفر الذي يقتل صاحبه، ومن قال إنه يسقط اسم الإيمان إلى فسق سوى الكفر فإنه باطل يقيناً؛ لإجماعهم كلهم على أنه لا يحل أن يقتل سارق ولا شارب خمر فصح يقيناً أن صاحب الكبيرة مؤمن لإجماع الأمة كلها على الحكم له بجميع أحكام أهل الإيمان » (٥) .

(١) النساء: ٤٨ .

(٢) اعتقاد أئمة الحديث ص ٦٤ .

(٣) الإبانة الصغرى ص ١٨٣ .

(٤) عقيدة السلف (ص/ ٧١-٧٢) .

(٥) الدرّة (ص/ ٣٤٩-٣٥٠) .

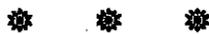
وقال النووي (ت ٦٧٦هـ) : « واعلم أن مذهب أهل الحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب ، ولا يكفر لأهل الأهواء والبدع ، وأن من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة حكم برده وكفره ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، أو نشأ ببادية بعيدة»^(١) .

وبمثله يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ) إن أهل السنة « لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج ، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي . . . ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان ، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، فلا يعطى الاسم المطلق ، ولا يسلب مطلق الاسم بكبيرته»^(٢) .

وأختتم بما قاله شارح الطحاوية ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ) من أن «أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كقراءة ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج . . . ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ، ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين ، كما قالت المعتزلة ، فإن قولهم باطل أيضاً»^(٣) .

فمن خلال هذه الأقوال يتضح أن مرتكب الكبيرة عند أهل السنة والجماعة ليس بكافر كما تقول الخوارج ، وليس بكامل الإيمان كما تقول المرجئة ، وليس في منزلة بين المنزلتين كما تقول المعتزلة ، بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ، ولا يسلب الاسم بمجرد المعصية .

وسياتي قول الإمام ابن نصر في هذه المسألة .



(١) شرح مسلم للنووي (١/١٥٠) .

(٢) العقيدة الواسطية (ص/٢٥) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (٢/٤٢٢) .

المبحث الرابع

مذهب الإمام ابن نصر

في مرتكب الكبيرة

ذكر الإمام ابن نصر حديث: « لا يزني الزاني... الحديث»، وساقه بعدة طرق، بل عقد له باباً مستقلاً في كتابه الصلاة، لأنه قد «أنكر بعضهم أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا القول... وقال: غلط الرواية في أداء لفظ رسول الله ﷺ ذلك»^(١).

فلا ثبات لهذا الحديث وصحته عقد الإمام ابن نصر باباً في كتابه الصلاة بعنوان: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، ذكر فيه طرق هذا الحديث، وهي كالتالي:

١ - روى بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع المسلمون إليها أبصارهم وهو مؤمن» .

(١) تهذيب الآثار (٢/١٦٠) للإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: ناصر الرشيد وعبد القيوم عبد رب النبي - ط. ١٤٠٢هـ.

فقلت للزهري: ما هذا؟ فقال: على رسول الله البلاغ وعلينا التسليم» (١)(*)

٢ - وروى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد» (٢).

☆ اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وأمثاله على أقوال كثيرة، ذكر منها الإمام ابن نصر بعضها.

وذكر منها ابن جرير الطبري ستة أقوال كما في تهذيب الآثار (١٦٠/٢) فما بعدها.
وذكر البغوي أربعة أقوال. انظر: شرح السنة (٨٩/١ - ٩١).
وذكر النووي ستة أقوال. انظر: شرح صحيح مسلم (٤١/٢ - ٤٢).
وذكر ابن حجر ثلاثة عشر قولاً كما في الفتح (٦١/١٢ - ٦٢).
وأشهرها ثلاثة:

- (أ) أنه يسلب منه الإيمان حال تلبسه بالكبيرة، فإذا تاعد إليه إن شاء، وهو مروى عن ابن عباس. انظر: الصلاة (٥٠٣/١) فما بعدها، وهو اختيار ابن نصر كما سيأتي.
- (ب) أنه يزول عنه اسم الإيمان المدوح به الذي سمي الله به أولياءه، وهو قول الحسن البصري وابن جرير الطبري. الفتح (٦١/١٢).
- (ج) أنه لا يفعل المعصية وهو كامل الإيمان، وهو قول النووي واعتبره القول الذي قاله المحققون. شرح صحيح مسلم (٤١/٢).
- (١) الصلاة (٤٨٧/١).

والحديث رواه البخاري (٨٧٥/١) ح (٢٣٤٣) - كتاب المظالم - باب النهي بتغيير إذن صاحبه، ورواه مسلم (٧٦/١) ح (٥٧) - كتاب الإيمان - باب نقصان الإيمان بالمعاصي.

(٢) الصلاة (٤٩٠/١ - ٤٩١).

والحديث بهذا اللفظ رواه البخاري (٢٤٩٧/٦) ح (٦٤٢٥) - كتاب المحاربين - باب إثم الزناة، ومسلم (٧٧/١) ح (٥٧) - كتاب الإيمان - باب نقصان الإيمان بالمعاصي. وتقدم قريباً منه ص ٢٢٧.

٣- وروى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يزني أحدكم حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع المؤمنون إليه أعينهم حين ينتهبها وهو مؤمن، ولا يغل أحدكم حين يغل وهو مؤمن فإياكم إياكم»^(١).

٤- وروى بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا زنى الرجل خرج منه الإيمان، وكان عليه كالظلة، فإذا انقلع رجع إليه الإيمان»^(٢).

٥- وروى بسنده عن أبي هريرة أنه سئل عن قوله: « لا يزني الزاني وهو مؤمن» فأين يكون الإيمان منه؟

قال أبو هريرة: سيكون عليه هكذا، وقال بكفه، فإن نزع وتاب رجع إليه الإيمان»^(٣).

٦- وروى بسنده عن مجاهد قال: «كان ابن عباس يسمي غلمانهم أسماء

(١) الصلاة (١/٤٩٤).

والحديث رواه مسلم (١/٧٧) ح (٧٥) - كتاب الإيمان - باب نقصان الإيمان بالمعاصي، والبغوي في شرح السنة (١/٨٩) ح (٤٧) - كتاب الإيمان - باب الكبائر، وابن منده في كتاب الإيمان (٢/٥٩٧) ح (٥١٣) - كتاب الإيمان - باب (٨٩)، وأحمد في مسنده (٢/٣١٧).

(٢) الصلاة (١/٤٩٤ - ٤٩٥).

والحديث رواه أبو داود (٤/٤١٠) ح (٤٦٩٠) - كتاب السنة - باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والترمذي (٥/١٧) ح (٢٦٢٥) - كتاب الإيمان - باب الكبائر، والبغوي في شرح السنة (١/٩٠)، والحاكم (١/٢٢) - كتاب الإيمان، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٣) الصلاة (١/٤٩٦).

والحديث تقدم تخريجه ص ٢٣١.

العرب، وكان يقول لهم: تزوجوا؛ فإن الرجل إذا زنى نزع منه نور الإيمان، فإن شاء الله أعطاه وإن شاء منعه»^(١).

٧- وروى بسنده عن عثمان بن أبي صفية^(٢) عن ابن عباس أنه كان يقول لغلمانه: «يا فلان أزوجك، يا فلان أزوجك، فإنه ليس من زان يزني إلا نزع الله منه نور الإيمان»^(٣).

ثم قال ابن نصر بعد ذكره لروايات الحديث المتقدم إنه قد «اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، فقالت طائفة منهم: إنما أراد النبي ﷺ إزالة اسم الإيمان عنه من غير أن يخرج منه الإسلام، ولا يزيل عنه اسمه، وفرقوا بين الإيمان والإسلام، وقالوا: إذا زنى فليس بمؤمن وهو مسلم»^(٤).

وقال أيضاً: «وقالت طائفة أخرى أيضاً من أصحاب الحديث بمثل مقالة هؤلاء، إلا أنهم سموه مسلماً لخروجه من ملل الكفر، والإقرار بالله وبما قال، ولم يسموه مؤمناً، وزعموا أنه مع تسميتهم إياه بالإسلام كافر لا كافراً بالله، ولكن كافر من طريق العمل، وقالوا: كفر لا ينقل عن الملة»^(٥).

(١) الصلاة (١/٥٠٣).

والحديث ذكره الأجرى في الشريعة ص ١١٤، وابن حجر في التعليق (٥/٢٢٩-٢٣٠).

(٢) عثمان بن أبي صفية كوفي، روى عن ابن عباس، مرسل، ذكره الذهبي ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

الجرح والتعديل (٦/١٥٤)، التهذيب (٧/١١٣-١١٤) (٢٦٥).

(٣) الصلاة (١/٥٠٤).

والحديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/١٤) ح (١٠٣٧٩) - كتاب الإيمان والرؤيا - باب ما قالوا في صفة الإيمان، وفي الإيمان ص ٣١-٣٢ ح (٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/٣٥٢) ح (٧٥٥).

(٤) الصلاة (٢/٥٠٦).

(٥) الصلاة (٢/٥١٧).

وقد رد ابن نصر عليهم بعد ذكره لأدلتهم، وقد تقدم في الفصل الثاني ما قد أغني عن ذكره هنا.

وبعد رده عليهم حكى الإمام ابن نصر بعض أقوال الفرق الضالة التي أولت الحديث وغلت فيه؛ حيث يقول عنها: «وقد غلت في تأويل هذه الأخبار التي جاءت في نفي الإيمان عن من ارتكب الكبائر - طوائف من أهل الأهواء والبدع، منهم: الخوارج، والمعتزلة، والرافضة.

فأما الخوارج: فتأولتها على إكفار المسلمين بالمعاصي، وسفك دمائهم...

وأما المعتزلة والرافضة فقالوا: كل من ارتكب كبيرة فهو خارج من الإيمان، فليس بكافر ولا مؤمن، ولكنه فاسق، وقال بعضهم: منافق»^(١).

ويرى ابن نصر أن الحديث يدل على «أن المعاصي لا تزيل الإيمان ولا توجب الكفر، ولكنها تنفي حقائق الإيمان الذي نعت الله تبارك وتعالى بها أهله في مواضع من كتابه منها:

١ - قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾^(٢).

٢ - وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾... الآية^(٣).

فهذه الآيات التي شرحت الإيمان وأبانت سبله التي وصف الله أهله بها، ونفى عنه المعاصي التي نزهه الإيمان عنه، فلما خالطت ذلك الإيمان المنعوت

(١) الصلاة (٢/٦٢٤-٦٢٦).

(٢) الأنفال: ٢-٤.

(٣) التوبة: ١١١.

عند الله عزوجل وعند رسوله ﷺ بالبعد عن الأدناس والذنوب والمعاصي، قيل لأهله: ليست هذه الخلال من الشرائط التي نعت الله بها المؤمنين، ولا الأمارات التي يعرف بها أهلها، فنفت عنهم حقيقته، ولم يزايلهم اسمه^(١). وذكر رحمه الله أيضاً أدلة أخرى غير الآيات التي ذكرها، تدل على أن المراد بنفي الإيمان عن مرتكب المعاصي هو نفي استكمال الإيمان، لا نفي الإيمان كله كما تقول الخوارج والمعتزلة والرافضة.

يقول رحمه الله: «ومما يدل على أن تأويل هذه الأخبار التي فيها نفي الإيمان عن ارتكب المعاصي المذكورة فيها؛ ما ذهبنا إليه من أن المراد بها نفي استكمال الإيمان لا نفي الإيمان كله بأسره حتى لا يبقى منه شيء:

٣- روى بسنده عن عبادة بن الصامت^(٢) قال: كنا مع رسول الله ﷺ فقال: «تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا»، وتلا سفيان: ﴿يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ الآية كلها^(٣)، ثم قال: «من وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه، فهو إلى الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له»^(٤).

(١) الصلاة (٢/٥٧٧-٥٧٨).

(٢) هو ابن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف الإمام القدوة أبو الوليد الأنصاري، أحد النقباء ليلة العقبة، ومن أعيان البدرين، وشهد المشاهد كلها بعد بدر. مات سنة (٣٤هـ)، وقيل إنه عاش إلى سنة (٤٥هـ).

الإصابة (٢/٢٦٠-٢٦١) (٤٤٩٧).

(٣) المتحنة: ١٢.

(٤) الصلاة (٢/٦١٢).

والحديث رواه البخاري (٤/١٨٥٧) ح (٤٦١٢) - كتاب التفسير - تفسير سورة المتحنة - باب إذا جاءك المؤمنات يبايعنك، ومسلم (٣/١٣٣٣) ح (١٧٠٩) - كتاب الحدود - باب =

٤ - وروى بسنده عن عبادة بن الصامت قال: أخذ علينا رسول الله ﷺ ستاً كما أخذ على النساء مثلها، وزاد: «لا يعضه بعضكم بعضاً، ولا تعصوني في معروف أمركم به».

قال إسحاق: لا يعضه بعضكم بعضاً: لا يبهت بعضكم بعضاً^(١).

ثم يقول ابن نصر بعد ذكره لهذا الحديث بعدة طرق بعضها فيه ضعف: إن في هذا الحديث «دلالتان على أن السارق والزاني ومن ذكر في هذا الحديث غير خارجين من الإيمان بأسره:

إحدهما قوله: «فمن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا؛ فهو كفارة له»، والحدود لا تكون كفارات إلا للمؤمنين، ألا ترى قوله: «من ستر الله عليه فامر به إلى الله؛ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»، فإذا غفر له أدخله الجنة، ولا يدخل الجنة من البالغين المكلفين إلا مؤمن.

وقوله ﷺ: «إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه» هو نظير قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك، يعني إذا مات غير تائب منه لقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٣).

= كفارات لأهلها.

(١) الصلاة (٢/٦١٣).

والحديث رواه مسلم (٣/١٣٣٣) ح (١٧٠٩) - كتاب الحدود - باب الحدود كفارات لأهلها، وابن ماجه (٢/٢٦٨) ح (٢٦٠٣) - كتاب الحدود - باب الحد كفارة، وابن منده في الإيمان (٢/٥٥٩) ح (٤٩١) - باب (٨٦).

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) الأنفال: ٣٨.

مع آيات غير هذا تدل على أن التائب من الشرك مغفور له شره؛ فثبت بذلك أن الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفره: هو الشرك الذي لم يتب منه، وأن التائب مغفور له شره، وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن شاء، يعني لمن أتى ما دون الشرك، فلقى الله غير تائب منه؛ لأنه لو أراد أن يغفر ما دون الشرك للتائب، دون من لم يتب، لكان قد سوى بين الشرك وما دونه، ولو كان كذلك لم يكن لفصله بين الشرك وما دونه معنى، ففصله بينهما دليل على أن الشرك لا يغفره لو مات وهو غير تائب منه، وأن يغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء ممن مات وهو غير تائب، ولا جائز أن يغفر له ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن، كذلك أخبر المصطفى رسول رب العالمين ﷺ أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن^(١).

ثم روى أحاديث عن النبي ﷺ تدل على أن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن، ولو كان مرتكب الكبيرة خارجاً من الإيمان لما دخل الجنة.

١ - روى بسنده عن بشر بن سحيم^(٢) أن رسول الله ﷺ أمر منادياً فنادى: «أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة»^(٣).

٢ - وروى بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً^(٤) فنادى: «أنه لا

(١) الصلاة (٢/٦١٦-٦١٨).

(٢) هو بشر بن سحيم بن فلان بن حزام بن غفار الغفاري، له صحة.

الإصابة (١/١٥٥) (٦٦١)، التهذيب (١/٣٩٤) (٨٢٤).

(٣) تقدم تخريجه ص ٣٤٧.

(٤) هو بلال بن رباح الحبشي المؤذن، وهو بلال بن حمامة وهي أمه، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد، فأعتقه فلزم النبي ﷺ وأذن له، وشهد معه جميع المشاهد، وأخى النبي ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، ثم خرج بلال بعد النبي =

يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(١).

ثم قال ابن نصر - بعد ذكره لهذين الحديثين مع أحاديث قريبة منها تدل على أن الله حرم الجنة على الكافرين، وأنه لا يدخلها إلا عباد الله المؤمنين - إنه قد ثبت «بما ذكرنا أن المصر على ما دون الشرك حتى يموت مؤمن غير كافر ولا مشرك، وهو بين خوف ورجاء، يخاف أن يعاقبه الله على معصيته إياه بما استحق من العقوبة، ونرجو أن يتفضل الله عليه فيعفو عنه ويغفر له ذنبه»^(٢).

وسياتي الرد بالتفصيل على من كفر مرتكب الكبيرة في الرد على المعتزلة والرافضة والخوارج؛ فليراجع هناك.



= مجاهداً إلى أن مات بالشام.

الإصابة (١/٦٩) (٧٣٦).

(١) الصلاة (٢/٦١٩)، والحديث تقدم تخريجه ص ٢٧٢.

(٢) الصلاة (٢/٦٢٣).

المبحث الخامس

كيف يقال ليس بمؤمن واسم الإيمان لازم له؟

رد الإمام ابن نصر على من أشكل عليه قول السلف : إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن واسم الإيمان لازم له، وقال إن هذا هو كلام العرب المستفيض عنها غير المستنكر عندها، قد وجدناه في الآثار وغيرها^(١).

ثم ضرب رحمه الله الأمثلة التالية من السنة ومن كلام العرب، تدل على نفي الاسم مع بقاء الأصل وعدم زواله.

الرد الأول :

ذكر ابن نصر حديث المسيء في صلاته وأن النبي ﷺ نفى عنه الصلاة مع أنه قد صلى.

فيقول : إن من ذلك : «قول النبي ﷺ للذي لم يتم صلاته : «ارجع فصل فإنك لم تصل»^(٢) ، فأخبره أنه لم يصل ، وقد رآه يصلها ، ولكنه لما لم يكملها جعله غير مصلى»^(٣).

(١) الصلاة (٢/٥٧٨).

(٢) رواه البخاري (١/٢٦٣) ح (٧٢٤) - كتاب صفة الصلاة - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم . . . إلخ ، ومسلم (١/٢٩٨) ح (٣٩٧) - كتاب الصلاة - باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . . . إلخ .

(٣) الصلاة (٢/٥٧٨).

الرد الثاني :

استدل ابن نصر بنفي النبي ﷺ الصيام عن صام الدهر لمخالفته السنة فيقول : «وكذلك حين سئل عن صام الدهر؟ فقال : «ما صام ولا افطر»^(١) ، فجعله غير صائم ، وقد زاد على صيام الناس ، ولكنه لما أخطأ به موضعه جعله غير صائم»^(٢) .

الرد الثالث :

استدل ابن نصر بكلام العرب لنفيهم الصنعة عن فلان إذ لم يكمل العمل ولم يجد فيه ، يقول : «وكذلك كلام العرب ، ألا تراهم يقولون للصانع إذا كان غير حاذق بعمله ولا متقناً له : «فلان ليس بصانع» ، وهم يعلمون أنه يعالج ذلك العلاج وأنه من أهله ، غير أنهم إنما نفوا عنه تجويد العمل لا الصناعة برمتها ، وكذلك يقول الرجل لصاحبه إذا عمل عملاً غير إحكام ، أو تكلم بكلام لم يقم فيه بحجته : «ما صنعت شيئاً» ، ولو سئلوا عنه : لكان تاركاً للعمل أو الكلام؟ لقالوا : «لا» ، ولكنه ترك موضع الإصابة فيه ، فكثر هذا في ألفاظهم حتى تكلموا بهذه المعاني فيما هو أعجب مما ذكرنا»^(٣) .

الرد الرابع :

استدل ابن نصر بكلام العرب - أيضاً - وذلك بنفيهم أن يكون الابن ولدهم أو العبد عبدهم ، إذا عاق الابن وضر العبد ولم ينفع .

(١) رواه البخاري (٦٩٨/٢) ح (١٨٧٦) - كتاب الصوم - باب حق الأهل في الصوم ، ومسلم

(١١٥٩) ح (٨١٥-٨١٤) - كتاب الصيام - باب النهي عن صوم الدهر . . . الخ .

(٢) الصلاة (٥٧٨/٢) - (٥٧٩) .

(٣) الصلاة (٥٧٩/٢) - (٥٨٠) .

يقول: «وذلك مثل قولهم للرجل يعق والديه، ويدخل عليهم الأذى، ويجرم عليهما الجرائم: «ليس ذاك بولد؛ إنما هو عدو»، وكذلك يقول الرجل لمملوكه إذا كان مضاراً له: «ما أنت بعبد».

وهم يعلمون أن ذلك ابن هذا لصلبه، وأن هذا ملك يمينه، ولكنه لما كان من أكبر الحقوق الواجبة على الولد وعلى المملوك الطاعة؛ وزال ذلك عنهم، أمكنهم أن يصفوهما بزوال البنوة والعبودية في المنطق، فإذا صار في الأحكام ردت الأشياء إلى أصولها، فجرت بينهم الموارثة في النسب وغيره، وكذلك العتق والبيع ونحوه في المملوك.

فكذلك هذه الذنوب التي ينفى بها أهلها من الإيمان، فقيل: «ليس بمؤمن من فعل كذا»، إنما احبطت الذنوب عندنا حقائق الإيمان ونفت اسم استكمالها التي نعت الله بها أهله، فهم في الأسماء والأحكام مؤمنين، وهم في الحقائق على غير ذلك، كالذي مثلت لك في الصانع والولد والمملوك»^(١).

الرد الخامس:

واستدل ابن نصر أيضاً بقول النبي ﷺ: «ليس الصيام من الطعام والشراب فقط، لكن الصيام من اللغو والرفث»^(٢).

يقول: «الصيام التام الكامل المتقبل: الإمساك عن هذه المعاني، كما قال

(١) الصلاة (٢/٥٨٠-٥٨١).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/٢٤٢) ح (١٩٩٦) - كتاب الصيام - باب (٨٩)، والحاكم في مستدرکه (١/٤٣٠-٤٣١) - كتاب الصوم، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في سننه (٤/٢٧٠) - كتاب الصيام - باب الصائم يتزه صيامه... إلخ، وابن حبان في صحيحه (٥/١٩٨) ح (٣٤٧٠) - كتاب الصوم - باب آداب الصوم.

في حديث آخر: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(١).

لأن الله قد نهى عن هذه الأشياء، فإذا ارتكب في صومه بعض ما نهى عنه، كان تاركاً لبعض الصيام، وإذا ترك الصيام جاز أن يقال: «ليس بصائم»، يراد ليس بصائم صوماً كاملاً، وذلك تأويل قوله: «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس»^(٢)، يقول: لم يصم صوماً كاملاً.

ومما يشبه ذلك قوله: «ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، ولكن المسكين المتعفف الذي لا يسأل الناس ولا يتفطن له فيتصدق عليه»^(٣)، لا يريد أن من كان ذا مال كثير ليس بغني النفس، ولا يسمى غنياً في اللغة، ولا يجب عليه ما أوجب الله على الأغنياء في أموالهم من الزكوات وغير ذلك، ولا أن الذي ترده اللقمة واللقمتان لا يجوز أن يسمى مسكيناً في اللغة، ولا يجوز أن يحكم له بحكم المساكين في التصدق عليه من الزكوات وكفارات الأيمان وغير ذلك، ولكنه يريد أن الغني الممدوح والمسكين الممدوح المرغوب

(١) رواه البخاري (٦٧٣/٢) ح (١٨٠٤) - كتاب الصوم - باب من لم يدع قول الزور... إلخ، والترمذي (٨٧/٣) ح (٧٠٧) - كتاب الصوم - باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم، وأبو داود (٥٢٩/٢) ح (٢٣٦٢) - كتاب الصوم - باب الغيبة للصائم، وأحمد في مسنده (٤٥٢/٢).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٣) - كتاب الصيام، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٣٣٦/٦).

(٣) رواه البخاري (٥٣٨/٢) ح (١٤٠٩) - كتاب الزكاة - باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْصَاءً﴾، ومسلم (٧١٩/٢) ح (١٠٣٩) - كتاب الزكاة - باب المسكين الذي لا يجد غنى... إلخ.

فيهما ليسا بهذين، ولكنهما اللذان وصفهما»^(١).

الرد السادس :

واستدل ابن نصر بنفي الصلاة عن الشخص إذا صلى الجمعة وتكلم فيها حيث يقول: «ومن ذلك قول بعض أصحاب النبي ﷺ لبعضهم: «لا جمعة لك»، لأنه تكلم والنبي ﷺ يخطب، فأخبر بذلك النبي ﷺ فقال: «صدقت»^(٢)، ولم يأمره بأن يصلي الظهر، وقد اتفق أهل العلم أن صلاته جائزة، وليس عليه أن يصلي الظهر»^(٣).

الرد السابع :

واستدل ابن نصر بنفي قبول الصلاة أربعين يوماً لمن شرب الخمر ولا يجوز له تركها.

يقول: «ونظير ذلك قوله: «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»^(٤)، فلو أن رجلاً شرب الخمر ثم جاء يستفتي لم يجز أن يقال: دع الصلاة أربعين، فإنك إن صليت لم تقبل منك، بل قد أجمعوا أن عليه أن يصلي، وأنه إذا صلى فصلاته جائزة، وليس له أن يعيد أربعين يوماً.

وتأول قوله: «لا تقبل صلاة» أي لا يثاب على صلاته أربعين يوماً عقوبة

(١) الصلاة (٢/٥٨٣-٥٨٥).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٤/٢٠٠) ح (٢٧٨٣). كتاب الصلاة - باب صلاة الجماعة، وابن خزيمة في صحيحه (٣/١٥٤) ح (١٨٠٧). كتاب الصلاة - باب النهي عن السؤال... والإمام يخطب، وابن ماجه في سننه (١/٣٥٢-٣٥٤) ح (١١١). كتاب الصلاة والسنة فيها - باب ما جاء في الاستماع إلى الخطبة، ورواه أحمد في مسنده (٥/١٤٣).

(٣) الصلاة (٢/٥٨٥-٥٨٦).

(٤) الحديث سيأتي تخريجه ص ٣٨٦.

لشربه الخمر، كما قالوا في المتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب: «إنه يصلي الجمعة، ولا جمعة له»؛ يعنون أنه لا يعطى ثواب الجمعة عقوبة لذنبه»^(١).

الرد الثامن :

واستدل ابن نصر بنفي الإيمان عن من لا يحب لأخيه المسلم مثلما يحب لنفسه، أو من ليس عنده أمانة، أو لا يأمن جاره بوائقه، مع بقاء اسم الإيمان عليه وعدم زواله؛ لأنه لا يزال أصل الإيمان إلا الشرك.

يقول: «ومثل قوله ﷺ: «لا تؤمنوا حتى تحابوا، ولا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٢)... يريد لا يؤمن الإيمان كله، وكذلك قوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٣).

وقوله: «ليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه»^(٤)، يقول: ليس بمؤمن كامل الإيمان.

وقوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم»^(٥)، يقول: المسلم المكمل لإسلامه المحسن فيه من كان كذلك، ألا تراه قال في حديث آخر: «أفضل المسلمين إسلاماً من سلم المسلمون

(١) الصلاة (٢/٥٨٧-٥٨٨).

(٢) رواه البخاري (١٤/١) ح (١٣) - كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومسلم (١٧/١) ح (٤٥) - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من حصل الإيمان... إلخ.

(٣) تقدم تخريجه ص ٢٠٢.

(٤) رواه الحاكم في مستدرکه (٤/١٦٥) - كتاب البر والصلة، وانظر: كتر العمال (٥/٢٤٩٠٥)، (٢٤٩٢٦).

(٥) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٦٩.

من لسانه ويده»^(١) .

وقوله: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»^(٢) ، يريد المؤمن الكيس المتيقظ المتعاهد لإيمانه»^(٣) .

الرد التاسع :

ثم استدل ابن نصر بقول شيخه أبي عبيد حيث يقول: «وقد وجدنا لمذهبنا بياناً في التنزيل والسنة، قال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبِّذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾»^(٤) .

قال الشعبي: «أما أنه كان بين أيديهم، ولكنهم نبذوا العمل به»^(٥) ؛ فجعلهم في الحقيقة نابذين له، ثم قد أحل لنا ذبائحهم ونكاح نسائهم؛ إذ كانوا بالألسنة له متحلين، وبه مقرين، وفي الحقيقة للكتاب مفارقين، وهم في الأحكام والأسماء فيه داخلون»^(٦) .

الرد العاشر :

استدل ابن نصر أيضاً بسنة نبيه محمد ﷺ فقال: «وأما من السنة فحديثه في صلاة المرأة العاصية لزوجها، والعبد الآبق، والمصلي بالقوم الكارهين له؛

(١) رواه مسلم (٦٥/١) ح (٤١) - كتاب الإيمان - باب تفاضل الإسلام، وأحمد في المسند

(٣٩١/٣)، والبخاري في شرح السنة (٣٠/١) ح (١٥)، والحاكم في المستدرک (١٠/١) .

(٢) رواه البخاري (٢٢٧١/٥) ح (٥٧٨٢) - كتاب الأدب - باب لا يلدغ المؤمن... إلخ، ومسلم

(٢٢٩٥/٤) ح (٢٩٩٨) - كتاب الزهد والرقائق - باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين .

(٣) الصلاة (٥٨٨/٢) - (٥٩٠) .

(٤) آل عمران: ١٨٧ .

(٥) أخرجه أبو عبيد في الإيمان ص ٩٣، والطبري في تفسيره سورة آل عمران (٤/٢٠٤) .

(٦) الصلاة (٥٨٠/٢) - (٥٨١) .

- أنها غير مقبولة^(١)، ومنه حديث في شارب الخمر أن صلاته غير مقبولة^(٢) .
 وقول علي: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»^(٣) .
 وقول عمر: «من قدم ثقله ليلة النفر، فلا حج له»^(٤) .
 فكل هذه الأحاديث إنما معناها عندنا على إبطال الحقائق والاستكمال،
 فأما الأسماء والأحكام فإن لهم في ذلك مثلما لغيرهم»^(٥) .



- (١) رواه الترمذي (١٩٣/٢) ح (٣٦٠) - كتاب أبواب الصلاة - باب من أم قوماً وهم له كارهون بلفظ: «فلا تلتجوز صلاتهم آذانهم: العبد الأبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام أم قوماً وهم له كارهون»، وقال أحمد محمد شاكر: حديث صحيح .
- ورواه البيهقي في السنن الكبرى (١٢٨/٣)، والطبراني في الكبير (٣٤١/٨، ٣٤٣)، وانظر: الدر المنثور (١٥٤/٢)، وكنز العمال (٤٣٧٩٧، ٤٣٩٢٤) .
- (٢) ولفظه: «من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين يوماً...» إلخ . وهذا الحديث رواه ابن حبان في صحيحه (٣٧٠/٧) ح (٥٣٣١) - كتاب الأشربة - فصل في الأشربة، ورواه ابن ماجه (١١٢٠/٢ - ١١٢١) ح (٣٣٧٧) - كتاب الأطعمة - باب من شرب الخمر... إلخ، ورواه الحاكم في مستدركه (١٤٥/٤ - ١٤٦) - كتاب الأشربة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه أحمد في مسنده (١٨٩/٢) .
- (٣) رواه البيهقي في سننه (٥٧/٣) - كتاب الصلاة - باب ما جاء في التشديد في ترك الجماعة من غير عذر، والحاكم في المستدرک (٢٤٦/١) - كتاب الصلاة . وقال الألباني: لا يصح عن علي (الإيمان لأبي عبيد ص ٤٢) .
- (٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤١/٤) - كتاب الحج - باب من كره أن يقدم ثقله من منى .
- (٥) الصلاة (٥٨١/٢ - ٥٨٢) .

الفصل السادس

نواقض الإسلام

وفيه المباحث التالية :

المبحث الأول : أهمية التوحيد.

المبحث الثاني : التوحيد أول دعوة الرسل.

المبحث الثالث : تفسير التوحيد الذي جاءت به
الرسل.

المبحث الرابع : من نواقض الإسلام «الشرك».

المبحث الخامس : من نواقض الإسلام التقدم بين
يدي الله ورسوله.

المبحث السادس : من نواقض الإسلام النفاق.

المبحث السابع : من نواقض الإسلام الردة عن
الإسلام.

البحث الأول

☆ أهمية التوحيد

إن التوحيد معناه الاعتقاد الجازم بأن الله إله واحد، فرد صمد، لا شريك له ولا مثل، رب كل شيء ومليكه، وأنه المستحق للعبادة وحده دون سواه، وأنه المتصف بصفات الكمال، المتزه عن كل عيب ونقص.

والواجب على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً؛ لأنه سبحانه ما أوجدهم وخلقهم إلا لعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١)، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢)، وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٣).

وهذه العبادة هي حق الله على العباد، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي يا معاذ: اتدري ما حق الله على العباد وحق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب

☆ انظر: كتاب التوحيد للإمام البخاري (٢٥٦هـ)، ضمن كتابه الجامع الصحيح (٦/٢٦٨٥ - ٢٧٤٩)، وشرحه الشيخ عبد الله الغنيمان في مجلدين، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (ت ٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز الشهوان، وكتايب التوحيد والإيمان لابن منده (٣٩٥هـ)، تحقيق: د. علي ناصر فقيهي، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشروحه.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) الإسراء: ٢٣.

(٣) النساء: ٣٦.

من لا يشرك به شيئاً، قلت: يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ قال: لا تبشروهم فيتكلوا»^(١).

وعبادة الله وإفراذه بالطاعة هي التوحيد، يقول في هذا الشيخ محمد أحمد الحفظي: «قال ابن عباس رضي الله عنهما: كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد، وقال الله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، أي يوحدون، وقال رب الأرباب في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٣)، أي نوحدك ونطيعك، وتقدم المعمول يفيد الحصر والاختصاص كما ذكر علماء البيان»^(٤).

فالعقيدة والتوحيد بينهما عموم وخصوص كما يقول أبو بطين^(٥) أحد علماء نجد: «وأما العبادة من حيث هي أعم من كونها توحيداً مطلقاً، فكل

(١) رواه البخاري (١٠٤٩/١) ح (٢٧٠١) - كتاب الجهاد - باب اسم الفرس والحمار، ومسلم (٥٨/١) ح (٣٠) - كتاب الإيمان - باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

(٢) الذاريات: ٥٦.

(٣) الفاتحة: ٥.

(٤) درجات الصاعدين إلى مقامات الموحدين في علم التوحيد ص ٣٠٠، وهي الرسالة الثانية عشرة ضمن مجموعة رسائل نشرها الشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي بعنوان عقيدة الموحدين، نشر مكتبة الطرفين - الطائف - ط. الأولى - ١٤١١هـ.

(٥) هو العلامة الحافظ الفقيه عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز أبو بطين العائذي القحطاني، تولى القضاء وأطلق عليه مفتي الديار النجدية، له عدة مصنفات منها: الانتصار لحزب الله، طبع بتحقيق: الوليد بن عبد الرحمن الفيضان. (ت ١٢٨٢هـ).

مشاهير علماء نجد للشيخ عبد الرحمن عبد اللطيف، علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (٥٧٥-٥٦٧/٢).

موحد عابد لله، وليس كل من عبد الله يكون موحداً»^(١).

فالتوحيد هو الأصل وهو الذي دعت إليه الأنبياء والمرسلين، يقول ابن تيمية في هذه المسألة: «وهذا الأصل، وهو التوحيد، هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾^(٢).

فهذا هو التوحيد الذي بعث الله الرسل لأجله، بعثهم مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، فبلغوا رسالات ربهم، ونصحوا لأقوامهم، وجاهدوا في الله حق جهاده، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٣)^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٥).

فكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» التي دعت إليها الرسل هي أصل الدين وأساس الملة، وهي الكلمة التي لو وضعت في كفة، ووضعت السموات السبع ومن فيهن والأراضين السبع ومن فيهن في كفة لرجحت بهن كفة لا إله إلا الله»^(٦).

(١) رسالة معنى العبادة والإخلاص ضمن مجموعة التوحيد (١/١٦٤)، تحقيق: بشير محمد عيون - نشر مكتبة البيان - ط. الأولى - ١٤٠٧هـ.

(٢) الزخرف: ٤٥.

(٣) البقرة: ٢١٣.

(٤) قاعدة جلية في التوسل والوسيلة ص ١٦، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، نشر مكتبة دار البيان - ط. الأولى - ١٤٠٥هـ.

(٥) الأنبياء: ٢٥.

(٦) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «قال موسى: يارب، علمني شيئاً أذكرك =

وسبب رجوعها أنها مفتاح الجنة وأنها «الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، وهي كلمة التقوى التي ألزمهم ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(١)، وهي العروة الوثقى، وهي التي جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون... هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالها عالماً بمعناها معتقداً إياها فقد دخل في الإسلام، وصار من أهل دار السلام: الجنة»^(٢).

فهذه الكلمة يدخل العبد في الإسلام، والدخول في دين الإسلام فضل من الله ومنه يمين به على من يشاء من عباده، يقول ابن نصر في هذا المعنى: «الحمد لله الممتن على عباده المؤمنين، بمآد لهم عليه من معرفته، وشرح صدورهم للإيمان به، والإخلاص بالتوحيد لربوبيته، وخلع كل معبود سواه، ففرض جل ثناؤه عليهم فرائضه، فلا نعمة أعظم على المؤمنين من نعمة الإيمان»^(٣).



= وأدعوك به، قال: قل: يا موسى، لا إله إلا الله، قال: يارب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى، لو أن السموات السبع وعاصرهن غيري والأراضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله».

رواه ابن حبان ح (٢٣٢٤)، والبغوي في شرح السنة (٥٤/٥ - ٥٥)، والحاكم (١/١٢٨) في كتاب الدعاء، وقال: هذا حديث صحيح.

(١) الفتح: ٢٦.

(٢) مفتاح الجنة لا إله إلا الله ص ٣٨ - ٤٠ للشيخ محمد سلطان المعصومي (ت ١٣٧٩هـ)، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، نشر المكتبة الإسلامية - الأردن - ط. الأولى - ١٤٠٨هـ.

(٣) الصلاة (١/٨٥).

المبحث الثاني التوحيد أول دعوة الرسل

إن جميع الرسل دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونبذوا ما يعبدون من دونه، ذلك أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان كما بين ذلك علماء سلف هذه الأمة وبسطوه ضمن ثنايا كتبهم.

يقول شارح الطحاوية: «اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل»^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾»^(٢)،^(٣).

ويقول في موضع آخر: «وقد أخبر الله عن الأنبياء الذين قص أخبارهم كنوح وهود وصالح وشعيب صلوات الله عليهم أجمعين: أن كلاً منهم يقول لقومه: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾»^(٤)، بل يفتتح دعوته بذلك»^(٥).

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢١/١).

(٢) الأعراف: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٤/١).

(٤) الأعراف: ٥٩.

(٥) جواب أهل العلم والإيمان ص ١٢٣-١٢٤، نشر دار الكتب العلمية - ط. الثانية - ١٣٩٤هـ.

فجميع الرسل دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له :
فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (١) .

وقال هود عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٢) .
وقال صالح عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٣) .
وقال شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ (٤) .
وقال إبراهيم عليه السلام لقومه : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ (٥) .

وقال خاتمهم محمد ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله... الحديث» (٦) .

ثم إنهم إذا آمنوا بالله وصدقوا به، وأخلصوا له العبادة، أمرهم بالشرائع، كل نبي وشريعته التي أمره ربه بها.

قال الآجري رحمه الله : «اعلم» «أن الله عز وجل بعث نبيه محمداً ﷺ إلى الناس كافة، ليقرؤا بتوحيده، فيقولوا: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، فكان من قال هذا موقناً من قلبه، ناطقاً بلسانه؛ أجزأه، ومن مات على هذا

(١) الأعراف: ٥٩ .

(٢) الأعراف: ٦٥ .

(٣) الأعراف: ٧٣ .

(٤) الأعراف: ٨٥ .

(٥) العنكبوت: ١٦ .

(٦) رواه البخاري (١٧/١) ح (٢٥) - كتاب الإيمان - باب ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ ، ومسلم (١/٥٣) ح (٢٢) - كتاب الإيمان - باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: «لا إله إلا الله» .

فإلى الجنة، فلما آمنوا بذلك وأخلصوا توحيدهم فرض عليهم الصلاة بمكة، فصدقوا بذلك وآمنوا وصلوا، ثم فرض الهجرة فهاجروا وفارقوا الأهل والأوطان، ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام فأمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان، ثم فرض عليهم الزكاة فأمنوا وصدقوا وأدوا ذلك كما أمروا، ثم فرض عليهم الجهاد فجاهدوا البعيد والقريب وصبروا وصدقوا، ثم فرض عليهم الحج فحجوا وآمنوا به، فلما آمنوا بهذه الفرائض وعملوا بها تصديقاً بقلوبهم وقولاً بألسنتهم وعملاً بجوارحهم؛ قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾ (١) «(٢)» .

ويوضح ابن نصر هذا الترتيب الذي ذكره الآجري مستدلاً بأيات من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ تبين أن أول ما فرض على العباد هو توحيد الله، ثم يأتي الأمر بعد ذلك بأداء الشعائر، ومن أولها الصلاة التي هي أشهر معالم التوحيد.

يقول رحمه الله: «قال الله عز وجل: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ (٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٣)» .

فجعل أول فريضة نصها بالتسمية بعد الإخلاص بالعبادة لله «الصلاة» .

(١) المائدة: ٣ .

(٢) الشريعة ص ١٠١-١٠٢ .

(٣) البينة: ١-٥ .

وقال عز وجل: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾^(١)، وقال: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٢).

ونظير ذلك جاءت عن النبي ﷺ :

روى بسنده عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «من فارق الدنيا على الإخلاص لله وعبادته وحده لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ فارقها والله عنه راض»^(٣).

وهو دين الله الذي جاءت به الرسل، وبلغوه عن ربهم، من قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء»^(٤).

وأجمعت الأمة على أن الكافر إذا تلفظ بالشهادتين وأقر بهما، أنه أسلم ودخل في دين الإسلام مع أنه لم يؤد أي فريضة من الفرائض بعد.

يقول ابن نصر: «وقال جبريل للنبي ﷺ: «ما الإسلام؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله»^(٥)، ولا يمتنع جميع الأمة أن يقولوا للكافر إذا أقر بلسانه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله؛ قد أسلم، قبل أن يصلي وقبل أن يصوم.

(١) التوبة: ٥.

(٢) التوبة: ١١.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه في المقدمة (١/٢٧) ح (٧٠) - باب في الإيمان، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٨٣٥-٨٣٦) ح (١٥٤٩) - باب سياق ما روي عن النبي ﷺ أن الإيمان تلفظ باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح.

(٤) الصلاة (١/٨٥-٨٧).

(٥) سبق تخريجه ص ١١٦.

فكذلك كل من أسلم على يد النبي ﷺ إنما بدو إسلامه الشهادتان .
ولا تدافع بين أهل اللغة في أن يسموا كل من شهد بذلك مسلماً في وقته
ذلك ، قبل أن يأتي وقت صلاة ولا صوم»^(١) .

وبين لنا الإمام ابن نصر سبب مجيء الصلاة بعد الشهادتين ، وذلك كما
يظهر في كثير من آيات الكتاب العزيز ، أو من خلال جعلها النبي ﷺ الركناً
الثاني من أركان الإسلام ، كما ورد في حديث جبريل العظيم^(٢) .

يقول رحمه الله : «فهي أعم الشرائع فرضاً ، بها يفتح الله ذكرها ، وبها
يفتح رسول الله ﷺ أعلام الإيمان أينما ذكرها .

وهي أخص الفرائض لزوماً للداخل في الإسلام ، وأشهرها مناراً للدين
ومعلماً بين المسلمين والمشركين . . . فهي أشهر معالم التوحيد مناراً بين ملة
الإسلام وملة الكفر ، لن يستحق دين الإسلام ومشاركة أهل الملة ومباينة ملة
الكفر ؛ إلا بإقامتها ، فإن تركتها العامة انطمس منار الدين كله ، فلا يبقى
للدين رسم ولا علم يعرف به»^(٣) .



(١) الصلاة (٢/٧٠١) .

(٢) حديث جبريل تقدم تخريجه ص ١١٦ .

(٣) الصلاة (٢/١٠٠٢-١٠٠٣) .

المبحث الثالث

تفسير التوحيد الذي جاءت به الرسل

إن كلمة «لا إله إلا الله» هي الكلمة التي فطر الله الناس عليها، وبعث بها الرسل إلى أقوامهم لتحقيق معناها والعمل بمقتضاها.

ولقد فسر النبي ﷺ هذه الكلمة لأمته، وبين أن لها شروطاً يجب على العبد أن يفي بها، حتى يحصل على الثواب المعد لقائلها، وحتى تنفعه يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(١).

ذلك أنه وردت أحاديث توجب الجنة لمن قال هذه الكلمة، ففي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد قال: لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق - ثلاثاً-، ثم قال في الرابعة: على رغام أنف أبي ذر. قال: فخرج أبو ذر وهو يقول: وإن رغام أنف أبي ذر»^(٢).

ووردت أحاديث أخرى تفيد هذا الإجمال مثل حديث أبي أيوب

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) رواه البخاري (٢١٩٣/٥) ح (٥٤٨٩) - كتاب اللباس - باب الثياب البيض، ومسلم (٩٥/١) ح (٩٤) - كتاب الإيمان - باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار.

الأنصاري^(١) «أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال: تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»^(٢).

فجعل النبي ﷺ سبب دخول الجنة مع توحيدهِ وعدم الإِشراك به أن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصل الرحم، حتى إنه «قيل للحسن: إن أناساً يقولون من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة؟ فقال: من قال: لا إله إلا الله، فأدى حقها وفرضها؛ دخل الجنة.

وقال وهب بن منبه^(٣) لمن سأله: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك»^(٤).

فالعبد لا يكون مؤمناً يستحق الجنة حتى يحصل منه الإقرار والخضوع لله، وأن تستسلم جوارحه لله رب العالمين.

(١) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري، أبو أيوب، من كبار الصحابة شهد بدرًا، خصه الرسول ﷺ بالنزول عليه في بني النجار. مات غازياً الروم سنة خمسين، وقيل بعدها. سير أعلام النبلاء (٢/٤٠٢-٤١٣)، الإصابة (١/٤٠٤-٤٠٥).

(٢) رواه البخاري (٢/٥٠٥) ح (١٣٣٢) - كتاب الزكاة - باب وجوب الزكاة، ومسلم (١/٤٣) ح (١٣) - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة... إلخ.

(٣) ابن كامل بن سيح بن ذي كيار، وهو الأسوار، الإمام العلامة الأخباري القصصي أبو عبد الله الأبنواوي اليمامي الذماري الصنعاني، أخذ عن ابن عباس وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة. قال العجلي: تابعي ثقة، وكان على قضاء صنعاء. مات سنة (١١٤هـ)، وقيل قبلها. سير أعلام النبلاء (٤/٥٤٤)، التهذيب (١١/١٤٧).

(٤) كلمة الإخلاص لابن رجب ص ١٤.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (١).

قال ابن رجب: «على أن الأخوة في الدين لا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، فإن التوبة من الشرك لا تحصل إلا بالتوحيد» (٢).

فعبادة الله سبحانه وتعالى وإفراده بالطاعة وحده دون سواه هي حقيقة دين الإسلام التي يقول عنها ابن تيمية: «وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يستسلم لغيره، فمن استسلم لغيره كان مشركاً، والله ﴿لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ (٣)، ومن لم يستسلم لله، بل استكبر عن عبادته، كان ممن قال الله فيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٤)» (٥).

فلا بد للعبد أن يستسلم لله، ويخضع له بالعبودية، ويقر له باللسان.

ويقول ابن نصر في هذا: «وقد تتابعت عن الله عز وجل وعن رسوله ﷺ أنه سمي الإقرار باللسان إسلاماً، كما قال الله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿(٦)».

فجعل شهادتهم دين الإسلام.

(١) التوبة: ١١.

(٢) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص ١٨ - ١٩.

(٣) النساء: ٤٨.

(٤) غافر: ٦٠.

(٥) الفرقان ص ٦٧، نشر المكتب الإسلامي - ط. الخامسة - ١٤٠١هـ.

(٦) آل عمران: ١٨ - ١٩.

وقال لإبراهيم: ﴿أَسْلِمَ قَالَ أَسَلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

وقال يعقوب لبنينه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٢).

يعني مخلصين لله بالقلب واللسان، خضوعاً له بالعبودية» (٣).

وقال أيضاً: «إن العبد إذا قال: «لا إله إلا الله» من قلب صادق فقد أقر، ومعنى أقر: اعترف، فإذا كان هذا إيماناً، فكلما وحد الله أبدأً - إلى أن يموت - بلسانه، فهو معترف عن قلب صادق، فهو في كل يوم وفي كل ساعة يوحد فيها ويزداد إيماناً، وكل وقت يشغل قلبه بالمعاصي، فلا يشرح للقول بالاعتراف، ولا يعظم في قلبه الرب تبارك وتعالى، فيفزع إلى توحيد؛ فهو أنقص منه في الحالة الأولى التي عظم بقلبه المعترف به» (٤).

وهذا الإسلام الذي هو توحيد الله وإفرازه بالعبادة بينه الله في كتابه ووضحه رسوله محمد ﷺ؛ حتى لا تقع أمته في مزالق الشرك ويستحوذ عليها الشيطان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد بين الله هذا التوحيد في كتابه، وحسم مواد الإشراك به، حتى لا يخاف أحد غير الله، ولا يرجى سواه، ولا يتوكل إلا عليه... وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأُمَّته، ويحسم عنها مواد الشرك» (٥).

(١) البقرة: ١٣١.

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) الصلاة (٢/٧٠٠-٧٠١).

(٤) الصلاة (٢/٧٨٢-٧٨٣).

(٥) الواسطة بين الحق والخلق ص ٣٢-٣٣، نشر المكتب الإسلامي - ط. الرابعة - ١٣٩٩ هـ.

وهذا التوحيد الحقيقي الذي بعث الله لأجله الأنبياء والمرسلين، لا توحيد الملاحدة والمعتلين .

يقول ابن سعدي^(١) : «وهذا التوحيد هو التوحيد على الحقيقة الذي لا يستحق هذا الاسم غيره، وهو التوحيد الوحيد في ذاته وحقيقته، وأدلتة وبراهينه، وآثاره الجميلة وثمراته الجزيلة .

وهو التوحيد الذي بعث الله به جميع رسله، وأنزل لأجله كتبه، وخلق المخلوقات وشرع الشرائع لإقامته . . . وهو الأصل والأساس لجميع الأعمال، وهو التوحيد الذي عليه خيار الخلق وأكملهم عقولاً وأزكاهم نفوساً وأجمعهم للمحاسن، وهم جميع الأنبياء والمرسلين، وأئمة الهدى ومصايح الدجى، وأصحابهم وأتباعهم»^(٢) .

وتوحيد الأنبياء والمرسلين هو الذي يدخل الجنة وينجي من النار، فسره النبي ﷺ لأمة حتى يقوموا به حق قيامه .

يقول ابن نصر في هذه المسألة: «فهذا رسول رب العالمين الذي جاء بالإيمان ودعا إليه، سأله الوفد عن أمر يدخلهم الجنة، وينجيهم من النار، فأمرهم بالإيمان بالله .

(١) هو العلامة الورع الزاهد الفقيه الأصولي، المحقق المدقق، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن حمد آل سعدي من نواصر بني تميم، المكنى بأبي عبد الله، الشهير بعلامة القصيم، له مصنفات عدة . (ت ١٣٧٦هـ) .

روضة الناظرين لمحمد عثمان القاضي (٢/٢١٩)، علماء نجد خلال ستة قرون للبسام (٢/٤٤٢-٤٣١) .

(٢) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ص ٤، نشر دار ابن القيم - ط . الأولى - ١٤٠٦هـ .

ثم قال لهم مخافة أن يحملوا ذلك على غير وجهه: «اتدورن ما الإيمان بالله؟ ثم فسرهم لهم؛ فجعله توحيده، والإقرار برسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإيتاء الخمس من الغنائم، فهذا مما يبين لك أن الإيمان بالله إنما هو توحيده وعبادته»^(١)

ولم ينتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا بعد كمال الدين وتمامه؛ حتى لا يبقى لأحد حجة أو وسيلة لإفساد توحيد الناس وعقائدهم، فالدين ما شرعه الله ورسوله فقط، لا ما شرعه أهل الزيغ والضلال ويسمونه توحيداً.

يقول ابن نصر ذاكراً نعمة الله بتمام الدين وكمالها: «قبض الله رسوله ﷺ إليه بعد أن أكمل للمسلمين دينهم فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾»^(٢).

نزلت ورسول الله ﷺ واقف بعرفات، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات»^(٣).



(١) الصلاة (١/٤٠١).

(٢) المائة: ٣.

(٣) السنة لابن نصر ص ٤.

المبحث الرابع من نواقض الإسلام «الشرك»

وفيه المطالب التالية :

- المطلب الأول : التحذير من الشرك والمعاصي.
- المطلب الثاني : هل الفرائض لازمة على الكفار حال كفرهم؟
- المطلب الثالث : هل يقضي الكافر ما فاته من الفرائض؟
- المطلب الرابع : إن الله لا يغفر لمن مات مشركاً.

المطلب الأول

التحذير من الشرك والمعاصي

تقدم أن النبي ﷺ لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الله الدين وأتم النعمة، وقد بين عليه السلام لأمته ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وأرشدهم إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم فقال عليه السلام: «فعلتكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١).

يقول ابن نصر: «وحذر أمته المحدثات التي حدثت بعدهم وأخبر أنها بدعة، وذم الله من أحدث من الأمم الماضية في دين الله ما لم يأذن به الله، فحذرنا أن نكون مثلهم، وأخبر أنه قد نهاهم أن يقولوا على الله إلا الحق، ونهانا عن مثل ما نهاهم عنه فقال: ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾^(٢)، فشرع رسول الله ﷺ الشرائع وسن السنن بإذن ربه ووحيه، لا من تلقاء نفسه، وشهد الله له بذلك فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾^(٣) وما ينطق عن الهوى^(٣) إن هو إلا وحي يوحى^(٣)، وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

(١) جزء من حديث أوله «أوصيكم بتقوى الله عزوجل والسمع والطاعة ...» إلخ. والحديث رواه أبو داود (٣٩٣/٤) ح (٤٦٠٧) - كتاب السنة - باب في لزوم السنة، والترمذي (٤٣/٥) ح (٢٦٧٦) - كتاب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة (١٥/١) ح (٤٢) - باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ورواه أحمد في مسنده (١٢٧، ١٢٦/٤).

(٢) الشورى: ٢١.

(٣) النجم: ٢ - ٤.

دِينَكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿١﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ (٢) .

فحذرنا أن نكون مثلهم لأننا ورثنا الكتاب كما ورثوه ودرسناه كما درسوه ، ثم أخبرنا النبي ﷺ أنا سنستن بستهم ونتبع آثارهم ، وابتدع بعضنا كما ابتدعوا ؛ فقال ﷺ : « لتركبن سنن من كان قبلكم » (٣) « (٤) .

وأمرنا الله باتباع صراطه المستقيم ، وحذرنا من اتباع السبل فنضل ونشقى ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٥) .

وحذرنا سبحانه عن التولي عن هذا الدين فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ . . . الآية (٦) .

وأخبر أنه من يتولى ويرتد عن هذا الدين فإن مصيره النار ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٧) .

(١) النساء : ١٧١ .

(٢) الأعراف : ١٦٩ .

(٣) الحديث رواه البخاري (٣/ ١٢٧٤) ح (٣٢٦٩) - كتاب الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤) ح (٢٦٦٩) - كتاب العلم - باب اتباع سنن اليهود والنصارى ، كلاهما رواه بلفظ : « لتقتبعن سنن... » الحديث .

(٤) السنة لابن نصر ص ١٠ .

(٥) الأنعام : ١٥٣ .

(٦) المائدة : ٥٤ .

(٧) البقرة : ٢١٧ .

والارتداد عن دين الله له صور كثيرة منها: ترك الإسلام والانتقال إلى ملة من ملل الكفر، كما أن من صور ارتكاب ناقض من نواقض الإسلام، ونواقض الإسلام كثيرة، وأسباب الردة متعددة، وقد تكلم علماء الإسلام على نواقض الإسلام في كتب الفقه في حكم المرتد وما تحصل به الردة^(١)، وورد أيضاً في بعض كتب العقائد.

وقد لخص الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله نواقض الإسلام في عشرة نواقض هي:

«الأول: الشرك في عبادة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، و﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٣).

ومنه الذبح لغير الله، كمن يذبح للجن أو للقبر.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم؛ فقد كفر إجماعاً.

الثالث: من لم يكفر المشركين، أو يشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم؛ كفر.

الرابع: من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه؛ فهو كافر.

(١) انظر: المدونة الكبرى (٢/٣١٥-٣١٨)، والأم (٨/٢٦٠)، والمبسوط (١٠/٨٩-١٢٣)،
والمغني (١٠/٧٢-١١٥).

(٢) النساء: ٤٨.

(٣) المائدة: ٧٢.

الخامس : من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ، ولو عمل به ؛ كفر .

السادس : من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه وعقابه ؛ كفر ،
والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (٦٥) لا
تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴿ (١) .

السابع : السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به ؛ كفر ،
والدليل قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا
تَكْفُرْ ﴾ (٢) .

الثامن : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله
تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ ،
كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام ؛ فهو كافر .

العاشر : الإعراض عن دين الله ، لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله
تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ
مُنْتَقِمُونَ ﴾ (٤) (٥) .

(١) التوبة : ٦٥-٦٦ .

(٢) البقرة : ١٠٢ .

(٣) المائدة : ٥١ .

(٤) السجدة : ٢٢ .

(٥) مجموعة التوحيد (١/٣٨-٣٩) ، وانظر : القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرسائل الشخصية ص ١٩٨ ، ٢٠٤-٢١٢ ، وشرح نواقض الإسلام ، محمد بن إبراهيم الشيباني ، نشر مكتبة ابن تيمية - ط . الأولى - ١٤١٠ هـ .

فأول هذه النواقض هو الشرك، وهو أخطر الذنوب على الإطلاق، وقد حذر الله عباده منه أشد التحذير، حتى إنه سبحانه قال في حق الأنبياء والمرسلين: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

وقال في حق نبيه وخليفه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾^(٢).

والشرك تاريخه قديم فعن ابن عباس رضي الله عنهما: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف الجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع؛ أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن أنصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموهم بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد؛ حتى إذا هلك أولئك فنسخ العلم عبدت»^(٣).

ولم يكن قبل نوح عليه السلام شرك، بل كان هناك عشرة قرون كلها على الإسلام، كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على الإسلام، وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه ذكر في حديث الشفاعة عن نوح قول أهل الموقف له: «وانت أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض»^(٤).

(١) الأنعام: ٨٨.

(٢) الزمر: ٦٥.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧٣/٤) ح (٤٦٣٦) - كتاب التفسير - باب: ﴿وَدًّا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾.

(٤) الحديث تقدم تخريجه ص ٢٧٤.

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (١).

فإذا كان الله قد بعث في كل أمة رسولا يدعوها إلى عبادة الله وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت، ونوح أول من بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض؛ علم أنه لم يكن قبل نوح مشركون كما قال ابن عباس (٢).

وقال في موضع آخر: «وهذا لأن أصل الشرك في بني آدم إنما كان من الشرك بأصحاب القبور، فإن أول الشرك كان في قوم نوح» (٣).

وقبل أن اذكر أقوال الإمام ابن نصر في بعض نواقض الإسلام، نشير إلى أن الله حذر عباده من الوقوع في المعاصي فقال: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (٤).

وبشرهم بالمدخل الكريم إذا اجتنبوا الكبائر فقال عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٥)، وقال: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ (٦).

وسبب اقتران المعاصي بالشرك هو أن المعاصي بريد للكفر، كما يقول ابن

(١) النحل: ٣٦.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٥١)، تعليق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبع بمطبعة الحكومة - مكة المكرمة - ط. ١٣٩١ هـ.

(٣) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق ص ٤٥، تحقيق: سليمان الغصن، نشر دار العاصمة - الرياض - ط. الأولى - ١٤١١ هـ.

(٤) النساء: ١٤.

(٥) النساء: ٣١.

(٦) النجم: ٣٢.

القيم: «ومن ها هنا قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر، كما أن القبلة بريد الجماع، والغناء بريد الزنا، والنظر بريد العشق، والمرض بريد الموت»^(١).

وذكر ابن نصر أن الله قسم المعاصي إلى ثلاثة أقسام حيث يقول: «قال الله عز وجل: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾»^(٢).

لما كانت المعاصي بعضها كفر وبعضها ليس بكفر، فرق بينهما فجعلها ثلاثة أنواع: نوع منها كفر، ونوع فسق وليس بكفر، ونوع عصيان وليس بكفر ولا فسوق، وأخبر أنه كرهها كلها إلى المؤمنين.

ولما كان الطاعات كلها داخلة في الإيمان وليس شيء منها خارجاً منه؛ لم يفرق بينهما فيقول: حبب الإيمان والفرائض وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: ﴿ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾^(٣).

فدخل في ذلك جميع الطاعات؛ لأنه قد حبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تدين؛ لأن الله أخبر أنه حبب ذلك إليهم وزينه في قلوبهم لقوله: ﴿ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ ﴾^(٤).

ويكرهون جميع المعاصي منها، والفسوق، وسائر المعاصي، كراهة

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص ٥٧، نشر دار الندوة الجديدة - بيروت - ط.

الثالثة - ١٤٠٠ هـ.

(٢) الحجرات: ٧.

(٣) الحجرات: ٧.

(٤) الحجرات: ٧.

تدين؛ لأن الله أخبر أنه كره ذلك إليهم لقوله: ﴿ وَكَرَهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ .

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ: «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»^(١)؛ لأن الله حبب إلى المؤمنين الحسنات وكره إليهم السيئات»^(٢).

ثم بين لنا الإمام ابن نصر أن هذا الإيمان الذي زينه الله في قلوبنا، لا ينفيه ولا يطرده إلا الكفر الذي كرهه الله إلينا وحذرنا منه .

يقول رحمه الله عند رده على المرجئة: «لأن الإيمان ضد الكفر فما نفى الكفر فهو إيمان، وما نفى الإيمان فهو كفر»^(٣).

وقال في موضع آخر: «ولا ينفى الشيء إلا بضده، وقد ثبتم أن الكراهة للكفر والخوف من الله أن يقبله العبد إيمان؛ فإنه لا ينفى الكفر إلا بالإيمان، وقد بين النبي ﷺ ذلك بسنته»^(٤).

ثم ذكر ابن نصر الأدلة التالية على أنه لا ينفى الكفر إلا بالإيمان:

١ - روى بسنده عن أبي هريرة قال: «جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نجد في أنفسنا الشيء نتعاضم أن نتكلم به؟ فقال: أوقد وجدتموه، قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان»^(٥).

(١) الحديث تقدم تخريجه ص ٣٦٠.

(٢) الصلاة (١/٣٦٢-٣٦٣).

(٣) الصلاة (٢/٧٢٩).

(٤) الصلاة (٢/٧٢١).

(٥) رواه مسلم (١/١١٩) ح (١٣٢) - كتاب الإيمان - باب بيان الوسوسة... إلخ، وأبو داود (٤/٥٠١) ح (٥١١١) - كتاب الأدب - باب في رد الوسوسة، وأحمد في المسند (٢/٣٩٧)، وأبو عبيد في الإيمان ص ٦٤، وابن أبي عاصم في السنة ح (٦٥٤) وما بعده =

٢ - روى بسنده عن أبي هريرة قال: « قال ناس من أصحاب رسول الله ﷺ: يا رسول الله؛ إنا نجد في أنفسنا شيئاً ما نحب أن نتكلم به وأن لنا ما طلعت عليه الشمس، فقال النبي ﷺ: ذاك صريح الإيمان»^(١).

٣ - روى بسنده عن أبي صالح^(٢) عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ قال: «أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، الرجل منا يحدث نفسه بالشيء، لأن يخبر من السماء أحب إليه من أن يفوه به، فقال رسول الله ﷺ: ذاك صريح الإيمان»^(٤).

٤ - روى بسنده عن أبي هريرة: «شكى أصحاب رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ الوسوسة في الصلاة، فقال: اللهم لك الحمد قد أيس عدو الله أن يعبد، فرضي منكم بالوسوسة؛ هذا محض الإيمان»^(٥).

٥ - روى بسنده عن ابن عباس قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إن أجدنا يحدث نفسه بالشيء يعرض له، لأن يكون حممة^(٦) أحب إليه من

= وقال الألباني: حديث صحيح.

(١) انظر تخريج الحديث المتقدم.

(٢) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني، مولى جويرية بنت الأحمس، النطفاني، ثقة ثبت. مات سنة (١٠١هـ).

سير أعلام النبلاء (٣٦/٥)، التهذيب (٣/١٨٩ - ١٩٠).

(٣) هو أبو هريرة كما تقدم.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم نحوه.

(٦) الفحمة، وجمعها حمم، ومنه الحديث: «إذا مت احرقوني بالنار، حتى إذا صرت حمماً فاسحقوني».

النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٤٤٤).

أن يتكلم به، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة»^(١).

ثم قال الإمام ابن نصر بعد ذكره لعدة أحاديث قريبة من الأحاديث السابقة: «ليس يعني أن الوسوسة في نفسها هي صريح الإيمان، وإنما يعني ما أظهروا له من الكراهة عن الخوف من الله عزوجل؛ إذ اختاروا لأن يخروا من السماء على أن يتكلموا به، ولا تطيب نفس أحد بأن تخر من السماء وأن تصير حممة، إلا من شدة الخوف، فذلك الخوف هو صريح الإيمان.

لأنه إذا وجد الوسوسة من طريق الشرك، نظر إلى ما أعدده الله لأهل الشرك من العذاب، وطابت نفسه أن تكون حممة، لأن من نظر إلى شيء من عذاب الله باليقين كان ما دونه أهون عليه وأخف»^(٢).

ثم ذكر الإمام ابن نصر منهج أهل السنة والجماعة في أهل المعاصي، وأنهم تحت رحمة الله؛ إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، يقول رحمه الله: «إن المصر على ما دون الشرك حتى يموت، مؤمن غير كافر ولا مشرك، وهو بين خوف ورجاء، يخاف أن يعاقبه الله على معصيته إياه بما استحق من العقوبة، ويرجو أن يتفضل الله عليه فيعفو عنه ويغفر له ذنبه»^(٣).

(١) الصلاة (٢/٧٢١).

والحديث رواه أبو داود (٤/٥٠١) ح (٥١١٢) - كتاب الأدب - باب في رد الوسوسة، وأحمد في مسنده (١/٢٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة ح (٦٥٨). وقال الألباني: وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٢) الصلاة (٢/٧٢٦).

(٣) الصلاة (٢/٦٢٣).

وقال في موضع آخر: «والحدود لا تكون كفارات إلا للمؤمنين، ألا ترى قوله: «من ستر الله عليه، فامر به إلى الله، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه»^(١)، فإذا غفر له أدخله الجنة، ولا يدخل الجنة من البالغين المكلفين إلا مؤمن»^(٢).

أما المشرك فإن الله لا يغفر له إذا مات على شركه ولم يتب منه ويفارقه؛ يقول ابن نصر في ذلك: «وقوله ﷺ: «إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه» هو نظير قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك، يعني إذا مات غير تائب منه؛ لقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٤)، مع آيات غير هذه تدل على أن التائب من الشرك مغفور له شركه.

فثبت بذلك أن الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفره هو الشرك الذي لم يتب منه، وأن التائب مغفور له شركه، وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء»^(٥).

وقد تقدم الكلام على حكم مرتكب الكبيرة في الفصل الرابع فليراجع.



(١) الحديث رواه أبو داود (٣٢٠/٢) ح (١٤٢٠) - كتاب الصلاة - باب فيمن لم يوتر، والنسائي (٣٠/١) - كتاب الصلاة - باب المحافظة على الصلوات الخمس، ومالك في الموطأ (٩٥١/٢ - ٩٥٢) - كتاب صلاة الليل - باب الأمر بالوتر.

(٢) الصلاة (٦١٦/٢ - ٦١٧).

(٣) النساء: ٤٨.

(٤) الأنفال: ٣٨.

(٥) الصلاة (٦١٧/٢).

المطلب الثاني

هل الفرائض لازمة على الكفار حال كفرهم؟

أخبر الله سبحانه أنه بعث نبيه محمداً ﷺ على حين فترة من الرسل، وختم به الأنبياء والمرسلين، قال عز من قائل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (١).

بعثه للإنس والجن كافة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. ونسخ الله بشريعته سائر الشرائع السابقة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢)؛ فلا يقبل بعد مبعثه عليه السلام من الناس ديناً سوى الإسلام، قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، ثم لم يؤمن بي؛ إلا كان من أهل النار» (٣).

فجميع الخلائق يلزمهم الإيمان بالله والرسول والدخول في دين الإسلام، ولا خلاف في هذا بين أهل العلم، ولكن الخلاف بينهم في الكفار هل هم مطالبون بأداء شرائط الإسلام قبل إسلامهم أم لا؟ وهل الفرائض واجبة

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) آل عمران: ٨٥.

(٣) رواه مسلم (١/١٣٤) ح (١٥٣) - كتاب الإيمان - باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأحمد في المسند (٢/٣١٧)، وابن منده في التوحيد (١/٣١٤ - ٣١٥) ح (١٥١)، وفي الإيمان (٢/٥٠٨) ح (٤٠١).

عليهم كما هو واجب عليهم بالإيمان بالله تعالى؟

ومن قال إن الفرائض واجبة عليهم الأئمة الثلاثة: الإمام مالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله، يقول محمد السفاريني: «ومن نص على أن للكفار حفظة بعض المالكية، قال بعضهم: هو الذي لا يصح غيره، وهو الجاري على القول بتكليفهم بفروع الشريعة، وهو معتمد الثلاثة خلافاً لأبي حنيفة»^(١).

ويؤكد ابن نصر أن الفرائض لازمة للكفار واجبة عليهم، وذلك كما يقول: «وقال الله عز وجل فيما حكى عن الكفار أنهم سئلوا بعد دخولهم النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۚ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۚ (٤٢) وَلَمْ نَكُ نُطْعَمِ الْمَسْكِينِ ۚ﴾»^(٢).

فأخبروا أنهم عذبوا على تركهم الصلاة وإطعام المسكين، ويشبه أن يكونوا أرادوا بتركهم إطعام المسكين منعهم الزكاة؛ الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٣).

وأخبر النبي ﷺ في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن الله افترض على عباده خمس صلوات لم يخص مسلماً منها دون كافر، فأخبر أن الصلوات مفترضات على جميع العباد^(٤).

فثبت بالدلائل التي ذكرناها أن الصلاة وجميع الفرائض لازمة لجميع

(١) لوامع الأنوار البهية (١/٤٥١).

(٢) المدثر: ٤٢-٤٤.

(٣) فصلت: ٦-٧.

(٤) حديث عبادة بن الصامت تقدم تخريجه ص ٤١٦.

الكفار كلزومها المسلمين، وكذلك جميع ما حرم الله تعالى على المسلمين فهو حرام عليهم»^(١).

واستدل رحمه الله بوجوب الفرائض على الكافرين بالوعيد الشديد للكافرين جزاء إضاعتهم الفرائض وتركهم لها؛ حيث يقول: «ودل على وجوب ذلك على الكفار بما أوعدهم على تضييعها من العذاب، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٢)، كما قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾^(٣)، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٤).

فلم يكن في مخاطبته المؤمنين بإيجاب الإيمان بالله ورسوله عليهم إسقاط الدعوة للكفار؛ لأنه قد دل إيجاب ذلك عليهم بما هو أدل على الوجوب من الأمر، وهو تغليظ الوعيد عليهم، بإيجاب تخليدهم في النار لتركهم الإيمان، وكفرهم بالله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾^(٥).

ولو ذهبنا نتلو الآيات التي أوعد الله تعالى فيها الكفار التخليد في النار وأيسهم من مغفرته ورحمته؛ لكثرت الكتاب وطال، ولولا أن المسلمين لا اختلاف بينهم في ذلك لتكلفنا تلاوتها»^(٦).

(١) الصلاة (٢/ ٩٨٨-٩٨٩).

(٢) النساء: ١٣٦.

(٣) المائدة: ٦.

(٤) البقرة: ١٨٣.

(٥) الفتح: ١٣.

(٦) الصلاة (٢/ ٩٩٤).

واستدل ابن نصر على وجوب الفرائض على الكفار بأن رسالة محمد ﷺ عامة، يقول في ذلك: «وقد أمر رسوله ﷺ بأن يأمرهم بالإيمان به تعالى وبرسوله ﷺ، باسم الناس لا باسم الكفار، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا... إلى قوله تعالى: فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١).

وقال عزوجل لأهل الكتاب منهم: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ (٢).

وفي التوراة الأمر بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصيام، وسائر الفرائض، وتحريم المحارم.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٣)، و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ (٤).

فلم يكن إيجابه التقوى على المؤمنين بمسقط ذلك عن الكفار، بل قد أوجب ذلك عليهم باسم الناس، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٥)، وقال: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٦).

والتقوى منتظم لأداء الفرائض واجتناب المحارم كلها.

وقال عزوجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (٧).

(١) الأعراف: ١٥٨.

(٢) المائدة: ٦٨.

(٣) الأحزاب: ٧٠.

(٤) الحشر: ١٨.

(٥) النساء: ١.

(٦) البقرة: ١٩٧.

(٧) النساء: ٥٩.

فلم يكن افتراضه طاعته على الذين آمنوا بمسقط طاعته عن الكفار،
فكذلك ليس في افتراضه الصلاة والصيام على المؤمنين دليل على إسقاطها
عن الكفار»^(١).



(١) الصلاة: (٢/٩٩٤-٩٩٦).

المطلب الثالث

هل يقضي الكافر ما فاته من الفرائض؟

اتفق العلماء على أن الكافر إذا أسلم ودخل في دين الله؛ فلا يجب عليه قضاء ما فاته من الفرائض .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كما لا يقضي الكافر إذا أسلم ما ترك حال الكفر باتفاق العلماء»^(١) .

بل إنه رحمه الله حكى الإجماع على ذلك كما يقول: «قاعدة: ما تركه الكافر الأصلي من واجب، كالصلاة، والزكاة، والصيام، فإنه لا يجب عليه قضاؤه بعد إسلامهم بالإجماع؛ لأنه لم يعتقد وجوبه، سواء كانت الرسالة قد بلغت، أو لم تكن بلغت، وسواء كان كفره جحوداً أو عناداً أو جهلاً»^(٢) .

وعدم قضاء الكافر الفرائض إذا أسلم هو ما ذهب إليه الإمام ابن نصر حيث يقول: «فإذا أسلم الكافر، وقد ترك الصلاة وسائر الفرائض في كفره، ثم تاب من ذلك كله وأمن؛ لم يجب عليه قضاء شيء مما ترك من الفرائض، ولم يؤخذ بشيء مما ارتكب من المحارم، وليس ذلك لأنها لم تكن واجبة عليه في كفره، ولم يكن مؤاخذاً بما ضيع منها معاقباً على ما ارتكب من المحارم، لو مات على كفره، ولكن الله عز وجل تفضل عليه بالإيمان والتوبة، فغفر له

(١) مجموع الفتاوى (٤٦/٢٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٢).

ذنوبه السالفة، ورفع عنه قضاء الفرائض التي تركها في كفره»^(١).

واستدل ابن نصر على أن الكافرين لا يقضون ما فاتهم من الفرائض بالأدلة التالية: «الدليل الأول: قال الله عز وجل: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾^(٢).

الدليل الثاني: قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٣).

الدليل الثالث: قال الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾^(٤)، ثم قال: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾^(٥).

الدليل الرابع: وقال عز وجل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾^(٦)، يعني بالإيمان والتوبة، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾^(٧).

(١) الصلاة (٢/٩٩٠).

(٢) الأنفال: ٣٨.

(٣) طه: ٨٢.

(٤) الفرقان: ٦٨-٦٩.

(٥) الفرقان: ٧٠.

(٦) الزمر: ٥٣.

(٧) الزمر: ٥٤.

الدليل الخامس: وجاء الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «الإسلام يهدم ما قبله»^(١).

الدليل السادس: ولم يختلف المسلمون في أن النبي ﷺ لم يأمر أحداً من الكفار أسلم بقضاء شيء من الفرائض، واتفق على القول بذلك أهل الفتوى من علماء أهل الإسلام.

فبهذه الحجج يسقط قضاء الفرائض عن أسلم من أهل الكفر؛ لا لأنها لم تكن واجبة عليهم^(٢).

ورد رحمه الله على من قال: «إن الفرائض على الكفار أن يأتوا بالصلاة وسائر الفرائض قبل أن يسلموا»^(٣) بأن قال له: «هذا خطأ؛ لأن هذا يوهم أن لهم أن يؤخروا الإسلام إلى أن يأتوا بالفرائض، ولا يحل لأحد من أهل الإدراك والعقل أن يؤخر الإسلام كما قد عين، ولكننا نقول: الفرض على الكفار أن يسلموا ويصلوا، ويؤدوا الفرائض ويجتنبوا المحارم كلها، ويقدموا على الإسلام قبل ذلك كله؛ لأن الفرائض وجميع الأعمال الصالحة لا تقبل إلا بالإسلام، فإن هم امتنعوا عن الإسلام وأداء الفرائض وارتكبوا المحارم، وماتوا على ذلك؛ فإنهم عصاة في جميع ذلك، معاقبون على ذلك كله»^(٤).

وضرب رحمه الله على هذا بمثال فقال: «وهذا كما نقول: الفرض على الجنب وغير المتوضئ أن يتطهر ويصلي، ولو صلى الجنب قبل أن يتطهر لم

(١) أخرجه مسلم (١/١١٢) ح (١٢١) - كتاب الإيمان - باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، ورواه أحمد في المسند بلفظ: «يجب ما قبله» (٤/١٩٩).

(٢) الصلاة (٢/٩٩٠ - ٩٩٢).

(٣) الصلاة (٢/٩٩٢).

(٤) الصلاة (٢/٩٩٢).

تجزه صلاته؛ لأن الصلاة لا تقبل إلا بالطهارة، كما أن الكافر لا تقبل منه الصلاة إلا بإسلام وطهارة، فإن أخرج الجنب الطهارة والصلاة جميعها حتى ذهاب الوقت، ثم مات مصراً على ذلك، مات عاصياً في الأمرين جميعاً، مستوجباً للعقوبة على تركها جميعاً، وكذلك الكافر إذا أخرج الإسلام والصلاة حتى ذهب وقتها، ثم مات مصراً على ذلك.

ولا يجوز أن يقال: الفرض على الجنب أن يصلي قبل أن يغتسل، كما لا يجوز أن يقول: الفرض على الكافر أن يصلي قبل أن يسلم، لكننا نقول: على هذا أن يتطهر ويصلي وعلى الكافر أن يسلم ويصلي»^(١).

ورد رحمه الله على الذين قالوا إن الله أوجب الفرائض على عباده المؤمنين دون الكافرين وقالوا: «إنما قال الله تعالى:

١ - ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(٢).

٢ - وقال عز وجل: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٣).

٣ - وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾^(٤).

فأوجب الصلاة والصيام وسائر الفرائض على المؤمنين»^(٥).

فرد عليهم بقوله: «ليس في إيجابه الصلاة على المؤمنين إسقاط لها عن الكفار والمنافقين، ولكن الله عز وجل وضع أقدار الكفار عن أن يخاطبهم

(١) الصلاة (٢/٩٩٢-٩٩٣).

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣) إبراهيم: ٣١.

(٤) البقرة: ١٨٣.

(٥) الصلاة (٢/٩٩٣).

بإيجاب الفرائض عليهم باسم الكفر استصغاراً لهم، ووضعاً لأقدارهم،
وخطب المؤمنين باسم الإيمان وسائر الفرائض عليهم باسم الإيمان»^(١)



المطلب الرابع

إن الله لا يغفر لمن مات مشركاً

تقدم الكلام على الشرك وخطره وأنه أعظم الذنوب وأكبر الكبائر، فهو محبط للأعمال، به يستحق العبد العقاب الشديد والعذاب الأليم «فهو معصية لا تجدي معها طاعة، ومنقصة لا يجزي عنها كمال، وضعة لا يقوم منها عز، وسفه لا ترشد به نفس، ولولا الجهل ما نجم له قرن، ولولا الوهم ما حيا له عود، ولولا العادة ما امتد له عرق، فهو شجرة خبيثة ثراها الجهالة، وسقياها الخبال، وعرفاتها الاعتیاد، وجناها نار حفت بالشهوات، وعارستر بالترهات»^(١).

وقد أخبر سبحانه أن الشرك يحبط جميع أعمال العبد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

لأن الشرك يجعل العبد يسقط من العز والكرامة التي كرم الله بها بني آدم إلى مستوى البهائم أو أكثر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَفَطَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٣).

(١) رسالة الشرك ومظاهره، تأليف مبارك بن محمد المليبي «من علماء الجزائر» ص ٥١، نشر الجامعة الإسلامية - ط. الثانية.

(٢) الأنعام: ٨٨.

(٣) الحج: ٣١.

وهو مهدر لدم العبد مبيع ماله، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ (١).

لذا حرم الله الجنة على المشركين، وحكم عليهم بالخلود في نار جهنم، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٢).

فالمشرك غير مغفور له شره على الإطلاق، يقول ابن نصر: «قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾» (٣).
فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك، يعني إذا مات غير تائب منه؛ لقوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (٤)، مع آيات غير هذه تدل على أن التائب من الشرك مغفور له شره.

فثبت بذلك أن الشرك الذي أخبر الله أنه لا يغفره: هو الشرك الذي لم يتب منه، وأن التائب مغفور له شره، وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء، يعني لمن أتى ما دون الشرك، فلقى الله غير تائب منه؛ لأنه لو أراد أن يغفر ما دون الشرك للتائب دون من لم يتب؛ لكان قد سوي بين الشرك وما دونه، ولو كان كذلك لم يكن لفصله بين الشرك وما دونه معنى.

ففصله بينهما دليل على أن الشرك لا يغفره لو مات وهو غير تائب منه،

(١) التوبة: ٥.

(٢) المائدة: ٧٢.

(٣) النساء: ٤٨.

(٤) الأنفال: ٣٨.

وأن يغفر ما دون ذلك الشرك لمن يشاء من مات وهو غير تائب، ولا جائز أن يغفر له ويدخله الجنة إلا وهو مؤمن، كذلك أخبر المصطفى ﷺ رسول رب العالمين ﷺ أنه لا يدخل الجنة»^(١).

ثم استدل رحمه الله بالأدلة التالية، التي تؤكد أن الجنة لا يدخلها إلا المسلمون، وأن النار مثوى للكافرين :

١ - روى بسنده عن بشر بن سحيم أن رسول الله ﷺ أمر منادياً فنادى : «أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مؤمنة»^(٢).

٢ - وروى بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً فنادى : «أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»^(٣).

٣ - وروى بسنده عن عمر بن الخطاب قال : «لما كان يوم خيبر، قتل ناس من أصحاب النبي ﷺ، فجعلوا يقولون : قتل فلان شهيداً، وفلان شهيداً، حتى ذكروا رجلاً، فقال رسول الله ﷺ : اخرج يا ابن الخطاب فناد في الناس: انه لا يدخل الجنة إلا مؤمن؛ فخرجت وناديت»^(٤).

٤ - وروى بسنده عن المحرر^(٥) بن أبي هريرة عن أبيه قال : «كنت مع علي بن أبي طالب حيث نادى ببراءة، فكان ينادي بها، فإذا ثقل صوته أمرني

(١) الصلاة (٢/٦١٧-٦١٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) الحديث تقدم تخريجه ص ٣٥١.

(٥) هو محرر بن أبي هريرة الدوسي المدني، روى عن أبيه، وعمر بن الخطاب، ذكره ابن حبان في الثقات، مقبول، من الرابعة. مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. التقريب (ص/٥٢١) (٦٥٠٠)، التهذيب (١٠/٥٠-٥١) (٩٠).

فناديت . فقلت : يا أبة ، ما كنت تنادون به ؟ قال : كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان»^(١) .

٥ - وروى بسنده عن زيد بن أشيع^(٢) «سألنا علياً : بأي شيء بعثت ؟ قال بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فأجله إلى مدته ، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا»^{(٣) (٤)} .



(١) أخرجه البخاري (١/١٤٤) ح (٣٦٢) - الصلاة في الثياب - باب ما يستر عن العورة ، ومسلم (٢/٩٨٢) ح (١٣٤٧) - الحج - باب لا يحج البيت مشرك بدون لفظ : «لا يدخل الجنة إلا مؤمن» .

(٢) زيد بن يشيع ، ويقال : أشيع ، الهمداني الكوفي ، روى عن أبي بكر الصديق ، وعلي ، وحذيفة ، وأبي ذر ، قال الأثرم عن أحمد : المحفوظ بالياء . قال العجلي : كوفي تابعي ثقة . التقريب (ص / ٢٢٥) (٢١٦٠) ، التهذيب (٣/٣٦٩) (٧٨٢) .

(٣) الحديث تقدم تخريجه ص ٣٥١ .

(٤) انظر هذه الأحاديث في : الصلاة (٢/٦١٨ - ٦٢٣) .